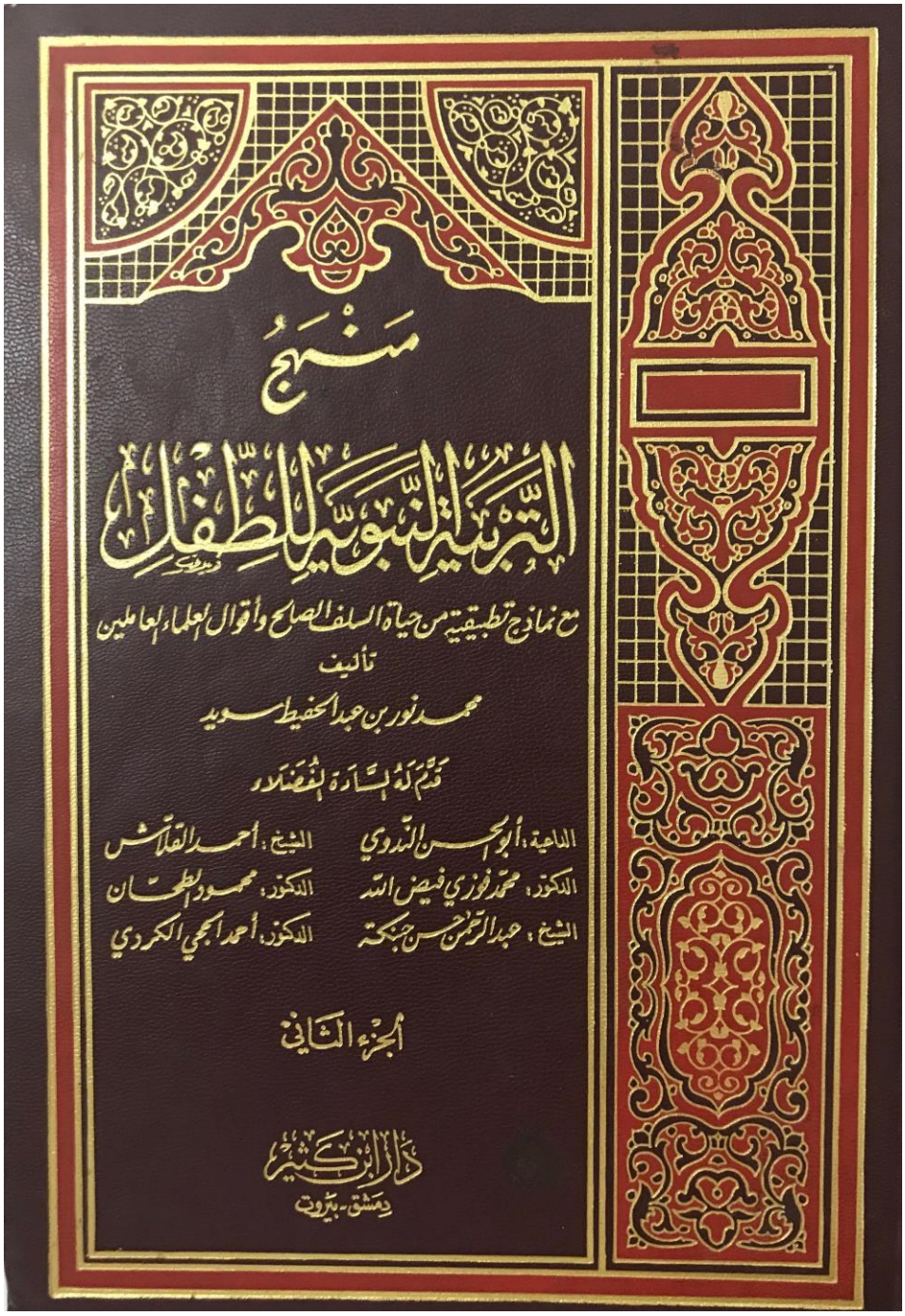
منهج
التربية النبوية للطفل
مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين
تأليف
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد
قدم له سماحة الشيخ
الداعية: أبو الحسن الندوي
الشيخ: أحمد القلاش
الدكتور: محمد فوزي فيض الله
الدكتور: محمود الطحان
الشيخ: عبد الرحمن حسن حبنكة
الدكتور: أحمد الحجي الكردي
الجزء الثاني
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

القسم الثاني

بناء شخصية الطفل الإسلامية

تمهيد

الفصل الأول : تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين .

الفصل الثاني: الرعاية الصحية للطفل.

الفصل الثالث : بناء عقلية الطفل الإسلامية .

1 ـ **المبحث الأول** : البناء العَقَدى للطفل .

2 ـ **المبحث الثاني** : رواية أخبار طفولة الرسول ﷺ للطفل .

3 ـ **المبحث الثالث** : البناء العلمي للطفل .

الفصل الرابع : بناء نفسية الطفل الإسلامية

1 ـ **المبحث الأول** : البناء العبادى .

2 ـ **المبحث الثاني** : البناء العاطفي والنفسي .

3 ـ **المبحث الثالث** : تهذيب الدافع الجنسي .

الفصل الخامس : بناء سلوك الطفل الإسلامي

1 ـ **المبحث الأول** : البناء الأخلاقي للطفل .

2 ـ **المبحث الثاني** :البناء الجسمي للطفل .

3 ـ **المبحث الثالث** : البناء الاجتماعى للطفل .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : «الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم» .

قال محمد بن أيوب : ارتحلتُ إلى يحيى بن هشام الغساني من أجله (أي من أجل سماع تلك العبارة) .

(المقاصد الحسنة للسخاوى، حرف النون) .

تمهيد

الشخصية المتزنة ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات، ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وُجِّهت من كل جوانبها، وربيت من كافة أقطارها، وهُذبت من كل أطرافها .

وإذا تأملنا حركة التاريخ، وجدنا أهمية بناء وتكوين الشخصية القوية، فلا تغيير للواقع الفاسد المنحرف عن منهج الله من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد، وتكوين، وتربية .

وإنَّ أخصب مجالٍ للبناء التربوي مرحلة الطفولة، التي هي أطول فترة من بين الكائنات الحية، وتتميز الطفولة البشرية كذلك بالمرونة، والصفاء، والفطرية، وهي تمتد زمناً طويلاً، يستطيع المربى خلال هذه الفترة الطويلة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله بقدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية، والإشراف، والتوجيه، كلما كانت أثبت، وأرسخ أمام الهزات المستقبلية ، التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه .

لذلك فإن عمل الوالد الفعّال يبدأ من هذا الفصل، الذي تم التوسع في شرحه، وضرب الأمثلة النموذجية لكل فكرة؛ لتكون ذخراً للمربين، وتغذية للأطفال . وقد تم الابتعاد ـ في العرض ـ عن الفلسفة، وحشو الكلام بقدر المستطاع؛ لتكون النماذج الحية خير وسيلة للعبرة والقدوة، كما أن تقديمها للطفل، وحسن عرضها عليه، يعطى النتائج الطيبة ـ إن شاء الله .

ولهذا قال ابن سينا في كتابه «السياسة» باب : سياسة الرجل ولده ـ فترة بداية

التربية ـ على حدّ تعبيره :

«فإذا فطم يبدأ بتأديبه، ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة» .

وبالتالي فإن فكرة استصغار الطفل، وإهمال توجيهه، تعتبر باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد، والأمر والنهى ، والترغيب والترهيب، والتحبيب والتقبيح، وهكذا .

تتألف شخصية الإنسان من عقليته ونفسيته، ينتج عنهما سلوك، فإذا بُنيت العقلية والنفسية على قاعدة واحدة، شكلت سلوكاً متوافقاً مع عقليته ونفسيته، وأدى ذلك لتوازن تلك الشخصية وتأثيرها في الآخرين . وإذا اضطربت القاعدة، اضطرب السلوك واهتزت الشخصية .

وتشكيل العقلية يتم بتشكيل القاعدة، أي : المعلومات المسبقة التي سيحكم بها العقل على الأفكار الأخرى وربطها بالواقع . وهى في الإسلام تمثل العقيدة الإسلامية، فالاعتقاد بالعقيدة تجعل الشخص مسلماً، وجعلها محوراً وقاعدة للتحكم وفق العقيدة الإسلامية في ربطه للمعلومات بالواقع وبالعكس (أى ربط الواقع بالمعلومات) تشكل عقلية إسلامية .

أما تشكيل النفسية الإسلامية فهي بتوجيه الميول ودوافع الغرائز وفق العقيدة الإسلامية ، فتشكل له مفهوماً نفسياً وهو المعبر عنه في الحديث النبوي بالهوى : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به» .

فإذا تم تشكيل العقلية النفسية ببناء العقيدة وجعلها حاكماً على العقل والهوى، تشكلت الشخصية الإسلامية المؤثرة فى الآخرين؛ لأنه ينتج عنه سلوك متوازن متحد الاتجاه وفق المبادئ الإسلامية . حتى لو أخلّ صاحبه بالسلوك أحياناً لضعف

هوى، أو طمع شهوة، أو لضعف في العبادة، فإن التوبة ترده إلى وضعه الطبيعي ، وتُقَوِّمُ سلوكه من جديد ، فبناء عقلية الطفل ونفسيته وسلوكه يجعل منه شخصية مؤثرة في واقعه الطفولى ، وفى مستقبله المشرق . وهذا أحد أسباب قوة الإسلام في تكوين الأفراد والجماعات؛ لشموليته كافة نواحي الحياة . وبالتالي عالج تكوين العقلية والنفسية والسلوك الإنساني، ولم ينظر له على أنه مَلك لا يخطئ، أو معصوماً عن الخطأ، وإنما : «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»، «لو لم تذنبوا فتستغفروا ربكم لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» .

ولهذا يكون عناصر بناء شخصيته الطفل الإسلامية ببناء عقليته ونفسيته وسلوكه .

وتبدأ شخصية الطفل تتحقق منذ الصراخ الأول أثناء الولادة ليعبر عن وجوده حياً في هذا المجتمع، ولينادى بأعلى صوته : ها أنا ذا قد جئت إليكم .

بل إن الإسلام حفظ حق وجود الطفل وهو جنين، فلا يجوز إسقاط الجنين قبل نفخ الروح، وتتأكد حرمة إسقاطه بعد نفخ الروح فيه ـ أى بعد أربعة أشهر ـ ومن هنا تبرز أهمية هذا الجنين الذي سيولد لاحقاً بأن له حقوقاً على والديه والمجتمع والدولة .

* * *

الفصل الأول

تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين

تمهيد : أدعية عسر الولادة :

أولاً : عمل اليوم الأول من الولادة :

زكاة الفطر، والإرث ـ البشارة ـ الأذان والإقامة ـ الدعاء ـ التحنيك ـ تحضير سرير المهد .

ثانياً : عمل اليوم السابع من الولادة :

التسمية ـ حلق الشعر ـ العقيقة ـ الختان ـ عمل يوم الأربعين للنفساء .

ثالثاً : عمل اليوم الأربعين للنفساء .

رابعاً : الرضاعة إلى الحولين .

خامساً : حكم بول الرضيع ، وكيفية تطهيره .

سادسا : جواز اصطحاب الأم لرضيعها إلى المسجد .

سابعا : كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد في مرحلة عدم تعوّده ضبط التَّبوُّل والتّبَرّز .

ثامناً : حق الحضانة للأم .

تاسعاً : حق الولاية للأب .

عاشراً : بكاء الطفل وأسبابه وعلاجه .

حادى عشر : تنقيز (ترقيص) ومداعبته بالأناشيد .

روى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقــول: «من ربى صغيراً حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله» [1] .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : «إن للمرأة فى حملها إلى وَضْـعِها إلى فصالها من الأجر كالْمُتَشَحِّطِ فى سبيل الله ، فـإن هَلَكَـتْ فـيما بـين ذلـكَ فَلَهَـا أَجـرُ شهيد» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» وقال محققه : إسناده حسن .

* * *

«للحامل من الأجر أجر العابدِ الصائمِ الْمُخْبِتِ المجاهدِ ، فإذا ضَرَبهـا الطَّلْـقُ ؛ فلا يَدرى أحدٌ من الخَلائقِ مَا لَهَا من الأجـرِ، وإن أَرْضَعـــتْ فلهـا بكـلِّ رضـعةٍ أو مَصَّةٍ أو مَجَّةٍ : عِتْقُ رَقَبَةٍ ، وصيام سَنَةٍ» . الصحابي الجليل المبشر بالجنة : عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه [2] .

١() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8 / 159) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه سليمان بن داود الشاذكوني، وهو ضعيف .

٢() انظر كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام عبد الوهاب الشعراني ـ رحمه الله (2 / 107) .

تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين

تمهيد : أدعية عسر الولادة :

إن الطلق له آلامه، ومتاعبه الجسدية، والنفسية، وإن لحظة خروج المولود من اللحظات الحرجة لكلا الزوجين، وقد صورت الآية حالة مريم وهي في هذه اللحظات [1] :

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم] .

ومما يستحب ذكره أثناء الطلق ما علمه الرسول ﷺ أن يقال أثناء طلق ابنته فاطمة، فقد روى ابن السني بإسناد ضعيف : أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ لما دنا ولادها، أمر الرسول ﷺ أم سلمة، وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عندها آية الكرسى، و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] ويعوذاها بالمعوذتين [2] .

---

(1) قال محمد بن إسحاق : فلما حملت به، وملأت قلتها، ورجعت، استمسك عنها الدم، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب، والتوحم، وتغير اللون حتى فطر لسانها . مختصر ابن كثير (2/ 448) .

(2) ذكره ابن تيمية فى كتاب (الكلم الطيب) تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ص (87)، وقال : رواه ابن السنى فى (عمل اليوم والليل) رقم (526) وإسناده ضعيف .

ومما رواه ابن السني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : «إذا عسر على المرأة ولدها أخذ إناء لطيفًا يكتب فيه : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف] إلى آخر الآية، و : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]، و : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف] ثم يغسل ويسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها»[1] .

وقد سار السلف الصالح على ذلك فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الطب النبوى»[2] كتاب لعسر الولادة : قال الخلال : حدثني عبد الله بن أحمد، قال : رأيت أبى يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها فى جام أبيض ، أو شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ بَلَٰغٌۚ﴾[الأحقاف:35]، و : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات] .

قال الخلال : أنبأنا أبو بكر المروزى : أن أبا عبد الله[3] جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله، تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها مند يومين؟ فقال : قل له يجىء بجام واسع وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد، ويذكر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال : مر عيسى ـ صلى الله على نبينا وعليه وسلم على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها، فقالت : يا كلمة الله، ادع الله لى أن يخلصني مما أنا فيه، فقال : يا خالق النفس من النفس، ويا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس خلصها، قال : فرمت بولدها، فإذا هي قائمة تشمه، قال : فإذا عسر على المرأة ولدها، فاكتبه لها .

١() عمل اليوم والليلة، باب : ما تعوذ به المرأة التى تطلق، رقم (624).
(2) (ص 358) تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط وهو الجزء الرابع من زاد المعاد .
(3) أى أحمد بن حنبل إمام أهل السنة .

قال ابن القيم : وكل ما تقدم من الرقى، فإن كتابته نافعة، ورخص جماعة من السلف فى كتابة بعض القرآن وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذى جعل الله فيه . ثم قال : كتاب آخر لذلك يكتب فى إناء نظيف : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ ﴾ [الانشقاق] وتشرب منه الحامل، ويرش على بطنها . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله [1]، ثم ذكر ابن القيم عددًا من الآيات لعدد من الأمراض تطلب هناك لمن يريد .

والمرأة فى هذه الساعات الشديدة العصيبة بحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله تعالى، وبقدر تضرعها إليه بصدق، وإخلاص، وتجديد التوبة النصوح، فسرعان ما ييسر الله تعالى عليها ولادتها، ويهيئ لها أسباب تحمل آلام المخاض، ومشاقه .

قال الشيخ ابن ظفر المكى [2] : «بلغنى أن أبا السرى منصور بن عمار ﷺ أصاب أمه وجع الولادة، وعندها قابلتها، وهو صبى بين يديها، فقالت له : يا منصور، بادر إلى أبيك فادعه، فقال لها : أتستعينين فى حال الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع، وأكون أنا رسولك إليه، قالت : الساعة أموت، قال لها : قولى : يا الله أغثنى، فقالت ذلك، فاندلق جنينها من ساعته» .

وإن رعاية الله مستمرة للإنسان، ورحمته لا تنفك لحظة، وتيسيره لعباده من اللحظة الأولى، وهذا أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾ [عبس]، فيخرج الطفل من بطن أمه، وينتهى دوام الحياة الجنينية لتبدأ الحياة الطفلية، وهنا تبدأ حقوقه على وليه بما يلى :

أولاً : عمل اليوم الأول من الولادة :

1 – إخراج زكاة الفطر :

وسنتكلم عنها فى الفصل الرابع ـ إن شاء الله .

---

(1) سمعت من بعض المشايخ والعلماء : خذ من القرآن ما شئت لما شئت .

(2) كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن ظفر المكى، المتوفى سنة (565هـ)، (ص 163) .

2 – استحقاق الميراث :

عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إذا استهل المولود ورث» رواه أبو داود [1].

وعن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله، والمسور بن مخرمة قالا: قضى رسول الله ﷺ : «لا يرث الصبي حتى يستهل صارخًا، واستهلاله أن يصيح ، أو يعطس، أو يبكى» [2] ذكره أحمد بن حنبل في رواية ابنه عبد الله، وصححه ابن حبان .

قال في «شرح السنة» : لو مات إنسان، ووارثه حمل، يوقف له الميراث، فإن خرج حيًا كان له، وإن خرج ميتًا فلا يورث، بل لسائر ورثة الأول، فإن خرج حيًا، ثم مات يورث منه ، سواء استهل أو لم يستهل ، بعد أن وجدت فيه أمارة الحياة : من عطاس، أو تنفس، أو حركة دالة على الحياة [3].

3 ـ البشارة والتهنئة بالمولود الجديد :

المجتمع الإسلامي بصفته التكافلية الاجتماعية، لا يدع مناسبة فرح، أو حزن إلا أن يشارك أعضاء المجتمع الإسلامي بها، ليصبح البنيان مرصوصًا بشكل قوى .

والطفل الوليد الجديد، المنضم إلى هذا المجتمع الجديد عليه، يرحب به أعضاؤه، ويسارعون لزف البشرى لوالديه، متمثلين بشارة الملائكة لرسل الله الكرام، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم] .

---

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (153) .
(2) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (152) .
(3) المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى (2/ 467) .

وإن المسارعة في التهنئة، وزف البشرى، تزيد من دخول السرور على قلبي الوالدين، مما يجعل المجتمع الإسلامي قوى الارتباط، فيهنئ الضيف الوالدين بتهنئة الحسن البصري اللطيفة : «بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورزقت بره، وبلغ أشده» . كما ذكر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى «تحفة المولود» .

وأما التابعي الجليل أيوب السختيانى ـ رحمه الله ـ فكان إذا هنأ رجلاً بمولود قال : «جعله الله تعالى مباركًا عليك، وعلى أمة محمد ﷺ» [1] .

4 ـ الأذان فى أذنه اليمنى، والإقامة فى أذنه اليسرى :

روى الإمام أحمد، والترمذى، أن رسول الله ﷺ : أذن في أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة ـ أي : بأذانها .

وأما دليل الإقامة في أذن المولود : فقد روى الإمام أحمد عن أبى رافع ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أذنى الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة .

فالأذان في أذني الحسن يكون بالأذان والإقامة؛ لأن الإقامة تشبه الأذان . وهى تسمى أذانًا أيضًا، وهذا ما فعله المجتهد خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقد روى عنه أنه كان يؤذن في أذن المولود في أذنه اليمنى، ويقيم في اليسرى [2] .

وأما الروايات التي ذكرت أنه ﷺ أذن في أذن الحسن، فيمكن حملها على جنس الأذن، وجنس الأذان، أو يمكن أنه ﷺ أذن مرة واحدة تارة، وأذن مرتين في تارة أخرى .

وعلى ظاهر الحديث يكون الأذان مرتين، الأولى في الأذن اليمنى، والثانية فى الأذن اليسرى ـ والله أعلم .

والسر في ذلك ، وحكمته ، كما قال الدهلوى ـ رحمه الله :

---

(1) (حلية الأولياء) لأبى نعيم الأصفهانى ـ رحمه الله (3 / 8) .
(2) انظر : هامش تحقيق كتاب العيال (1/ 194) .

1 ـ الأذان من شعائر الإسلام .

2 ـ إعلام الدين المحمدي .

3 ـ ثم لابد من تخصيص المولود بذلك الأذان، بأن يصوت في أذنه .

4 ـ علمت أن من خاصية الأذان : أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذى الولد في أول نشأته، حتى ورد في الحديث أن استهلاله لذلك[1] . أخرج الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من بني آدم مولود، إلا نخسه الشيطان، حين يولد، فيستهل صارخًا من نخسه إياه، إلا مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران] . وفى مسند ابن رزين : أنه ﷺ قرأ فى أذن مولود سورة الإخلاص [2] . ويكشف ابن القيم عن أسرار أخرى للتأذين، فيقول ـ رحمه الله :

5 ـ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان، كلماته المتضمنة لكبرياء الرب، وعظمته، والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له، شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها .

6 ـ وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثره به، وإن لم يشعر، مع ما فى ذلك من فائدة أخرى، وهى :

7 ـ هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده، حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله، وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه، ويغيظه، أول أوقات تعلقه به .

8 ـ وفيه معنى آخر وهو : أن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه الإسلام، وإلى

---

(1) كتاب : حجة الله البالغة للدهلوى .

(2) شرح مغنى المنهاج للإمام الشربينى ـ رحمه الله (4 / 296) .

عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم [1] . وسواء كان المولود ذكرًا أو أنثى، فهو هبة الله، ونعمته على عباده : روى الطبرانى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ولدت الجارية، بعث الله عز وجل إليها ملكا يزف البركة زفًا، يقول : ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيم عليها معان إلى يوم القيامة، وإذا ولد الغلام، بعث الله إليه ملكًا من السماء، فقبَّل بين عينيه، وقال : الله يقرئك السلام» .

5 – الدعاء وشكر الله تعالى على النعمة الجديدة :

روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل، أو قال : أو ولد، فيقول : ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت» .

6 ـ تحنيك المولود [2] :

فى الصحيحين عن أبى موسى ﷺ قال : ولد لى غلام، فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، وزاد البخارى : ودعا له بالبركة ودفعه إلىّ . وفى الصحيحين عن هشام بن عروة عن أسماء ـ رضى الله عنها ـ أنها حملت بعبد الله ابن الزبير بمكة، (قالت) : فخرجتُ وأنا متمّ [3]، فأتيتُ المدينة، فنزلت بقباء، فولدته

(1) أحكام المولود لابن القيم .

(2) يقول الدكتور فاروق مساهل ـ مجلة الأمة القطرية عدد (50) ـ فى مقالته : تحت عنوان : اهتمام الإسلام بتغذية الطفل ، معلقًا على حديث التحنيك ما نصه : والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية، مكثت البشرية أربعة عشر قرنًا من الزمان لكى تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثى الولادة والرضع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين :

1 – إذا نقصت كمية السكر فى الدم (بالجوع) .

2 – إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم .

(3) أنا متم : أى : دنا ولادها .

بقباء، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فوضعته فى حجره، فدعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل فيه، فكان أول شىء دخل جوفه ريق الرسول ﷺ . قالت : ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا لـه، وبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد فى الإسلام للمهاجرين فى المدينة، قالت : ففرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم، فلا يولد لكم .

روى البخارى فى صحيحه عن أنس ﷺ قال : غَـدَوتُ إلى رسـول الله ﷺ بعبـد الله بن أبى طلحة ليحنكه .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسـى ﷺ قـال : ولـد لى غـلامٌ، فأتيـتُ النبىَّ ﷺ فسمّاه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلىَّ .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم، ويحنكهم، فأتى بصبى، فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ معلقًا : قوله : «فيبرك علـيهم» : أى يـدعو لهـم، ويمسـح عليهم، وأصل البركة : ثبوت الخير، وكثرته، وقولها : «فيحنكهم» : قال أهل اللغة : التحنيـك : أن يمضغ التمر، أو نحوه، ثـم يـدلك بـه حنـك الصـغير، وفيـه لغتـان مشـهورتان : حنكتـه بالتخفيف والتشديد، والرواية هنا : فيحنكهم بالتشديد، وهى أشهر اللغتين، وقولها : « بصـبى يرضع» هو بفتح الياء، أى : رضيع ، وهو الذى لم يفطم .

أما أحكام الباب :

ـ ففيه استحباب تحنيك المولود .

ـ وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل .

ـ وفيه استحباب حمل الأطفال إلى أهـل الفضـل للتـبرك بهـم، وسـواء فى هـذا الاستحباب المولود فى حال ولادته وبعدها .

ـ وفيـه النـدب إلى حسـن المعـاشرة، واللـين، والتواضـع، والرفـق بالصـغار

وغيرهم»[1].

كيفية تحنيك النبى ﷺ للمولود :

عن أنس ﷺ قال : لما ولدت أم سليم غلامًا، أرسلت به معى، إلى النبى ﷺ، وحملت تمرًا، فأتيت به رسول الله ﷺ، وعليه عباءة، وهو يهنأ بعيرًا له، فقال رسول الله ﷺ : «هل معك تمر؟»، قال : قلت : نعم، فأخذ التمرات، فألقاهن فى فيه، فلاكهنّ، ثم جمع لعابه، ثم فغر فاه، فأوجره إياه، فجعل الصبى يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ : «حب الأنصار التمر»، فحنكه، وسماه عبد الله، فما كان فى الأنصار شاب أفضل منه . رواه أحمد فى مسنده (3 / 188) . وكذا رواه مسلم والبخارى .

7 – تحضير وتجهيز سرير المهد :

ذكر الله تعالى سرير المهد فى معرض الحديث عن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فقال : ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران : 46] .

قال أبو حيان فى التفسير : «المهدُ» : مقر الصبى فى رضاعه، وأصله مصدر، سُمى به يقال : مَهَدَت لنفسى ـ بتخفيف الهاء وتشديدها ـ أى وطأت .

وفى لسان العرب مادة مهدة : مَهدُ الصبى : موضعه الذى يتهيأ له، ويُوطأ لينام فيه.

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير(1/ 390): والمهدُ : مضجع الصبى فى رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطأة .

وقال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج ابن جرير وابن المنذر من طريق ابن جريج قال : بلغنى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : (المهدُ) : مضجع الصبى فى رضاعه .

---

[1] شرح صحيح مسلم، باب : حكم بول الرضيع، وكيفية غسله .

وقال ابن عاشور فى تفسيره التحرير والتنوير : (والمهدُ) : شبه الصندوق من خشب لا غطاء له، يُمهد به، مضجع للصبى مدة رضاعه، يُوضع فيه لحفظه من السقوط» .

فدلت هذه الآراء على أمور هامة منها :

1 ـ أن الطفل الرضيع له مكان خاص ينام فيه منفصلاً عن أمه .

2 ـ لا يسمح للأم أن تنام مع رضيعها خشية أن تضغط عليه أو تضر به أو تُميته من حيث لا تشعر وهى نائمة .

3 ـ أن سرير الطفل يمهد تمهيدًا جيدًا بحيث يريح أعضاءه .

4 ـ أن السرير المنفصل يساعد الأم على هز الطفل لكى ينام .

5 ـ أن السرير لابد له من جوانب تحيطه، لكى يبقى الطفل محفوظًا فيه من السقوط على الأرض أثناء هزه أو أثناء قيامه بالحركة . والله أعلم .

ثانيًا : عمل اليوم السابع :

1 – تسمية الطفل وتكنية والديه به ذكرًا أو أنثى : ﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : 36] .

«فإذا ولد المولود فإن من أول الإكرام له، والبرّ به، أن يحلّيه باسم حسن، وكنية لطيفة ، شريفة ، فإن للاسم الحسن موقعًا فى النفوس مع أول سماعه، وكذلك أمر الله عباده ، وأوجب عليهم أن يدعوه بالأسماء الحسنى، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف] .

وأمر أن يصفوه بالصفات العُلا فقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا

تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء : 110] .

واختار النبى ﷺ أسماء أولاده اختيارًا، وآثرها إيثارًا، ونحل محمد ابن الحنفية اسمه بعد ذلك، تشريفًا له، وإجلالاً، وإكرامًا، وإفضالاً [1]، وذلك لما روى أبو يعلى فى مسنده (1/ 259) بسند صحيح عن محمد ابن الحنفية، عن على ـ رضى الله عنهما : أنه استأذن رسول الله ﷺ فى إن وُلد له بعده ولد، أن يسميه باسمه، ويكنيه بكنيته . قال : فكانت رخصة من رسول الله ﷺ . قال : وكان اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم . قال المحقق حسين أسد : ورواه أبو داود، والترمذى، وابن سعد فى الطبقات، والحاكم فى المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبى .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى ﷺ قال : وُلد لى غلامٌ ، فأتيتُ به النبى ﷺ فسمَّاه إبراهيم، وحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة ، ودفعه إلىَّ .

قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى : سمعتُ أهلَ المدينة يقولون : ما مِنْ أهل بيت فيهم اسم محمد ﷺ إلا رزقوا رزق الخير .

قال ابن رشد معلقًا : يُحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بالتجربة، أو عندهم فى ذلك أثر [2] .

وذكر القاضى عياض ـ رحمه الله ـ فى كتابه النفيس الرائع «الشفا فى تعريف حقوق المصطفى» الباب الثالث :

قال مالك ـ رحمه الله : «سمعت أهل مكة يقولون : ما مِنْ بيت فيه اسم محمدﷺ إلا نما، ورُزِقَ جيرانهم» .

وعنه ﷺ : «ما ضَرَّ أحدُكم أن يكون فى بيته محمد، ومحمدان، وثلاثة» . رواه ابن

---

(1) مغنى المحتاج (4/ 295) .
(2) نصيحة الملوك لأبى الحسن الماوردى (ص 166) .

سعد من حديث عثمان العمرى مرفوعًا .

وروى أبو داود، والنسائى عن أبى وهب الجشمى قال : قال رسول اللهﷺ : «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها : حارث، وهمام، وأقبحها : حرب ومرّة» [1] .

وروى أبو داود عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم» وأخرجه ابن حبان فى صحيحه، ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعًا .

وروى مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله، وعبد الرحمن» .

وروى الطبرانى عن أبى بسرة مرفوعًا : «خيرُ أسمائكم : عبد الله، وعبد الرحمن، والحارث» [2] .

وغدا الصحابة يطبقون هذا الحديث ، حتى ذكر ابن الصلاح أن من يسمى «عبد الله» من الصحابة نحو (220) نفسًا، وقال العراقى : يجتمع من المجموع نحو (300) رجل [3] .

ومن لطيف ما صنعه النبى ﷺ أنه سمى ابن عباس بعبد الله يوم ولد . فعن ابن عباس قال : حدثتنى أم الفضل بنت الحارث قالت : بينما أنا مارة والنبى ﷺ فى الحجر، فقال : «يا أم الفضل» ، قلت : لبيك يا رسول الله، قال : «إنك حامل بغلام» ، قلت : كيف ، وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء؟ قال : «هو ما أقول لك ، فإذا وضعتيه، فأتنى به» . فلما وضعته ، أتيت النبى ﷺ، فسماه (عبد

(1) في سنده مجهول، لكن يشهد لبعض أحاديث صحيحة، انظر : جامع الأصول (1 / 357)، ت : الأرناؤوط .

(2) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (3269) .

(3) عن : (المنهل اللطيف فى أصول الحديث للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى (ص 194) .

الله) ثم قال : «اذهبى به، فلتجدنه كيسًا»، قالت : فأتيت العباس، فأخبرته، فتبسم ثم أتى النبى ﷺ وكان رجلاً جميلاً، مديد القامة، فلما رآه النبى ﷺ قام إليه، فقبَّل ما بين عينيه، وأقعده عن يمينه، ثم قال : «هذا عمى، فمن شاء فليباه بعمه» . قال العباس : بعض القول يا رسول الله!، قال : «ولم لا أقول، وأنت عمى ، وبقية آبائى ؟! والعم والد»[1] .

وروى الترمذى وقال : حديث حسن غريب عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ رأى فى بيت الزُّبير مِصباحًا، فقال : يا عائشة، ما أرى أسماء إلا قد نُفِسَتْ فلا تُسَمُّوهُ حتى أُسَمِّيَهُ . فسماهُ عبد الله ، وحَنَّكَهُ بتمرة بيده .

وروى البخارى أنَّ أول مولود وُلِدَ فى الإسلام عبد الله بن الزُّبير، أتوا به النبىﷺ فأخذ النبى ﷺ تَمرة فلاكها ، ثم أدخلها فى فيه،فأول ما دخل بطنه ريق النبىﷺ . وفى رواية لمسلم : جئنا بعبد الله بن الزبير إلى النبى ﷺ يُحنِّكُهُ فطلبنا تمرة، فعزَّ علينا طلبها .

وروى مسلم وأبو داود عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ولد لى الليلة غلام، فسميته باسم أبى إبراهيم» .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر ﷺ قال : ولد لرجل منا غلام، فسمّاه القاسم، فقلنا : لا نكنيك أبا القاسم، ولا نُنْعِمُكَ عينًا، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال : «سمِّ ابنك عبد الرحمن» .

وأخرج أيضًا قال : وُلد لرجل منا غلام فسماه محمدًا، فقال له قومه : لا ندعك تسمى باسم رسول الله ﷺ . فانطلق بابنه، حامله على ظهره، فأتى به النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، وُلد لى غلام، فسميته محمدًا، فقال لى قومى : لا ندعك تُسمى باسم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «تسمّوا باسمى، ولا تكتنوا بكنيتى، فإنما أنا

[1] عن المنهل اللطيف فى أصول الحديث للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى (230).

قاسم، أقسم بينكم» .

ويقرر النبى ﷺ أن الأمم المؤمنة السابقة، كانت تسمى أبناءها بأسماء أنبيائها، وصالحيها : أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : لما قدمت نجران سألونى فقالوا : إنكم تقرؤون : ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ ﴾ [مريم : 28] . وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ، سألته عن ذلك فقال : «إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم» ورواه أحمد، والترمذى ، والنسائى، وعبد بن حميد، وابن أبى شيبة، وغيرهم [1] .

وفى تفسير القرطبى : قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر : 23] إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى أهل التوحيد من النار ، وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبىّ ، حتى إذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبى، قال الله تعالى : أنتم المسلمون، وأنا السلام، أنتم المؤمنون، أنا المؤمن، فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين .

وفى كتاب «الخصائص» لابن سبع عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ألا ليقم من اسمه محمد ﷺ فليدخل الجنة، كرامة لنبيه ﷺ .

وفى مسند الحارث بن أبى سلمة : أنَّ النبى ﷺ قال : «من كان له ثلاثةٌ من الولد، ولم يُسم أحدُهم بمحمد فقد جَهِلَ» [2] .

وقد اختار الصحابى الجليل الزبير بن العوام أسماء شهداء الصحابة لأبنائه، رجاء أن يسلكوا سلوكهم، فينالوا درجة الشهادة فى سبيل الله :

يقول الزبير ﷺ : «إن طلحة بن عبيد الله التميمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء،

---

(1) انظر : حسن الأسوة (ص 135) .

(2) انظر : شرح مغنى المحتاج للشربينى ـ رحمه الله ـ (4/ 495) .

وقد علم أن لا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى أسمّى بنىّ بأسماء الشهداء ؛ لعلهم أن يستشهدوا » .

وعلى هذه القاعدة، وذلك المذهب جاءت أسماء بأبنائه، فسمى «عبد الله» بعبد الله بن جحش شهيد غزوة أحد، و«المنذر» بالمنذر بن عمرو الأنصارى من بنى ساعدة، و«عروة» بعروة بن مسعود الثقفى، و«حمزة» بحمزة بن عبد المطلب شهيد أحد، و«جعفرًا» بجعفر بن أبى طالب شهيد غزوة مؤتة، و«مصعبًا» بمصعب بن عمير حامل اللواء وشهيد أحد، و«عبيدة» بعبيدة بن الحارث شهيد غزوة بدر، و«خالدًا» بخالد بن سعيد شهيد مرج الصفر، و«عمر» بعمر بن سعيد أخى خالد، قتل يوم اليرموك [1] .

وبعد تسمية المولود الأول فإن أبويه يُكْنيان باسمه :

روى أبو داود، والنسائى عن أبى شريح : أنه كان يسمى أبا الحكم، فقال له النبى ﷺ : «إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم» . فقال : إن قومى إذا اختلفوا فى شىء أتونى، فحكمت بينهم، فرضى كلا الفريقين، فقال : ما أحسن هذا ! فما لك من الولد ؟» فقلت : شريح، ومسلم، وعبد الله، قال : «فمن أكبرهم ؟» قلت : شريح، قال : «أنت أبو شريح» [2] . ورواه الحاكم، وزاد : «فدعا له ولولده» .

قال فى «شرح السنة» : الحَكَم : هو الحاكم الذى إذا حكم، لا يرد حكمه، وهذه الصفة ؛ لا تليقُ بغير الله تعالى، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ ﴾ [الرعد : 14] .

«وفيه : أن يكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك

(1) انظر : تربية النشء فى ظل الإسلام (ص 124) للدكتور محمود محمد عمارة .
(2) إسناده صحيح : انظر : جامع الأصول (1/ 373) ت : الأرناؤوط .

المرأة، تكنى بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها»[1] .

ومن ثم تكنية المولود لما كان النبى ﷺ ينادى الطفل الصغير بكنيته، وليس باسمه، فيمازحه بقوله : «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» والحديث رواه مسلم .

وإن الشيطان ليوحى بالأسماء القبيحة والأسماء غير الشرعية؛لذا السعيد والسعيدة من ابتعد عن ذلك :

روى الترمذى عن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لما حملت حواء ـ عليها السلام ـ طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال : سمِّيه عبد الحارث فإنه يعيش فسمَّته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره» .

ومن الأسماء المكروه التسمية بها :

ما رواه مسلم واللفظ له، والترمذى، وأبو داود : «لا تُسمين غلامك يسارًا، ولا رباحًا، ولا نجيحًا، ولا أفلح» .

وما رواه الترمذى عن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لأنهينَّ أن يسمى رافع، وبركة، ويسار»[2] .

وإنك لتلحظ اهتمام النبى ﷺ أنه كان يغير الأسماء القبيحة :

أخرج الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ كان يغير الاسم القبيح[3] .

فمن ذلك أنه غير اسم برَّة إلى زينب :

---

(3) شرح السنة (6/ 394) ، والحديث رواه أبو داود والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد والحاكم ، كذا قاله محقق شرح السنة ، طبع دار الكتب العلمية .

(1) إسناده قوى . انظر : جامع الأصول (1/ 371) ت : الأرناؤوط .

(2) إسناده صحيح ، المصدر السابق . وانظر : صحيح الجامع رقم (4994) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (207) .

روى مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ قال : سميت ابنتى برَّة، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم؛ وسُمّيتُ برَّة، فقال رسول الله ﷺ : «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا : بم نُسميها ؟ قال : سموها زينب» .

وغيّر اسم عاصية إلى جميلة :

أخرج مسلم وأبو داود عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية، وسماها جميلة .

وغير اسم بغيض إلى حبيب :

عندما وفد بغيض بن حبيب بن مروان على النبى ﷺ فسماه حبيبًا[1] .

وغير اسم أصْرم إلى زُرْعة :

أخرج أبو داود عن بشير بن ميمون ﷺ عن عمه أسامة بن أخدرى : أن رجلاً كان اسمه : أصرم، وكان فى نفر أتوا النبى ﷺ، فقال له : «ما اسمك؟» قال : أصرم، قال : «بل أنتَ زُرْعة» .

وذكر النووى ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الأذكار» : «أن السنة تسميته يوم السابع؛ أو يوم الولادة، واستدل لكل منهما بأخبار صحيحة .

وحمل الإمام البخارى ـ رحمه الله ـ أخبار يوم الولادة على من لم يرد العَقّ، وأخبار يوم السابع على من أراده . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ شارحه : وهو جمع لطيف لم أره لغيره، قال الشربينى : ولو مات قبل التسمية استحب تسميته ، بل يُسن تسمية السقط ، فإن لم يعلم أذكر هو أم أنثى سُمى اسماً يصلح لهما : كخارجة وطلحة وهند» انتهى [2] .

---

(1) ذكره ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى الإصابة (1/ 166) فى حرف الباء .
(2) مغنى المحتاج (4/ 294) .

كيف تختار اسمًا حسنًا للطفل؟

هناك ثلاثة خيارات يقدمها الإمام الماوردى :

1 ـ منها أن يكون الاسم مأخوذًا من أسماء أهل الدين، من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، ينوى بذلك التقرب إلى الله ـ جلَّ اسمه ـ بمحبتهم، وإحياء أسمائهم، والاقتداء بالله ـ جل اسمه ـ فى اختيار تلك الأسماء لأوليائه، وما جاء به الدين، كما قد روينا عنه أن أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وأمثاله .

قال الشيخ الدهلوى[1] ـ رحمه الله : «اعلم أن أعظم المقاصد الشرعية، أن يدخل ذكر الله فى تضاعيف ارتفاقاتهم الضرورية؛ ليكون كل ذلك ألسنة تدعو إلى الحق، وفى تسمية المولود بذلك إشعار بالتوحيد، وأيضًا فكان العرب وغيرهم يسمون الأولاد بمن يعبدونه، ولما بعث النبى ﷺ مقيمًا لمراسم التوحيد، وجب أن يسن فى التسمية أيضًا مثل ذلك، وإنما كان الاسمان [2] أحب من سائر ما يضاف فيه العبد إلى اسم من أسماء الله تعالى؛ لأنهما أشهر الأسماء، ولا يطلقان على غيره، بخلاف غيرهما، وأنت تستطيع أن تعلم من هذا سرّ استحباب تسمية المولود بمحمد؛ وأحمد، فإن طوائف الناس أولعوا بتسمية أولادهم بأسماء أسلافهم المعظمين عندهم، وكاد يكون ذلك تنويهًا بالدين، وبمنزلة الإقرار بأنه من أهله .

2 ـ ومنها أن يكون الاسم قليل الحروف؛ خفيفًا على الألسن، سهلاً فى اللفظ، سريع التمكن من السمع .

3 ـ ومنها أن يكون حسنًا فى المعنى، ملائمًا لحال المسمى، جاريًا فى أسماء أهل طبقته، وملته؛ وأهل مرتبته [3] .

وقد ذكر ابن قُتيبة فى كتابه الشهير «أدب الكاتب» باب : أصول أسماء الناس،

---

(1) فى كتابه : (حجة الله البالغة) .
(2) أى : عبد الله، وعبد الرحمن .
(3) نصيحة الملوك (ص 166) .

فأرجعها إلى خمس، وهى : المسمّون بأسماء النبات، والطير، والسباع، والهوام ، وبالصفات وغيرها، وذكر الأسماء ومعانيها .

وقد جرت عادة حسنة فى عصرنا الحاضر؛ باستخراج الأسماء من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة . نحو : ضحى ـ تسنيم ـ هبة ـ تقى ـ عفاف ـ غنى ـ وغير ذلك وهى سُنّة حسنة، إن شاء الله .

2 – حلق شعر الطفل :

روى الإمام مالك : أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وزنت شعر حسن، وحسين، وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة .

وذكر ابن إسحاق : أنَّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة حينما ولدت الحسن : «يا فاطمة، احلقى رأسه، وتصدقى بزنة شعره فضة» فوزنته، فكان وزنه درهمًا، أو بعض درهم .

قال الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله ـ معلقًا على الحديث : السبب فى التصدق بالفضة : «أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية، كان ذلك نعمة؛ يجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر ما يُؤذن [1] أنه عوضه، فلما كان شعر الجنين بقية النشأة الجنينية، وإزالته أمارة للاستقلال بالنشأة الطفلية، وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، وأما تخصيص الفضة؛ فلأن الذهب أغلى، ولا يجده إلا غنى، وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود» .

3 – استحباب وليمة العقيقة [2] :

روى الإمام أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان فى صحيحه عن أم كرز الكعبية : أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة؟ فقال ﷺ : «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، لا يضركم أذكرانًا كُنّ أم إناثًا» .

---

(1) أى : يشعر .

(2) جاء فى (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى (ص 62) قال : «العرب تقول : عقَّ الرجل عن ابنه، يعقُّ؛ إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاة، وتسمى الشاة التى تُذبح لذلك : عقيقة والعقّة : العقيقة وتجمع عقيقًا، والعقيقة : الشعر الذى يُولد الولد به ، وتسمى الشاة التى تذبح لذلك عقيقة، يقع اسم الذبح على الطعام، ويقال : أعقّت الحاملُ إذا نبتت العقيقة على ولدها فى بطنها، فهى مُعقّ وعقوق» .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «كل غلام رهينة [1] بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه» .

وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد مرفوعًا : «العقيقة حق، عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة» [2] .

وروى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعًا : «عن الغلام عقيقتان، وعن الجارية عقيقة» [3] .

وروى الطبرانى والضياء عن بريدة مرفوعًا : «العقيقة تُذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين» [4] .

وكان أنس رضي الله عنه يعق عن بنيه الجزور [5] .

وعن عون العقيلى قال : «أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبى بَكرة ، فنحر أبوه جَزُورًا، ودعا الناس وأطعمهم» [6] . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 211) .

ومن شدة اهتمام السلف الصالح بأمر العقيقة ، أن الذى لا يجد مالاً ؛ لكى يعق عن ولده، عق بعصفور؛ فقد روى مالك فى الموطأ [7] بسنده عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمى أنه قال : «سمعت أبى يستحب العقيقة ولو بعصفور» .

قال الإمام مالك بعدها : الأمر عندنا فى العقيقة : أن من عق فإنما يعقُّ عن ولده

---

(3) أى : كالشيء المرهون لا يتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه، ويحتمل أنه أراد بذلك أن سلامة المولود ونشأته على النعت المحبوب رهينة بالعقيقة، وهذا هو المعنى كما قال الدهلوى .
والحديث صحيح ، انظر : صحيح الجامع (4184) وقال : رواه الترمذى ، والحاكم .
وقال الخطابى : وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل : أنه إذا لم يعق عنه لم يشفع فى والديه يوم القيامة ، ونقله الحليمى عن جماعة متقدمة على أحمد» . انظر : شرح المحتاج للشربينى (4/ 293) .

(1) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (4106 – 4107) .

(2) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (4132) .

(3) رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (4/ 59) .

(4) أى : يذبح .

(5) شرح المحتاج (4/ 293) .

(6) الموطأ ، كتاب العقيقة .

بشاة، شاة للذكور والإناث، وليست العقيقة بواجبة، ولكنها يستحب العمل بها، وهى من الأمر الذى لم يزل عليه الناس عندنا، فمن عقّ عن ولده فإنما هى بمنزلة النُّسُك ، والضحايا ، لا يجوز فيها : عوراء، ولا عجفاء، ولا مكسورة، ولا مريضة ولا يباع من لحمها شىء، ولا جلدها، ولا يُكسر عظامها، ويأكل أهلها من لحمها، ويتصدَّقون منها، ولا يُمسُّ الصبى بشىء من دمها»[1].

قال الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله : «يستحب لمن وجد الشاتين، أن ينسك بهما عن الغلام، وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث، فتناسب زيادة الشكر، وزيادة التنويه» .

وأما سبب الأمر بالعقيقة فهو : أن العرب كانوا يعقّون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمرًا لازمًا عندهم، وسُنَّة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة، راجعة إليه المصلحة الملية، والمدنية، والنفسية، فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغّب الناس فيها» .

إلا أن رسول الله ﷺ غيّر فى تقاليدها :

فعن بريدة ﷺ قال : «كنا فى الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة، ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة، وحلقنا رأسه،ولطخنا رأسه بزعفران» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 238) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبى .

وقال الشربينى ـ رحمه الله : «ويكره لطخ رأس المولود بدمها؛ لأنه من فعل الجاهلية، وإنما لم يحرم للخبر الصحيح كما فى (المجموع) أنه ﷺ قال : «مع الغلام عقيقة، فأهرقوا عليه دمًا ، وأميطوا عنه الأذى » ، بل قال الحسن وقتادة : إنه يستحب ذلك، ثم يغسل؛ لهذا الخبر، ويسن لطخ رأسه بالزعفران والخلوق، كما

(7) الموطأ، وكتاب العقيقة .

صححه فى (المجموع) . انتهى شرح المحتاج (4/ 294) .

مصالح الأمر بالعقيقة وحِكَمُها [1] :

1 ـ التلطف بإشاعة نسب الولد : إذ لا بد من إشاعته؛ لئلا يقال فيه ما لا يحبه، ولا يحسن أن يدور فى السكك، فينادى أنه ولد لى ولد، فتعين التلطف بمثل ذلك .

2 ـ ومنها : اتباع داعية السخاوة، وعصيان داعية الشح .

3 – ومنها : أن النصارى كان إذا ولد لهم ولد صبغوه بماء أصفر، يسمونه المعمودية ، وكانوا يقولون : يصير الولد به نصرانيًا ، وفى مشاكلة هذا الاسم، نزل قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة : 138] . فاستحب أن يكون للحنيفيين فعل بإزاء فعلهم بذلك، يُشعر يكون الولد حنيفيًا، تابعًا لملة إبراهيم؛ وإسماعيل ـ عليهما السلام، وأشهر الأفعال المختصة بهما، المتوارثة فى ذريتهما، ما وقع منه عليه السلام من الإجماع على ذبح ولده، ثم نعمة الله عليه، أن فداه بذبح عظيم، وأشهر شرائعهما الحج الذى فيه الحلق والذبح، فيكون التشبه بهما فى هذا ، تنويهًا بالملة الحنيفية، ونداء أن الولد قد فُعل به ما يكون من أعمال هذه الملة .

4 ـ ومنها : أن هذا الفعل فى بدء ولادته، يخيل إليه أنه بذل ولده فى سبيل الله ، كما فعل إبراهيم عليه السلام وفى ذلك تحريك سلسلة الإحسان، والانقياد .

5 ـ أنها قربان يُقرَّبُ به عن المولود : فى أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الانتفاع، كما ينتفع بالدعاء له، وإحضاره مواضع المناسك، والإحرام عنه، وغير ذلك .

6 ـ أنها تفكّ ارتهان المولود : فإنه مرتهن بعقيقته، قال الإمام أحمد : مرتهن عن

[1] من (1) إلى (4) من كتاب (حجة الله البالغة) للدهلوى ـ رحمه الله - ومن (5 – 6) من (أحكام المولود) لابن القيم ـ رحمه الله .

الشفاعة لوالديه وقال عطاء بن أبى رباح : مرتهن بعقيقته قال : يحرم شفاعة ولد.

وجعل الله النسيكة عن الولد؛ سببًا لفك رهانه من الشيطان، الذى يعلق بـه، من حين خروجه إلى الدنيا، وطَعْنه فى خاصرته، فكانت العقيقة فداء، وتخليصًا لـه من حبس الشيطان له، وسجنه فى أسره، ومنعه له، مـن سـعيه فى مصـارع آخرتـه التى إليها معاده، فكأنه محبوس لذبح الشيطان له بالسـكين التـى أعـدها لأتباعـه وأوليائه، وأقسم لربه أنـه ليستأصـلن ذريـة آدم إلا قلـيلاً مـنهم، فهـو بالمرصـاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يبتدره عدوه، ويضمه إليه، ويحرص على أن يجعله فى قبضته، وتحت أسره، ومن جملة أوليائه وحزبه، فهو أحرص شىء على هذا وأكثر المولودين مـن أقطاعـه وجنـده ، كـما قـال تعـالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـدِ ﴾ [الإسراء : 64] .وقـال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [سبأ: 20] فكان المولود بصدد هـذا الارتهـان، فشرـع الله سـبحانه للوالـدين أن يفكاه بذبح يكون فداه، فإذا لم يذبح عنه بقى مُرْتهنًا به» .

ويبقى السؤال : ما هى الحكمة فى تخصيص اليوم السابع؟

فيجيب الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله :

وأما تخصيص اليوم السابع فلأنه :

«لا بد من فصل بين الولادة والعقيقة، فإن أهله مشـغولون بإصـلاح الوالـدة، والولد فى أول الأمر، فلا يكلفون حينئذ بما يضاعف شغلهم، وأيضًا فرب إنسان لا يجد شاة إلا بسعى، ولو كانت فى أول يوم؛ لضاق الأمر عليهم، والسبعة الأيام مـدة صالحة للفصل المعتد به غير الكثير .

وأما إماطة الأذى فللتشبه بالحاج، وقد ذكرنا .

وأما التسمية فلأن الطفل قبل ذلك لا يحتاج أن يسمى»[1] .

---

(1) حجة الله البالغة (2/ 144) .

«ولا تجوز العقيقة من مال المولود؛ لأن العقيقة تبرع، فإن فعل ذلك الولى ضمن، كما نقله النووى فى المجموع»[1] .

4 – ختان الطفل[2] :

تعريفه : لغة : قطع القلفة، أى : الجلدة التى على رأس الذَّكر .

وأما اصطلاحًا : هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة، أى : موضع القطع من الذَّكَر، وهو الذى تترتب عليه الأحكام الشرعية، كما روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى عن النبى ﷺ : «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل»[3] .

ما ورد فى الحض على الختان :

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : «من الفطرة : المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، والاستحداد[4]، والاختتان» .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«الفطرة خمس : الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط» .

وروى أحمد عن شداد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «الختان سنة للرجال، مكرمة للنساء»[5] .

---

(2) شرح المحتاج (4/ 293) .

(3) انظر : البخارى ، كتاب (77) باب (63) وكتاب (79) باب (51) ومسلماً، كتاب (2ح49، 50) وأبا داود كتاب (32) باب (16) والترمذى كتاب (41) باب (14) والنسائى كتاب (8) باب (1، 75) ومسند أحمد (2/ 229 – 239 – 283 – 140 – 489 ، 4/ 264) .

(1) صحيح : انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1261) .

(2) الاستحداد : حلق الشعر الذى يخرج حول الفرج .

(3) قال ابن جزىّ : سنة مؤكدة عند مالك وأبى حنيفة، وقال الشافعى : فرض . انظر : القوانين الفقهية لابن جزى .

وهكذا نجد اهتمام الإسلام وحرصه على ختن الصبى[1] والبنت . وذلك يبدأ بعد اليوم السابع، وذلك لما رواه البيهقى عن جابر ﷺ أنه قال : «عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام» .

وقال ابن جزىّ : «ويكره الختان يوم الولادة، ويوم السابع، لأنه من فعل اليهود» .

وأول من اختتن هو سيدنا إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة؛ وذلك ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ: «أن إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة»، وفى رواية : «أنه أول من أضاف الضيف وأول من لبس السراويل، وأول من اختتن» .

واستمر الختان بعده فى الرسل وأتباعهم،حتى بعثة الرسول ﷺ، وإن الختان هو سنة الأنبياء والمرسلين تقتدى بهم البشرية لتحظى بالاتباع السليم .

فقد روى الترمذى والإمام أحمد عن أبى أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : «أربع من سنن المرسلين : الختان، والتعطر، والسواك، والنكاح» .

وروى البخارى عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس - رضى الله عنهما : مثل من أنت، حين قُبض رسول الله ﷺ؟ قال : «أنا يومئذ مختون، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يُدرك» .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (3/ 534) : «توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة وقد ختنت» .

ويستحب الدعوة لطعام الختان، وهو «الإعذار» ولا يفعل ذلك فى خفاض النساء للستر[2] .

---

(4) قال ابن جزى : يختن الرجال الصبيان ، ويخفض النساء الجوارى .

(1) انظر : القوانين الفقهية لابن جزى (ص 214) .

«ومن آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين فى أمر الختان : ما أورده ابـن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 776) باب الختان ، نقتطف منه بعض الآثار :

عن نافع قال : كان ابن عمر يُطعم على الختان .

وعن سعيد بن عبد العزيز : أن مكحولاً قال لنافع : كان ابن عمر يُجيب دعـوة صاحب الختان إلى طعامه؟ قال : نعم .

وعن القاسم قال : أرسلتْ إلىّ عائشة ـ رضى الله عنها ـ بمائة درهـم، فقالـت : أطعم بها على ختان ابنك .

وعن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه ختن بنيه، فأرسلنى، فجئتُـهُ بِلعَّابين فلعبوا، وأعطاهم أربعة دراهم .

وعن عياض بن محمد الرقىّ قال : سألت عبد الله بن يزيد : هل رأيت واثلة بن الأسقع ﷺ؟ قال : نعم، كان فى ختان ابنه حين صنع طعامًا، ودعا الناس إليه، وكان مؤتزرًا بسبتة غليظة، مع صراحيَّتان، فيهما طلاء على الثلث، يسقيه الناس، ويقول : اشربوا بارك الله فيكم .

وقد درج السلف والخلف على إشهار هذه السنة المباركة والاحتفاء بها، وكـانوا يتوسعون فى ذلك حتى يضربوا على الدفوف، فعن محمد بن سيرين قال : إن عمر ﷺ كان إذا سمع صوت دُفّ أنكر ، فقالوا : عرس، أو ختان، سكت[1] .

ومن شدة حرص الإسلام على الختـان أنـه إذا أسـلم رجـل، ولم يكـن مختونًـا، وجب عليه الختان، بالإضافة إلى الغسل، وذلك لما رواه أحمد وأبـو داود عـن عثـيم ابن كليب، عن أبيه، عن جده، أنه جاء إلى النبى ﷺ فقال : قد أسلمت قال : «ألـق[2]

(1) انظر : كتاب العيال (2/ 785) تعليقة د . نجم خلف محقق الكتاب، وعزا الأثر إلى كتاب (مناقب عمر) لابن الجوزى (ص 179) .
(2) أى : احلق شعر رأسك .

عنك شعر الكفر، واختتن» .

وروى حرب فى مسائله عن الزهرى أن رسول الله ﷺ قال : «من أسلم فليختتن، وإن كان كبيرًا» .

ومن شدة الاهتمام كذلك أنه لا تُقبل صلاة للأقلف ـ غير المختون ـ فقد روى وكيع عن سالم، عن عمرو بن هرم، عن جابر، عن يزيد، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «الأقلف لا تُقبل له صلاة ، ولا تؤكل ذبيحته» .

ومن شدة الاهتمام كذلك ما قاله ابن قتيبة [1] فى قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة : 138] يريد : الختان، فسماه صبغة؛ لأن النصارى كانوا يَصْبُغُون أولادهم فى ماء، ويقولون : هذا طهرة لهم، كالختان للحُنفاء، فقال الله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أى : الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام .

ومن اللطائف الفقهية فى أمر الختان ما ذكره الخطابى : «أما الختان ـ وإن كان مذكورًا فى جملة السنن ـ فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر، إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين، صُلى عليه، ودفن فى مقابر المسلمين»[2] .

وفى الآونة الأخيرة عقدت مؤتمرات عالمية للنساء، تطاولت فيه على أحكام ختن النساء عند المسلمين، وهذا التطاول نابع من جهلهن بأحكام الشرع، ومن جهل بعض المسلمين بأحكام ختان البنت وطريقته . ولهذا وجب توضيح الأمر للجميع .

إن ختان البنت يتدرج حكمه من الاستحباب إلى الوجوب، حسب الآراء الفقهية، وذلك حسب البلاد الحارة أم الباردة، أو حسب ظهور حجم القطعة التى

(3) تأويل مشكل القرآن (ص 149) .
(1) انظر : تربية الأولاد فى الإسلام .

ستقطع؛ حيث يكون ختان الأنثى بقطع ما يطلق عليه الاسم من الجلدة التى كعرف الديك، فوق مخرج البول، والسنة فيه ألا تقطع كلها بل جُزْء منها[1] : وذلك لحديث أم عطية ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبى ﷺ : «لا تنهكى؛ فإن ذلك أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل» رواه أبو داود[2] .

فقد أظهر النبى ﷺ علة ختان البنت وكيفية مقداره فقوله ﷺ : «لا تنهكى» يدعوها لعدم الأخذ الكامل وإنما شيئًا قليلاً، وهذا الشىء القليل لمن كان فى جوّ المدينة المنورة الحارة، فلو كان فى المناطق الباردة فقد لا تحتاج إلى الأخذ والقطع، ولا يجوز فى أى حال من الأحوال الأخذ الكثير الذى يُذهب بالبنت بحيث لا تعود تحس بالجنس .

فالموضوع نسبى حسب البلاد وحسب حجم القطعة اللحمية، وأن الهدف منه (أحظى للمرأة، وأحب للبعل) وليس أمرًا آخرًا ـ والله أعلم .

ثالثًا : عمل يوم الأربعين للنفساء :

وتطهر النفساء بعد مرور أربعين يومًا من ولادتها، فتغتسل وتتطيب، وكانت نساء الصحابة يساعدن النفساء على التطيب والادهان بالوَرْس :

روى أحمد وأبو داود والترمذى والدارقطنى والحاكم والبيهقى[3] عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ ـ قالت : كانت النُّفَسَاءُ تقْعد بعد نفاسها أربعين يومًا، وكانت إحدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف» .

قال أبو حنيفة اللغوى : الورس يُزرع زرعًا، وليس ببر ، ولستُ أعرفه بغير أرض العرب، ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن . وقال ابن القيم ـ رحمه الله : وقوته فى

---

(2) المجموع للنووى (1/ 302)، والبناية على الهداية (1/ 273) .
(3) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (19/ 28) .
(1) انظر : زاد المعاد (4/ 402 ـ 403) مع هامش التحقيق .

الحرارة واليبوسة فى أول الدرجة الثانية، وأجوده الأحمر، اللين فى اليد، القليل النخالة، ينفع من الكلف؛ والحكة، والبثور الكائنة فى سطح البدن إذا طُلى به، وله قوة قابضة صابغةٌ، وإذا شُرب نفع من الوَضح، ومقدارُ الشربة منه وزنُ الدرهم».

رابعًا : الرضاعة إلى الحولين والفطام[1] :

إن الإسلام حين ربط الرجل والمرأة برباط الزوجية، وجمعهما فى مستقر واحد هو الأسرة، حمّل كلا منهما المسؤولية؛ لتكوين اللبنة الصالحة، فى بناء المجتمع الصالح، وجعل لكل من الزوجين واجبات وحقوقًا، فعلى الزوج الإنفاق، وعلى الزوجة الإرضاع، إرضاع طفلها المولود، الذى هو بحاجة إلى أن تتلمس يداه صدر أمه؛ ليجد المتعة النفسية، والراحة العاطفية، ويتغذى لبن أمه مع الحنان الدافق، ويمصّ حليب أمه من ثدييها، اللذين هيأهما الخالق جل وعلا لذلك، وهيأ المعمل الذى يولد الحليب فى صدر الأم؛ فقيرة كانت أو غنية، وذلك للحفاظ على نشأة الطفل الصغير؛ والمولود الجديد؛ فى هذا العالم الغريب .

وإن رسول الله ﷺ قد رضع رضاعة طبيعية من مرضعاته، كما أنه ﷺ كان يسترضع لأولاده، وكانت زوجته خديجة ـ رضى الله عنها ـ تُعِدُّ ذلك قبل ولادها، كما ذكره ابن سعد (1/ 133) عن ابن إسحاق .

وفى تاريخ دمشق لابن عساكر ق1/ 105 : كانت خديجة ـ رضى الله عنها ـ إذا ولدت ولدًا دفعتُه إلى من يُرضعه، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحدٌ غيرها [2] .

لقد كانت عادة العرب الإرضاع، بل إنها عادة الإنسانية جميعًا من قبل، فأخبر القرآن عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص : 12]

---

(2) يكفى أن تعلم أنه يوجد فى الكتب التسعة (381) واحد وثمانون وثلاثمائة حديث عن الرضاعة، لما لها من أهمية ، فذكرت أهم أبوابها ، وبالله التوفيق .

(1) انظر : الجامع فى السيرة النبوية (1/ 207) .

ونشأ رسول الله ﷺ على الإرضاع، فأرضعته حليمة السعدية، فأصبحت بذلك أمه من الرضاع، وجعل الله تعالى لهذا الإرضاع أحكامًا شرعية، فمنها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [النساء : 23] . وقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه مسلم .

ولم يعرف الحليب والإرضاع الاصطناعيان إلا فى هذا العصر، الذى ما لبث أن عاد ينادى، وبصراخ شديد للعودة إلى الإرضاع الطبيعى . والمسلم الملتزم بالشرع الإسلامى لم يكن فى حاجة إلى التنقل من الإرضاع الطبيعى إلى الاصطناعى، ثم الطبيعى، فهو يستقى من منهج الله تعالى، ويسير عليه، حتى جاء الخطاب القرآنى إلى الأم يدعوها بالاهتمام برضاعة طفلها من صدرها، فى أحلك الظروف الصعاب على الرغم من سوء العلاقة مع زوجها، وحتى بعد طلاقها من زوجها . إنه الاهتمام بالطفل، والتشريع الربانى للطفل، والعدل الإلهى فى حق هذا الطفل : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة : 233] .

ذكر البخارى ـ كتاب النفقات ـ عن الزهرى قال : نهى الله أن تُضارَّ والدةٌ بولدها، وذلك أن تقول الوالدةُ : لستُ مُرضعته، وهى أمثل له غذاء، وأشفق عليه، وأرفق به من غيرها، فليس لها أن تأبى بعد أن يعطيها من نفسه، ما جعل الله عليه، وليس للمولود له أن يُضار بولده، والدته فيمنعها أن ترضعه ضرارًا لها إلى غيرها، فلا جناح أن يسترضعا، عن طيب نفس الوالد والوالدة» . انتهى .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ ﴾ [الطلاق : 6] .

«إن على الوالدة المطلقة واجبًا تجاه طفلها الرضيع، واجبًا يفرضه الله عليها، ولا يتركها فيه لفطرتها، التى قد تفسدها الخلافات الزوجية، فيقع الغرم على هذا

الصغير . إذًا يكفله الله ويفرض له فى عنق أمه الإرضاع ، وتأخذ من أبيه الأجر، فالله أولى بالناس من أنفسهم، وأبرّ منهم، وأرحم من والديهم، والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه ـ سبحانه ـ يعلم أن هذه الفترة هى المثلى من جميع الوجوه : الصحية، والنفسية للطفل.

(لمن أراد أن يتم الرضاعة) : وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية؛ لينمو الطفل نموًا سليمًا، من الوجهتين الصحية والنفسية، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لا تتركهم، حتى يعلموا هذا من تجاربهم ، فالرصيد الإنسانى من ذخيرة الطفولة؛ لم يكن ليترك يأكله الجهل، كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده، وبخاصة بهؤلاء الصغار الضعاف، المحتاجين للعطف والرعاية[1] .

ولم يكتف الإسلام أن يحافظ على رضاعة الطفل بعد طلاق أبويه، بل تعدى ذلك بأن أخّر إقامة الحد على أمه الزانية، وذلك حتى تنتهى رضاعته من ثدى أمه، إنها الرحمة بالطفل، والحرص عليه، أن ينشأ قوى الجسم، صحيحًا غير سقيم :

روى الإمام أحمد فى مسنده (5/ 348) قصة المرأة الغامدية التى زنت، فقال لها النبى ﷺ : «ارجعى حتى تلدى»، فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله، فقالت : يا نبى الله، هذا قد ولدت، قال : «فاذهبى، فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته جاءت بالصبى، فى يده كسرة خبز، قالت : يا نبى الله، هذا قد فطمته، فأمر النبى ﷺ بالصبى فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها، فحفر لها حفرة .. وذكر حديث الرجم .

وأكد الطبيب البارع ابن سينا على أهمية الرضاعة الطبيعية بقول: «إنه يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه، فإن فى إلقامه ثدى أمه عظيم النفع جدًا فى دفع ما يؤذيه» .

---

(1) الظلال (2/ 371) (ط 4) .

أما الطبيب البلدى فقال : «فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال، إن لم يكن لها علة، أو سبب يفسد اللبن»[1] .

ويضيف أن الإرضاع فيه : «سلامة الأم والطفل، ونفع له ولها، وحفظ لصحتها وصحته» .

وهنا نجد أن الطبيب البلدى قد سبق أطباء اليوم؛ فى إثبات الرضاعة من ثدى الأم، حيث يقيها عددًا من الأمراض منها سرطان الثدى .

وإن عمر بن الخطاب ﷺ كان لا يفرض [2] لمولود حتى يُفطم، فتراجع عن ذلك، وفرض له من حين ولادته، حتى تطول فترة الإرضاع ، فبينما هو يطوف ذات ليلة بالمصلى، بكى صبى، فقال لأمه : أرضعيه، فقالت : إن أمير المؤمنين لا يفرض لمولود حتى يفطم، وإنى فطمته، فقال عمر : إنْ كدتُ لأن أقتله؛ أرضعيه، فإن أمير المؤمنين سوف يفرض له، ثم فرض بعد ذلك للمولود حين يولد [3] . وبذلك تحقق وعد الله تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : 13] من اللحظة الأولى .

وللرضاعة من ثدى الأم مزايا عديدة ومتنوعة :

إن الطفل تكوَّن من غذاء أمه وهو جنين، فهو يتابع غذاءه بحليب أمه وهو رضيع، فالحليب الطبيعى هو امتداد لتكوينه، وهذا من أقوى الأسباب للرضاعة الطبيعية . وهناك حكم ذكرها بعض الأطباء منها :

1 ـ فالطفل يرضع لبنًا نظيفًا معقمًا .

---

(1) تدبير الحبالى والأطفال والصبيان : تأليف أحمد بن محمد بن يحيى البلدى، تحقيق : الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، وزارة الثقافة العراقية (ص 186) .

(2) فى عصرنا يسمى علاوة ، أى : زيادة الراتب الشهرى للموظف الحكومى، عندما يرزق بمولود، إلا أن عمر ﷺ كان يفرض مالاً لوالده سواء كان موظفًا حكوميًا، أو غير حكومى، وهذا سبق حضارى لعمر ﷺ .

(1) مصنف عبد الرزاق (5/ 311) .

2 ـ ليس باردًا، ولا حارًا .

3 ـ متوافرًا فى كل الأوقات .

4 ـ لا يفسد بالتخزين .

5 ـ لا يتناسب مع معدة الرضيع .

6 ـ يفى باحتياجات الطفل الرضيع .

7 ـ يُضفى على الطفل مناعة خاصة ضد الجراثيم .

8 ـ الرضاعة المباشرة من ثدى الأم تمنع حدوث البدانة فى الأطفال، وفى الأمهات[1].

9 ـ والرضاعة من ثدى الأم تنمى الحنان، وتقوى الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها[2] .

وعملية الرضاعة عندما تصاحبها النية الحسنة، وطلب مرضاة الله، فإنها تؤتى أكلها كل حين بإذن الله، ولهذا روى أن عمرو بن عبد الله قال لامرأته التى ترضع ابنًا لها : «لا يكونن رضاعك لولدك، كرضاع البهيمة ولدها، قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه، تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق، عسى أن يوحد الله، ويعبده»[3] .

وحليب الرضاعة له تأثير روحى ونفسى على الطفل؛ لذا ورد فى القرآن عن طفولة سيدنا موسى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص : 12] فكان تأييد الله

(2) ومن فوائده أيضًا : يعود الرحم إلى وضعه وحجمه الطبيعى بسرعة أثناء الرضاعة، ولولا ذلك لأصيبت الرحم بسرعة بالإنتان وحمى النفاس، والإرضاع المتواصل من الثدى هو أحد العوامل الطبيعية لمنع الحمل . عن كتيب (أمومة وطفولة فى السنة الأولى)، ويسمى أيضًا (كتاب باونتى للعناية بالطفل) ط 12 .تأليف عدة أطباء بريطانيين .

(1) مقال (اهتمام الإسلام بتغذية الطفل) للدكتوى فاروق مساهل، مجلة الأمة القطرية، عدد (50/ 1405) .

(2) نصيحة الملوك للماوردى (ص 166) .

تعالى لنبيه وهو صغير أن يُرجعه لترضعه أمه .

أما نبينا محمد ﷺ فقد اختار له طفولة البادية، ورضاعة حليمة السعدية؛ لينشأ عوده قويًا صلبًا، ويستنشق الهواء العليل فى البادية، وليكون فى رعاية الله منذ اللحظة الأولى من حياته، وحتى لا يكون لأحد عليه منّة حتى حليمة، فإن بركاته زادت عليها [1] .

وقد كان السلف الصالح يوصون الآباء والأمهات باختيار المرضعات الصالحات، وذلك لتأثير حليب المرضع صلاحًا وطلاحًا على نفس الطفل .

والسعيد من يحظى بالمرضعة الصالحة، فإن كانت الأم صالحة فقد ازداد الكمال، والهناء للطفل، فإن كانت حافظة لكتاب الله أو لسور وأجزاء منه فترضعه الحليب وهى ترتل القرآن ، أو تذكر الله تعالى ، أو تصلى على النبى ﷺ، وتستحضر نية صالحة فى إرضاعه؛ ليكون فى المستقبل وفيًا، صادقًا، محبًا، مخلصًا لله، ولرسوله، وللمؤمنين .

أخرج أبو نعيم فى الحلية (2/ 147) وأسنده قال : كان الحسن (البصرى) ابنًا لجارية أم سلمة زوج النبى ﷺ، فبعثت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ جاريتها فى حاجتها، فبكى الحسن بكاءً شديدًا، فرقَّت عليه أم سلمة ﵂ فأخذته، فوضعته فى حجرها، فألقمته ثديها؛ فدرَّ عليه، فشرب منه، فكان يقال : إن المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة؛ من ذلك اللبن الذى شربه من أم سلمة زوج النبى ﷺ .

وكان الأعمش يقول : ما زال الحسن البصرى يعى الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء .

ومن فوائد الرضاع الطبيعى العظيمة الخالدة : توسيع باب الرحمة على المرأة التى لا

(1) سيأتى بيان ذلك فى الفصل الثالث ـ المبحث الثانى .

تنجب لأى سبب كان ، فترضع أختها بعض الأطفال، فتصبح خالتهم من الرضاع، فيضفون عليها حيوية الأولاد ، ويدخلون عليها فى كبرهم لمساعدتها، إذ القاعدة النبوية قوله ﷺ : «يحرُم من الرضاع ما يحرُم من النسب» . رواه مالك وغيره .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كان يدخل عليها من أرضعته أخواتُها وبناتُ أخيها، ولا يدخل عليها من أرضعه نساءُ إخوتها . رواه مالك .

روى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أفلح أخا القُعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة، بعد أن نزل الحجاب، فأبيت أن آذن له، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذى صنعت، فأمرنى أن آذن له . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود ومالك .

وقد اعتبر النبى ﷺ شهادة المرضعة كافية لإثبات الرضاعة، وتطبيق أحكامها من حرمة زواج الأخ بأخته من الرضاعة : روى البخارى ـ كتاب الشهادات ـ عن عُقبة بن الحارث أنه تزوج ابنةً لأبى إهَاب بن عزيز، فأتتهُ امرأةٌ، فقالت : قد أرضعت عقبة، والتى تزوج، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتنى، ولا أخبرتنى، فأرسل إلى آل أبى إهاب يسألهم، فقالوا : ما علمنا أرضعت صاحبتنا، فركب إلى النبى ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول اللهﷺ : «كيف وقد قيل؟! » ففارقها، ونكحت زوجًا غيره .

تلك عظمة الإسلام التشريعية : أنه دين الطهارة والعفة، والمحافظة على النسب، وهذا لا يوجد إلا عند المسلمين فقط، وفى ذلك عبرة لأولى الألباب من الأمم .

وعند عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان يقول : لا رضاعة إلا لمن أرضع فى الصغر، ولا رضاعة لكبير .

وقال سعيد بن المسيب : لا رضاعة إلا ما كان فى المهد، وإلا ما أنبت اللحم والدم . رواهما مالك .

وقد قال الحنفية والمالكية : بالرضاعة الواحدة ما دامت الرضعة فى فترة الحولين .

ومن عجائب الاهتمام برضاعة الطفل : أن يجيز بعض الفقهاء الإرضاع والأم فى الصلاة ساترة ثديها، حتى لا تتوقف الوجبة الغذائية لهذا الصغير، وحتى لا تكون فريضة عبادة الصلاة عائقًا فى قطع رضاعة الصغير الواجبة، إنه اجتهاد وجيه .

قال ابن المنذر فى كتابه (الأوسط) (3/ 278) : «واختلفوا فى المرأة ترضع صبيها وهى تصلى، فقال الأوزاعى مرة : قطعت صلاتها، وقال مرة : إن كان من ضرورة فلا بأس به، وقال أبو ثور : إن لم ينكشف ثديها، فصلاتها تامة» .

ومن الأمور المكروهة أثناء الإرضاع : حمل المرأة وهى مرضع، فتفسد لبنها بحملها، وبالتالى يُحرم الطفل الرضيع من الإرضاع الطبيعى، وهذا ما حذر منه ﷺ، فعن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يكره عشر خلال، وذكر منها «... وفساد الصبى» . أخرجه أبو داود والنسائى . وفساد الصبى : هو المسمى بالغيلة، وهو حمل المرأة المرضع، فيفسد لبنها .

وبعد انتهاء مُدة الرضاع لابد من الفطام بالتدريج، شيئًا فشيئًا، ورويدًا رويدًا لينتقل الطفل إلى الطعام، وهنا لابد من حزم فى رحمة، وجزم فى عطف، وصبر فى تؤدة، فالطفل سيصيح ويبكى ويتمرد، فكل ذلك يحتاج إلى صدر حليم، ونفس واسعة، ورفق وأناة .

دخل الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى يومًا داره، فسمع بكاء ولد له رضيع، فقال : ما له ؟! فقالوا : فطمناه ، فكتب على مهده :

منعــوه أحــب شــيء إليــه من جميع الورى ومن والديه
منعــوه غــذاءه ولقــد كــان مباحًــا لــه وبــين يديــه
عجبًا منه ذا عـلى صـغر السـن هوى فاهتدى الفـراق إليـه[1]

خامسًا : حكم بول الطفل الرضيع، وكيفية تطهيره :

روى الإمام مسلم فى صحيحه عددًا من الأحاديث النبوية فى كيفية غسل بـول الطفل الرضيع، فأورد :

1 ـ عن عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ أن النبـى ﷺ كـان يـؤتى بالصـبيان، فيـبرك عليهم، ويحنكهم، فأتى بصبى فبال عليه، فدعا بماء ، فأتبعه بوله، [2] ولم يغسله .

2 ـ وفى رواية لها أيضًا قالت : أُتى رسول الله ﷺ بصبى يرضع، فبال فى حجره، فدعا بماء فصبه عليه .

3 ـ وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها، لم يأكل الطعـام، فوضعته فى حجره، فقال : فلم يزد على أن نضح بالمـاء . وفى روايـة : فـدعا رسـول اللهﷺ بماء فنضحه على ثوبه، ولم يغسله غسلاً .

فذهب الشافعى إلى النضح، والحنفيـة والمالكيـة إلى الغسـل، وأمـا كـون بـول الصبى نجسًا، فهذا مجمع عليه، كما نقل النووى ـ رحمه الله[3] .

وعن أم الفضل (لبابة بنـت الحـارث زوج العبـاس بـن عبـد المطلـب وأخـت ميمونة زوج النبى ﷺ) قالت : رأيت كأن فى بيتى طيفًا من رسـول الله ﷺ، فـذكرت ذلك ، فقال : « خيرٌ إن شاء الله، تلد فاطمة غلامًا تكفلينه بلبن ابنك قـثم» قالـت :

---

(1) انظر : مقدمة (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق) للحافظ الخرائطى، تحقيق : محمد مطيع الحافظ .
(2) وفى رواية البخارى : فبال على ثوبه فدعا بماء ، فأتبعه إياه.
(1) شرح صحيح مسلم ، باب : حكم بول الطفل الرضيع ، وكيفية غسله .

فولد حسنًا، فأعطانى فأرضعته، ثم جئت به فأجلسته فى حجره؛ فبال عليه، فضربت بيدى على كتفيه، فقال : «ارفقى! أصلحك الله ـ أو رحمك الله ـ أوجعت ابنى» . قالت : فقلت : اخلع إزارك، والبس ثوبًا غيره حتى أغسله، قال : «إنما يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 874) وقال محققه : إسناده حسن، ورواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة والطبرانى والحاكم، وصححه، وأقره الذهبى، والبيهقى .

وعن على ﷺ عن النبى ﷺ قال : «يرش بول الغلام، ويغسل بول الجارية» . قال قتادة : فيهما جميعًا ما لم يأكلا الطعام، فإذا أكلا الطعام غسلا جميعًا . رواه ابن أبى الدنيا (2/ 876)، وقال محققه : حديث حسن .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : بال ابن الزبير على النبى ﷺ فأخذته أخذًا عنيفًا، فقال : «دعيه، فإنه لم يطعم الطعام، ولا يضر ـ بوله» . رواه ابن أبى الدنيا (2/ 778)، وقال محققه : إسناد ضعيف .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : كنت عند رسول الله ﷺ فجىء بالحسن، أو الحسين، فبال عليه، فأراد بعضُ القوم أن يتناوله، فقال : «ابنى! ابنى!»، فلما قضى بوله صبَّ عليه الماء . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 878)، وقال محققه : إسناده حسن .

سادسًا : جواز اصطحاب الأم رضيعها إلى المسجد :

يجوز للأم أن تحمل رضيعها للذهاب إلى المسجد؛ حتى تصلى فى جماعة، إذا رغبت، وأذن لها زوجها، ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ كان يخفف صلاته، ويسرع فيها؛ رأفة ورحمة بالصغير، مخافة أن تفتن أمه بالصلاة، وهى تسمع بكاءه، فروى عبد الرزاق فى مصنفه عن ابن جريج قال: أخبرنى عطاء أنه بلغه أن النبى ﷺ قال : «إنى لأخفف الصلاة؛ أسمع بكاء الصبى؛ خشية أن تفتن أمه» . وروى أنه ﷺ قرأ

بالمعوذتين فى صلاة الفجر يومًا، لما فرغ قالوا : أوجزت! فقال ﷺ : «سمعت بكاء صبى فخشيت على أمه أن تفتن» . قال الكاسانى فى «البدائع» معلقًا : «دل أن الإمام ينبغى أن يراعى حال قومه، ولأن مراعاة حال القوم سبب لتكثير الجماعة، فكان ذلك مندوبًا إليه» .

وعن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبى مع أمه، فيقرأ بالسورة القصيرة، أو الخفيفة». رواه ابن خزيمة فى صحيحه (3 / 50) قال المحقق مصطفى الأعظمى : ورواه مسلم .

وعنه أيضًا : أن النبى ﷺ قال : «إنى لأدخل فى الصلاة، فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز فى صلاتى، مما أعلم من وجد أمه، من بكائه» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (3 / 50) ورواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لأحمد (3 / 188) عن أنس ﷺ قال : سمع النبى ﷺ نداء صبى وهو فى الصلاة؛ فخفف، فظننا إنما فعل ذلك رحمة للصبى، إذ علم أن أمه معه فى الصلاة» .

بل إن رسول الله ﷺ ليحمل الطفل الصغير فى الصلاة المكتوبة : قال ابن المنذر فى كتابه (الأوسط) (3 / 277) : «وللمرء أن يحمل الصبى فى الصلاة المكتوبة والتطوع . ثبت أن نبى الله ﷺ حمل أمامة ابنة أبى العاص فى الصلاة، ثم روى بسنده عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ صلى بهم، وعلى عنقه أمامة ابنة أبى العاص، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها»[1] . وبهذا قال الشافعى، وأبو ثور .

فالطفل الرضيع بحاجة إلى لمسة حانية، وذراع يحمله؛ ليتحسس والديه وأجداده، فهو يتعرف على العالم الخارجى، ولم يمنع الرسول ﷺ أن يحمله وهو فى الصلاة . فأى اهتمام عظيم يبلغ مثل الاهتمام النبوى بالطفل؟! وأىّ عظمة فى

(1) قال محقق كتاب الأوسط د . صغير حنيف : أخرجه مسلم، وابن خزيمة .

القدوة الصالحة أعظم من الاقتداء بالرسول ﷺ فى حمل الطفل فى الصلاة؟!

وهكذا تمتزج العبادة بالعبادة بلا انفصال فى المنهج النبوى، عبادة الصلاة، وعبادة المودة والرحمة بالصغير، وهكذا يتعلم الأعراب الغلاظ فى الصحراء من رسول الإنسانية معانى اللطف بالصغير، والرحمة به، والمؤانسة لمشاعره .

سابعًا : كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد فى مرحلة عدم تعوّده ضبط التبول والتبرز :

فى هذه المرحلة حيث لا يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ولا أن يذهب إلى الحمام لقضاء حاجته، ولا يستطيع أن يعبر لأحد والديه بحاجته للخلاء؛ فإنه لا يؤخذ إلى المسجد، بل إن رسول الله ﷺ نهى الآباء والأمهات أن يأخذوا الطفل فى هذه المرحلة إلى المسجد .

روى ابن ماجه وعبد الرزاق فى مصنفه عن واثلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال : «جنبوا مساجدكم : صبيانكم ... » الحديث وسنده ضعيف .

فإذا اضطر أحد الوالدين لدخول المسجد والصلاة فيه، فإن الأفضل والأحسن، والأهنأ لهما وللطفل، أن يُعرض الطفل على بيت الخلاء فى المسجد (الحمام) ليفرغ مخزونه من البول والغائط، فإن ذلك حيطة له من أن يستعجل عليه البول والغائط داخل المسجد، كما أنه راحة واطمئنان للوالدين ـ والله أعلم .

ثامنًا : حق الحضانة للأم :

«إن تربية النشء، والعناية بهم فى حال الصغر، هو ما يعرف فى الفقه بالحضانة، فإن النساء عليه أقدر من الرجال، لما فُطرن عليه من مزيد العطف والحنان والصبر؛ ولهذا قُدم النساء فيه على الرجال، فكانت الأم مقدمة فيه على الأب ومن وراءه؛

والجدة مقدمة فيه على الأب والجد ومن وراءهما من الرجال» [1].

روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت : يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى لـه حـواء، وإن أباه طلقنى، وأراد أن ينزعه منى، فقال : «أنت أحق به، ما لم تنكحى» .

تاسعًا : حق الولاية للأب « ولى أمر الطفل »[2] :

«إن أمور رعاية الأولاد، والإشراف عليهم، وإدارة مـالهم وتـأديبهم، وتـوجيههم إلى حرفة، وتعليمهم، وكذلك أمور القضاء، وإقامة الحدود، وهو ما يعرف فى الفقه بـ : «الولاية» فإن الرجال عليها أقدر من النساء، لما فُطروا عليه من القوة والشدة والثبـات، ولهذا قُدم الرجال فيه على النساء، وحكمٌ لا حق للنساء فيه، مع غناء الرجال» .

وبذلك ظهرت عدالة الإسلام تجاه الطفل الصغير الـذى انفصـل والـداه عـن بعضهما، حيث نظر الإسلام إلى مصلحة الصغير أين هى، فيكون مع الأم أو الأب، فحتى السابعة للصبيان، والتاسعة للبنات يكون مع الأم؛ لأنـه بحاجـة إلى الرعايـة البيتية، والعناية الأمومية، والحب والعطف والحنان، حتى إذا خرج من البيت، وبدأ يغدو إلى المدرسة، فإنه بحاجة إلى ولاية أمام الآخـرين، فيحتـاج الطفـل إلى رجـل، أى : إلى معونة أبيه أكثر من معونة أمه، ولعل كذلك من الحكم فى تقسـيم الإسـلام لتلك المسؤولية أن يشعر الزوجان المطلقان ضرورة الرجـوع لبعضـهما، بـأن يكـون أطفالهم رسل حب يتأجج، وحث القلوب المتنافرة إلى التقارب، وعـلى كـل حـال : فالتشريع الإلهى لا يحابى أمًا وأبًا .

عاشرًا: بكاءالطفل وأسبابه :

1 ـ بكاء الطفل عبادة :

---

[1] انظر الموضوع ملخصًا ومرتبًا بشكل فقهى فى كتاب (أحكام المرأة فى الفقه الإسلامى) للدكتور أحمد الحجى الكردى (ص 149، 150) .

[2] المصدر السابق .

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ رفعه : «بكاء الصبى إلى شهرين شهادة أن لا إله إلا الله، وإلى أربعة أشهر الثقة بالله، وإلى ثمانية أشهر الصلاة على النبى ﷺ، ولسنتين استغفار لوالديه، وإذا استسقى أنبع الله له من ضرع أمه عينًا من الجنة، فيشرب، فيجزئه من الطعام والشراب» أخرجه الديلمى بسند ضعيف .

وفى لفظ لغيره : «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم سنة، فإن أربعة أشهر منها يشهد أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر يصلّي عليَّ، وأربعة أشهر يدعو لوالديه، وفى آخر بكاء الصبى فى المهد أربعة أشهر توحيد، وأربعة أشهر صلاة على نبيكم، وأربعة أشهر استغفار لوالديه »[1] .

2 – بكاء الطفل من مرض ، أو وجع ، أو من عين حاسدة :

روى الإمام مالك فى الموطأ عن عروة بن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة، وفى بيتها صبى يبكى، فذكروا أن به العين، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسترقون له من العين ؟!» .

3 – بكاء الطفل لاحتياجه الرضاعة :

عن أبى عمرو محمد بن مِهْزَم قال : كانت أم الحسن البصرى (واسمها خيرة، وهى مولاة أم سلمة زوج النبى ﷺ) تدخل على أم سلمة فتبعثها فى الحاجة، فيبكى الحسنُ ـ وهو صغير ـ فتُسْكتُه أم سلمة بثديها . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 412) .

4 – أجر من يُسكت الطفل الباكى :

عن سعيد بن المُسَيَّب قال : اليتيم إذا بكى اهتز له العرش، فيقول الله عز وجل : من أبكى اليتيم الذى غَيَّبْتُ أباه؟! قالوا : أنتَ العليم الحكيم .

---

[1] انظر : القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع، للحافظ السخاوى (ص 60) .

قال : يا ملائكتى، من سكّته برضاه أعطيتُه من الجنة حتى رضاه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 816) .

وعن أبى الدرداء قال : «اتقوا دمعةَ اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنهما يسيران بالليل والناسُ نيام» .

5 – المسارعة إلى الطفل عند بكائه :

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه (12/ 99) عن يحيى بن أبى كثير : أن النبى ﷺ سمع بكاء الحسن والحسين، فقام فَزِعًا، فقال : «إن الولد فتنة، لقد قمتُ إليه وما أعقل» .

6 – بكاء الصغير تدريب لحباله الصوتية :

ولعل فى بكاء الصغير، وهو الطرى الندى فى كافة أعضائه، تدريب لحباله الصوتية حتى تقوى، وتنشيط لدورته الدموية، وإثبات منه لوجوده فى عالم الواقع، وذلك حتى إذا حصل له طارئ أو مفاجئ أو إزعاج داخلى تعلم من حوله ـ بفضل بكائه ـ السرعة نحوه، وذلك لإنقاذه من وضع مزعج بالنسبة إليه، أو ألم داخلى يعانيه، فالتدريب له فى أوقات الرخاء والراحة، حتى يستخدم تلك الحنجرة فى الأوقات الصعبة والخطرة . والله أعلم .

حادى عشر : تنقيز (ترقيص) الطفل ومداعبته بالأناشيد :

قام رسول الله ﷺ بترقيص سبطيه على صدره الشريف، وإسماعهم كلامًا بنغمات وقافية، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمع أذناى هاتان، وبصر عيناى هاتان رسول الله ﷺ، أخذ بيديه جميعًا بكفَّى الحسن ـ

أو الحسين ـ صلوات الله عليهما [1] ـ وقدميه على قدم رسول الله ﷺ، ورسول اللهﷺ يقول : «ارْقَه»، قال : فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ : «افتح فاك» ثم قَبّله، ثم قال : «اللهم أحبَّه فإنى أحبُّه» وزاد فى الإصابة :

«ارْقه حزقة حُزقَّه، ترقَّ عين بقَّه» وأخرج الطبرانى . فانظر إلى النشيد النبوى مع الطفل : حُزقه حزقه وتكرير المقطع ثم «ترقّ عين بقّه» .

وأما ترقيص النبى ﷺ وهو صغير، فلقد كانت أخته من الرضاعة الشيماء بنت الحارث واسمه حذافة، فكانت تحتضن النبى ﷺ مع أمها، وترقصه وتنشد :

يا ربنا أبق لنا محمدا

حتى أراه يافعًا وأمردا

ثم أراه سيدا مُسوَّدا

واكبت أعاديه والحُسَّدا[2]

فترقيص الطفل وإنشاده بالكلمات المحببة مطلب نبوى .

أورد ابن أبى الدنيا فى كتابه القيم النفيس (العيال1/ 431) فصلاً تحت عنوان : بابُ تنقيز الولدان، ومداعبتهم، فقال :

1 ـ عن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر ﷺ يحمل الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ يقول :

بأبى شِبْهُ النبى ليس شبيهًا بعلى

[1] اقتداء بالصلوات الإبراهيمية : (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد) رواه مسلم وغيره، فالمسلم فى كل صلاة يصلى على النبى ﷺ وآله .

[2] انظر : الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر 4/ 336، ط. دار الكتاب العربى .

وعلى ـ كرم الله وجهه ـ معه يتبسم .قال محققه : ورواه أحمد (1/ 8) .

2 ـ وعن عروة (بن الزبير بن العوام) قال : أذكر أبى، وفى ظهره شعرُهُ أتعلّق به .

3 ـ وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال : كان أبى يُنقِّزنى، ويقول :

أبيض من آل أبى عتيق مُبارَكٌ من ولد الصديق
ألذّهُ كما ألذ ريقى

4 ـ وعن العباس بن هشام عن أبيه قال : كانت أم الفضل بن عباس تُرقص الفضل، وتقول :

ثكلتُ نفسى وثكلتُ بكرى إن لم يسُدْ قهرًا أو عين قهر
بالحسب العز وبذل الوفر

5 ـ وعن الشعبى قال : كانت قريش تحب عثمان، حتى إن المرأة كانت تُرقص ابنها وتقول :

أحبك والرحمن حب قريش عثمان

6 ـ وعن أبي إسحاق قال : كان العباس يرقص قثماً يقول :

يا قُثم يا قُثم يا ذا الأنف الأشم
يا شبه ذى الكرم

7 ـ وعن معمر صاحب البنات، قال رأيت الحسن (البصرى) يُرقص ابنه ويقول :

يا رب لا تعجل بـه المنيـة حتـى أرى قُبَّتـه مبنيـة
فيهـا فتـاةٌ طفلـة هنيّـة ولادةُ الغلـمان بربريّـة

8 ـ وعن ابن أبى مليكة قال : كانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تُنقِّزُ الحسن بن على وتقول :

بـأبى شِـبه النبـى لـيس شُـبْهًا بعـلى

9 ـ وعن أبى الزناد قال : كان عثمان بن عفان يقول :

فأىُّ شـىءٍ لا يُحـبُّ ولـده حتى الحُبارى وتدف عبده

قال : سألت عمى عن عبده ، قال لعارضه : انتهى» .

وفى هذا التنقيز والترقيص فوائد عديدة منها :

1 ـ تعبير صادق عن فطرة الأبوة والأمومة، حيث يخرج الولدان من عادة التقيد بالتقاليد بينهما، إلى عالم فسيح عنصره الطفل البرىء .

2 ـ تحريك لمشاعر الطفل وأعضائه ونفسيته، فيتجاوب مع العالم الخارجى من حوله، ويحس بأبيه وأمه وإخوته وأقربائه ، فلكل منهم له طريقة فى الترقيص .

3 ـ ترويح للوالدين للتعبير عن الفرحة التى غمرتها بهذا المولود الجديد .

4 ـ توليد جو عائلى عاطفى، يتخلله ضحك الصغير والكبير، مما يُضفى على العائلة البهجة والسرور .

5 ـ ترقيص الصغير طريق لنزع فتيل الخلاف بين الزوجين ـ إن حصل ـ وفرصة سانحة لإعادة الوئام والحب والصفاء بينهما .

6 ـ تنشيط لمشاعر حنان الأبوة والأمومة كلما خبت أو ضعفت .

7 ـ وفيه سماع الرضيع لكلمات موزونة، تزيد من طربه، ومن بدء نشأته، ودخوله إلى الحياة، وتخزين مفردات اللغة، فينشأ مهتمًا بها، يملك ذوقًا لغويًا .

8 ـ وفيه تحريك لأعضاء الطفل وتنشيط لدورته الدموية مع سماعه الكلمات .

9 ـ وفيه إدخال السرور إلى قلب الصغير والاهتمام به .

10 ـ وفيه توليد الجو الاجتماعى بين الطفل ومن يُرقصه ويلاعبه، كما فيه تنمية لمشاعر النفسية، وتحريك لفكره بالكلمات الجديدة، ونماء لعضلاته الجسمية . والله أعلم .

* * *

الفصل الثانى
تهيئة الرعاية الصحية للطفل

تمهيد :

أولاً: أسس الرعاية الصحية للطفل :

الأســاس الأول : رياضــة الطفــل للســباحة والرمايــة وركــوب الخيــل والمصارعة والجرى .

الأساس الثانى : تعود الطفل سنة السواك .

الأساس الثالث : اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر .

الأساس الرابع : اتباع السنن النبوية فى الأكل والشرب .

الأساس الخامس : نوم الطفل على شقه الأيمن .

الأساس السادس : تعلم الطفل للعلاج الطبيعى .

الأساس السابع : النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

الأساس الثامن : إبعاد الأطفال عن الطفل المريض مرضًا معديًا .

الأساس التاسع : رقية الأطفال من العين الحاسدة والجنّ .

ثانيًا : العلاجات النبوية :

1 ـ السرعة فى معالجة الطفل المريض .

2 ـ عيادة وزيارة الطفل المريض .

3 ـ العلاج باستخدام العود الهندى .

4 ـ العلاج بالحجامة والمشى .

5 ـ العلاج بالدعاء والرُّقى .

6 ـ العلاج من إصابة العين الحاسدة .

7 ـ تحريم تعليق شىء على الطفل ما لم يكن قرآنًا أو حديثًا نبويًا .

8 ـ العلاج بالأغذية النبوية للبيت المسلم .

تهيئة الرعاية الصحية للطفل

تمهيد :

إن الإسلام اهتم بصحة الإنسان عامة، وبصحة الطفل خاصة، وقد حرص فى توجيهاته الكثيرة على المداواة، والمسارعة إليها؛ لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان؛ لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، حتى جعل المداواة من قدر الله، الذى يمحو قدر الله الذى حل بالإنسان، وهوالمرض .

فقد روى مسلم وأحمد عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ : أنه قال : «لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله عز وجل» .

وروى الإمام أحمد والنسائى عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال : «نعم، يا عباد الله، تداوَوْا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد»، قالوا : ما هو؟ قال : «الهرم» .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال : قلت : يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «هى من قدر الله».

وهذه الأحاديث إنما تدل على اهتمام النبى ﷺ بسلامة الفرد المسلم من الأمراض والأوجاع، وأن «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير» .

ولكن ما هى أركان البناء الصحى للطفل، وذلك لتجنب كثير من الأمراض؟ وما هى القواعد الصحية اللازمة للطفل ليقلّ من إصابته بالأمراض؟

إذا تأملنا فى الأحاديث والسيرة الشريفة، نلمح ثمانية أركان صحية اهتم بها رسول الله ﷺ لرعاية الطفل صحيًا، فما هى هذه الأركان؟

أولاً : أسس الرعاية الصحية للطفل

الأساس الصحى الأول : رياضة السباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجرى :

تقدم معنا فى أسس البناء الجسمى أن حق الطفل فى تعلم السباحة والرماية، ووصية عمر للولاة أن يعلموا أطفالهم كذلك، ويضيف : وأن يثبوا على الخيل وثبًا، وأن النبى ﷺ كان يصفّ الأطفال، ويجرى لهم مسابقة الجرى، وأنه شاهد مصارعة طفلين مع بعضهما قبل دخول غزوة أحد، فالرياضة البدنية هذه تبنى جسم الطفل بشكل قوى، بحيث يقوى على التصدى للأمراض بشكل ذاتى، ويصبح جسمه ممتنعًا ذاتيًا عن قبول الأمراض، إلا إذا أراد الله شيئًا آخر، وابتلاء آخر .

ويضع الرسول ﷺ قاعدة تربط بين البناء الجسمى والعقلى فى مرحلة الطفولة وفى الكبر، فزيادة حركة الطفل فى الصغر تنمى خلايا جسمه، وبالتالى تكون زيادة فى صحته .

فعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «عُرامةُ الصبى فى صغره، زيادةٌ فى عقله فى كِبَرِه» . رواه الحكيم الترمذى، وأشار السيوطى إلى صحته، وقال المناوى فى (فيض القدير) (4/ 310) : رواه الديلمى . فصحة الطفل فى رياضته، وحركته، ونشاطه .

ولا حاجة أن نذكر هنا فوائد هذه الرياضات، فيكفى أن تجلس إلى أى طبيب لتسمع منه، وتصل إلى درجة اليقين للحديث النبوى .

إذ يكفى أن تعلم أن السباحة تحرك كل عضلات الجسم، وأنها تنفى كثيرًا من الأمراض عن الجسم، مما ليس من مجاله الآن ، وإنما محله الكتب الطبية .

الأساس الصحى الثانى : تعوّد الطفل سنة السواك :

معلوم لدى الجميع اهتمام الرسول ﷺ حتى قال ﷺ : «لولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1] . فإذا تعود الطفل هذه العادة، وبدأ ينظف أسنانه بشكل منتظم، ومتواصل، فإنه يقضى على كثير من الأمراض التى تكون أحيانًا من تسوس الأسنان، أو من مرض اللثة، وقد أثبت الطب الحديث مفعول السواك، واحتواءه على مواد كيميائية تفيد الأسنان، وتقوى اللثة بشكل فعال . وهو رخيص الثمن، موجود بكثرة فى الجزيرة العربية، ويذكر الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى شرحه لصحيح مسلم : أنه يجوز استبدال عود الأراك هذا بأى شىء، وذلك لتنظيف الأسنان، حتى إذا لم يكن لدى الإنسان أى وسيلة للتنظيف نظف بيده، أو بقماشة خشنة، المهم فى ذلك أن يتعود الطفل سنة السواك، وتنظيف الأسنان بأى أداة كانت .

الأساس الصحى الثالث : اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر :

النظافة ركن أساسى من الأركان التى دعا إليها الإسلام، والطفل الذى يريد الصلاة لابد أن يتوضأ، ولابد أن تكون ثيابه نظيفة طاهرة، ولابد أن يكون المكان طاهرًا، وذلك كله لأداء فريضة الصلاة التى يؤمر بها فى السابعة ، ويضرب عليها فى العاشرة .

أما تقليم الأظافر، فهى إحدى الفطر الخمس التى نصّ عليها الحديث الصحيح : «خمس من الفطرة .. وتقليم الأظافر ..» فالطفل الذى يتعود تقليم

(1) صحيح : رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى ومالك وابن ماجه عن أبى هريرة، وأحمد وأبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى . انظر : صحيح الجامع، رقم (5315) .

الأظافر، يكون قد أبعد يديه عن كثير من الأوساخ التى توجد تحت الأظافر؛ التى قد تسبب أمراضًا من جراء وضع الطفل يده فى فمه .

الأساس الصحى الرابع : اتباع السنن النبوية فى الأكل والشرب :

تقدم معنا من أدب الطعام : أن يعود الطفل تناول الطعام من أمامه، فلا تطيش يده فى الصحن حيثما يحلو له، وإذا عوّد سنة رسول الله ﷺ فى الابتعاد عن التخمة أثناء الطعام، كان له فوزًا، ونصرًا، وحفاظًا من كثير من الأمراض الباطنية، والداخلية .

فقد روى الإمام أحمد والترمذى، وقال : حديث حسن صحيح، عن المقدام بن معد يكرب قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «ما ملأ آدمى وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» [1] .

أما الشراب فيتعود فيه سنة رسول الله ﷺ وهيئته فيه :

أخرج البخارى ومسلم والترمذى عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ «كان يتنفس إذا شرب ثلاثًا» ورواه مسلم . وزاد الترمذى : « إنه أروى، وأبرأ، وأمرأ» . قال أنس : «وأنا أتنفس فى الشرب ثلاثًا» وفى رواية أبى داود : أن النبى ﷺ كان إذا شرب تنفس ثلاثًا، وقال : «هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ» .

ويحذر الطفل من أن يتنفس فى الكأس أثناء الشرب لأى سائل كان :

فى الصحيحين عن أبى قتادة أن النبى ﷺ : «نهى أن يُتنفَّس فى الإناء» .وفى رواية الترمذى : «نهى أن يتنفس فى الإناء ، أو ينفخ فيه» .

---

(1) ورواه أيضًا ابن حبان وابن ماجه والحاكم، وصححه الذهبى . انظر : جامع الأصول (7 / 410).

ويشرب قاعدًا ـ إلا ماء زمزم فالسنة فيه واقفًا متجهًا إلى القبلة ـ روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يشربنَّ أحدكم قائمًا، فمن نسى فليستقئ»[1] .

الأساس الصحى الخامس : النوم على الشق الأيمن :

وهو ركن صحى نبوى أساسى فى حياة المسلم، وله فوائده الصحية الكثيرة، والرسول ﷺ يوصى صحابته بذلك :

روى البخارى ومسلم : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوَّضتُ أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت، واجعلهن آخر ما تقول» .

الأساس الصحى السادس : تعلم الطفل العلاج الطبيعى :

إن تدليك العضلات يحتاجه الإنسان فى حياته كلها، والطفل ينشأ وقد تدرب فى تدليك عضلات والديه بإرشادهما، فيكتسب مهارة جيدة، وعلمًا قد غدا اليوم من العلوم المفيدة للإنسان .

والرسول ﷺ قد علم الطفل هذا، ودربه عليه بجسمه الشريف، فهل سمعت بهذا ؟ لنستمع سويًا :

روى الطبرانى والبزار وابن السنى وأبو نعيم وسعيد بن منصور عن عمر ﷺ قال : دخلت على النبى ﷺ وغليم له حبشى يغمز (أى : يكبس) ظهره، فقلت : يا رسول الله، أتشتكى شيئًا؟ قال : «إن الناقة تقحمت بى البارحة» (أى : ألقتنى فى ورطة)[2] .

---

(2) انظر حول الموضوع : جامع الأصول (5/ 74) .
(1) كنز العمال (4/ 44) .

الأساس الصحى السابع : النوم بعد العشاء ، والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر:

إن تعود الطفل لأداء صلاة الصبح فى وقتها، هذا يعنى أن يستيقظ باكرًا، ولكى يستطيع أن يستيقظ باكرًا نشيطًا قد شبع من النوم، فلابد أن ينام باكرًا[1]، فهذا عمر رضي الله عنه يأتى لصلاة العشاء عند النبى ﷺ وقد أنام صبيانه لكى يصلى العشاء مع رسول الله ﷺ .

فقد أخرج الشيخان والنسائى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : أعتم رسول الله ﷺ بالعشاء، فخرج عمر، فقال : الصلاة يا رسول الله ، رقد النساء والصبيان ، فخرج ورأسه يقطر ويقول : «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالصلاة فى هذه الساعة».

وبالتالى فإن الطفل المسلم بأدائه لفروض دينه يكتسب العادات الصحية الجيدة، فيقوى جسمه ونفسه، وحيث إن غاز الأوزون «وتركيبه ثلاث ذرات من الأكسجين» ينتشر فى الجو عند الفجر، وقد ثبت أن هذا الغاز يزيد من نشاط الخلايا الحيوية، ويقضى على كثير من الأمراض، فإن استنشاق الطفل لهذا الغاز يقوى من بنيته من حيث لا يدرى، وهو يؤدى فرض صلاته .

ولقد كانت الأمهات الصالحات يُعوِّدن أطفالهن الاستيقاظ للسحر لتعريض أطفالهن للنفحات الإلهية؛ امتثالاً لقوله ﷺ : «إن فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها» .

فقد روى البيهقى بسنده فى كتاب (الآداب ص 445) : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «قالت أم سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان : يا بُنى، لا تُكثر النومَ بالليل، فإن كثرة النوم بالليل يدع صاحِبَهُ فقيرًا يومَ القيامة» .

هكذا يرتبط صلاح الدين بصلاح البدن مع صلاح الآخرة، تمتزج جميعًا فى التربية النبوية، ولا انفصال بين تربية الطفل الدنيوية والطموحات الأخروية، وهكذا يُورّث الصلاح للأبناء توريثًا عمليًا، حتى قفز أحد الصالحين على حصانه

---

(2) زاد المعاد لابن القيم (3/ 169) .

وكان عمره تسعين سنة، فتعجب الحاضرون، فقال : هـذه جـوارح حفظناهـا لله فى الصغر، فحفظها الله تعالى لنا فى الكِبَر .

وروى الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبى مرفوعًا : «إياك والسـمر بعـد هـدأة الليل، فإنكم لا تدرون ما يأتى الله من خلقه» [1].

وهكذا تجد أنه لا فصل فى الإسلام بين الدين والدنيا، فمن أراد تطبيـق الـدين على أطفاله، جاءته الدنيا راكعة صاغرة .

ثم هناك فائدة ثانية للاستيقاظ الباكر، وهى زيـادة الـرزق، فهـذا ابـن عبـاس عندما رأى ابنًا له نائمًا نومة الصبح، فقال له : «قم، أتنام فى الساعة التى تقسـم فيهـا الأرزاق»؟! [2] .

وروى البيهقى دخول النبى ﷺ على فاطمة بـاكرًا، وشـاهدها نائمـة، فأيقظهـا، وقال لها : «قومى، فاشهدى رزق ربك» .

ومشى على هذا المنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فروى ابنُ أبـى شيبة فى مصنفه (9 / 36) عن ابن شهاب قال : «كان عبد الله ﷺ إذا صلى الفجر، لم يَدَعْ أحدًا من أهله صغيرًا ولا كبيرًا يطوفُ حتى تطلع الشمس» .

الأساس الصحى الثامن : إبعاد الأطفال عن الأمراض المعدية :

وضع ﷺ قاعدة عامة للأمة جميعًا كبيرها وصغيرها، وهى عـدم ورود الإنسـان المريض الذى يحمل مرضًا معديًا إلى تجمع الناس، ولا أن يقوم بزيارة أحـد، وذلـك لتجنب إصابة المسلمين .

وهناك أمراض معدية فى مرحلة الطفولة يحذّر فيها الأبوان من أن يأخذا طفلهما

---

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (2571) .
(1) زاد المعاد لابن القيم (3/ 169) .

فى زيارة الأرحام والأصدقاء، كذلك بالعكس لا يأخذ الوالدان طفلهما إلى زيارة أحد فى بيته طفل مصاب بمرض معدٍ حتى يشفى، وفى هذا أنفس القواعد الصحية النبوية .

ففى الصحيحين، عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يوردنَّ ممرض على مُصحّ» . ورواه أحمد وأبو داود والنسائى .

كذلك يقوم الأبوان بإبعاد طفلهم هذا عن بقية إخوته حتى لا ينتقل إليهم المرض، وحتى لا تنشأ عقدة نفسية لهذا الطفل المريض، فلا بأس بنصحه بحديث رسول الله ﷺ هذا ليعلم أن الأمر من رسول الله ﷺ وأن الطفل المسلم يحب رسوله، ويتبعه، ويستجيب لندائه :

الأساس الصحى التاسع : رقية «تعويذ» الأطفال من العين الحاسدة والجن :

وهذا العلاج يتفرد به الطب النبوى للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ وهذا ما فعله ﷺ مع الأطفال، وحض الأبوين عليه، فقد أورد النووى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه «الأذكار» باب : ما يعوذ به الصبيان وغيره:

روينا فى صحيح البخارى ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين : «أُعيذكما بكلمات الله التامّة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّةٍ»، ويقول : «إن أباكما كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحاق»[1] صلى الله عليهم وسلم أجمعين . قلت ـ أى : النووى : قال العلماء : الهامَّة : بتشديد الميم : «وهي كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها»، وأما العين اللامَّة بتشديد الميم : «وهى التى تصيب ما نظرت إليه بسوء» . انتهى كلام النووى ـ رحمه الله .

(1) ورواه الحاكم فى مستدركه (3/ 761) وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وروى الترمذى عن عبيد بن رفاعة الزرقى ﷺ أن أسماء بنت عُميس قالت : يا رسول الله، إن ولد جعفر تُسرع إليهم العين أفأسترقى لهم؟ قال : «نعم، فإنه لو كان شىء سابق القدر لسبقتهُ العين» .

وروى مالك فى الموطأ عن عروة بن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة وفى بيتها صبىٌّ يبكى، فذكروا أن به العين، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسترقون له من العين؟!» .

وروى أحمد بإسناد حسن عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل النبى ﷺ، فسمع صوت صبى يبكى، فقال : «ما لصبيكم هذا يبكى؟ فهلا استرقيتم له من العين؟!» [1] .

وروى البخارى والترمذى والنسائى عن مصعب بن سعد ـ رحمه الله ـ أن سعدًا ﷺ قال لبنيه : تعوَّذوا بكلماتٍ كان رسول الله ﷺ يتعوّذُ بهنّ : «اللهم إنى أعوذُ بك من الجُبْن، وأعوذُ بك من فِتنة الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر» .

أما الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون حفظ التعويذات، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون التعوذات فى حرز، ويعلقونها على أطفالهم :

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ يُعلمنا كلماتٍ نقولهنّ عند النوم من الفزع : «باسم الله؛ أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون» [2] . قال : كان عبد الله بن عمرو يُعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ أن يقولها : كتبه ؛ فعلقه عليه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 861) وقال محققه : إسناده حسن، ثم قال : وفى مسند أحمد (2/ 181) «ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له؛ فعلقها فى عنقه» .

---

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1048) .

(2) انظر ما جمعه العبد الفقير فى رسالة صغيرة (التعويذات النبوية من الشرور الإنسية والجنية) .

وعن يونس بن خباب قال : «سألتُ أبا جعفر (الإمام الجليل محمد بن على بن الحسين الباقر) عن التعويذ يُعلق على الصبيان، قال : لا بأس به» .

وعن يونس بن خباب قال : استشرت أبا جعفر محمد بن على فى تعليق العاذة؟ قال : نعم، إذا كان من كتاب الله عز وجل؛ أو من كلام عن النبى ﷺ .

وأمرنى أن أستشفى به ما استطعتُ، فكتب لى كتابًا من الحُمَّى الربع :﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء]. اللهم ربَّ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، اشفِ صاحب هذا الكتاب . رواهما ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى كتاب : «التبيان فى آداب حملة القرآن» : «وأما كتابة الحروز من القرآن، فقال مالك : لا بأس به إذا كان قصبة أو جلداً، وخرز عليه، وقال بعض أصحابنا : إذا كتب فى الحرز قرآنًا مع غيره فليس بحرام، ولكن الأولى تركه، لكونه يحمل فى حال الحدث، وإذا كتب يُصان بما قاله، قاله الإمام كمال رحمه الله، وبهذا أفتى الشيخ أبو عمرو بن الصلاح ـ رحمه الله» .

وهذه الوقاية من الأمراض لا يؤمن بها غير المؤمنين الصادقين، الذين تلقوا عن رسولهم ﷺ هذا المنهج النبوى الفريد .

الأساس الصحى العاشر : السرعة فى تلبية نداء الطفل النائم وخدمته :

النوم والليل فيهما تأثيرات مختلفة على الإنسان، فبعضها إيجابى وبعضها سلبى، والطفل أشد تأثرًا بهما، وأول شىء يصدر عن انزعاجه هو صوته أو بكاؤه، فسرعة تلبية الوالدين له ذلك النداء، يُخفف عنه التأثيرات السلبية المحيطة به، كما أنها تُطمئنه فى نومه . فيتحول نومه من الحالة السلبية الانزعاجية إلى الحالة الإيجابية المريحة، وإذا ما نادى طفلان فالاستجابة تكون لمن نادى أولاً، ثم للآخر :

عن على ﷺ قال : زارنا رسول الله ﷺ، وبات عندنا، والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسنُ، فقام رسول الله ﷺ إلى قُرْبةٍ لنا، فجعل يمصرها فى القدح ـ وفى لفظ: فقام إلى شاة لنا بكر؛ فحلبها ، فذرَّتْ ـ ثم جاء بسقيه ، فناول الحسن، فتناول الحسين ليشرب؛ فمنعه ـ وفى لفظ : فأهوى بيده إلى الحسين، وبدأ بالحسن ـ فقالت فاطمة ـ رضى الله عنها : يا رسول الله ﷺ، كأنه أحبُّهما إليك؟ قال : «لا، ولكنه استسقى أول مرة» ثم قال رسول الله ﷺ : «إنى وإياك وهذين؛ وهذا الراقد؛ يعنى : عليًا، يوم القيامة فى مكان واحد» .

رواه أبو داود وأحمد وأبو يعلى، وابن أبى عاصم فى السنة، والطبرانى فى الكبير، والخطيب فى المتفق والمفترق، وابن النجار، ذكره السيوطى فى مسند على ﷺ [1] .

(1) طبع المسند بمفرده فى حيدر آباد بإشراف لجنة أنوار المعارف ، والحديث (ص 7) .

ثانيًا : العلاجات النبوية للأطفال

بقى أن نسأل : وإذا نـزل المـرض بالطفـل، فـما هـى أهـم العلاجـات النبويـة الأساسية للأطفال؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد أن نذكر ما جاء فى المقدمـة مـن ضرورة، وأهميـة المداواة، واستشارة الطبيب، ولكن يضاف إليها العلاجات النبوية التالية :

1 – السرعة فى معالجة الطفل المريض :

إن السرعة فى أخذ الطفل المريض إلى الطبيب تلعب دورًا كبيرًا فى التخفيف من الإصابة المرضية، حتى إنها تصبح عنصرًا فعالاً، فكثيرًا من الأمراض يكـون سـببها تكاسل الوالدين فى أخذ الطفل إلى الطبيب، لهذا نجد رسول الله ﷺ يعلمنا السرـعة فى معالجة الطفل .

فقد روى ابن سعد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت عثر أسامة ﷺ على عتبـة الباب، أو أسكفة الباب فشـجت جبهتـه، فقـال : «يـا عائشـة، أميطـى عنـه الـدم» فتقذرته، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يمصّ شـجّته، ويمجـه، ويقـول : «لـو كـان أسامة جارية لكسوته ، وحلّيته حتى أنفقه » .وعنـد الواقـدى ، وابـن عسـاكر عـن

عطاء بن يسار ﷺ قال : «كان أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قد أصابه الجدرى أول ما قدم المدينة، وهو غلام، مخاطه يسيل على فيه، فتقذرته عائشة ـ رضى الله عنها ـ فدخل رسول الله ﷺ فطفق يغسل وجهه، ويقبله، فقالت عائشة : أما والله، بعد هذا فلا أقصيه أبدًا»[1] .

أرأيت وهو يغسله يقبله؟! هكذا ﷺ يعالج الأطفال بيديه الشريفتين، ولا يتقزز، ولا يقرف منهم ﷺ .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : عثرَ أسامةُ بعتبة الباب، فشجَّ فى وجهه، فقال رسول الله ﷺ : «أميطى عنه الأذى»، فتقذَّرْتُهُ، فجعل رسول الله ﷺ يمصُّه ويمجُّهُ، ثم قال : «لو كان أسامةُ جارية لحلّيناهُ، وكسوناه حتى نُنفقه»[2] .

2 – عيادة الطفل المريض :

وهذا علاج نفسى للطفل المريض، فإنه عندما يرى الكبار حوله جاؤوا لزيارته تقوى نفسه على مواجهة المرض، ويبدأ بالتحرك والكلام مع الضيوف شيئًا فشيئًا، وإذا صحب ذلك المجلس، وتلك الزيارة الدعاء للطفل كان خيرًا على خير، وهذا علاج نبوى للأطفال فريد فى معناه، فقد أخرج البخارى عن أنس ﷺ قال : كان غلامٌ يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فأتاه النبى ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه، فقال له : «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال : أطع أبا القاسم! فأسلم، فخرج النبىﷺ وهو يقول : «الحمد لله الذى أنقذه من النار» .

وعن عبد الرحمن بن الحارث، عن جدّ عبد الله بن عَيّاش، قال : دخل رسول الله ﷺ بعضَ بيوتُ آل أبى ربيعة، إما لعيادة مريض، وإما لغير ذلك، فقالت له أسماءُ بنتُ المُخرِّبة بن أبير بن نهشَل وهى أم أبى جهل، وأم عياش بن أبى ربيعة،

---

(1) عن : حياة الصحابة (2 / 446) ط . مصرية .

(1) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 393)، وقال محققه : وإسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجه وأحمد .

وكانت تُكنى أم الجُلاس : ألا توصينى يا رسول الله؟! قال : «يا أمَّ الجُلاس، ائت إلى أختك ما تحبين أن تأتىَ إليك، وأحبِّى لأختك ما تحبين أن تجدينه» ثم أُتى رسول الله ﷺ بصبى فى بيت عيَّاش، وكانت أم الجُلاس (ذكرت لرسول الله ﷺ مرضًا للصبى، أو علة، فجعل رسول الله ﷺ يَرْقِى الصبى، ويتفلُ عليه، وجعل الصبى يتْفُلُ على رسول الله ﷺ، فجعل بعضُ أهل البيت ينهرُ الصبى، ويكفُّهنَّ رسول اللهﷺ عن ذلك» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 406)[1] .

ففى الحديث فوائد عظيمة : إبلاغ الآباء والأمهات أهل التقى والصلاح بمرض ابنهم، وفيه المسارعة لعيادة الطفل المريض، وفيه رقية المريض والدعاء له، وفيه جواز التفل (رذاذ البصاق الخفيف) على المريض بعد الدعاء، وفيه توجيه الطفل نحو الأدب ولو كان مريضًا، وفيه تسامح الكبير مع الصغير أثناء مرضه، وفيه توجيه الآباء للتخفيف عن كثرة الملامة لطفلهم المريض . والله أعلم .

هكذا يعود ﷺ الأطفال مؤمنهم وكافرهم، ويحرص عليهم، وما هذا إلا عناية منه بهم ، واهتمامًا منه ﷺ بالأطفال .

وعن زيد بن أرقم ـ وكان من صغار الصحابة ﷺ قال : رمدت عيناى، فعادنى رسول الله ﷺ فى الرمد، فقال : «يا زيد، لو أن عينيك لما بهما كيف كنت تصنع؟» قال : كنت أبْصر وأحتسب، قال : «يا زيد، لو أن عينيك لما بهما فصبرتَ واحتسبتَ؛ لم يكن لك ثواب دون الجنة» . رواه أبو نعيم وأبو داود وأحمد والطبرانى والحاكم فى المستدرك[2] .

ففى الحديث زيادة فائدة على عيادة الصغير بمداعبة الصغير بالكلام الحسن، ووعده بالجنة إن صبر ، وأن البلاء من الله تعالى وجزاء صبره الجنة .

---

(2) قال محققه : إسناد منقطع، فلم يثبت لى سماع عبد الرحمن بن الحارث من جده عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، وأم الجُلاس مختلف فى صحبتها، ورجال إسناده رجال الحسن .

(1) انظر : الشفا فى الطب للتيفاشى ـ رحمه الله ـ تحقيق : د. عبد المعطى أمين قلعجى (ص 105) .

وروى أبو داود : أنه دخل أبو بكر على عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى مضطجعة قد أصابها حُمّى، فقال : كيف أنت يا بُنية؟ وقبَّل خدَّها [1] .

3 – العلاج باستخدام العود الهندى ، والسعوط[2] :

أخرج الإمام أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أم قيس بنت محصن أخت عكاشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : دخلت على رسول الله ﷺ بابن لى لم يأكل الطعام، فبال عليه، فدعا بماء فرشَّه، قالت : ودخلت عليه بابن لى، لقد أعلقت عليه من العذرة[3]، فقال : «علام تدغرن أولادكُن بهذا العلاق؟ عليكنّ بهذا العود الهندى؛ فإن فيه سبعة أشفية من سبعة أدواء : منها ذات الجنب، ويسعط من العذرة، ويُلد به من ذات الجنب» .

وقد علق الدكتور حسين عبد المجيد هاشم عندما ذكر الحديث، فقال فى شرح كلمات الحديث ما يلى [4] :

تدغرن[5] : بدال مهملة وغين معجمة، أى : تغمزن حلوق أولادكن بهذا العلاق، أى : الداهية والآفة، وفى الكلام معنى الإنكار، أى : على أى شىء تعالجن هذا الداء بهذه الداهية، والمداواة الشنيعة، فلا تفعلن بهم ذلك .

العود الهندى : أى : الكُست بأن يدق ناعمًا، ويذاب، ويسعط به، فإنه يصل إلى العُذرة، فيقبضها لكونه حارًا يابسًا .

---

(2) انظر : شرح السنة للبغوى، تحقيق على معوض وعادل عبد الموجود (6 / 355) .
(3) السعوط : ما يتداوى به شمًا، أو سائلاً، يسكب فى الأنف .
(1) وفى رواية : «لا تعذبوا صبيانكم بالغمز فى العذرة» والعذرة : داء فى الحلق، حيث كانوا ينظفون اللوزتين من القيح باليد .
(2) فى تحقيقه لكتاب : (البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف) لابن حمزة (3/ 11) .
(3) فى المعجم الوسيط : «دغرت» المرأة الصبى: أدخلت إصبعها فى حلقه لترفع لهاته من العُذرة . (1/ 287) .

وذات الجنب [1] : السل، وقال القرطبى : وجع فيه يسمى الشوصة .

قال الطبيب : خصه بالذكر لأنه أصعب الأدواء، وقلما يسلم منه من ابتلى به .

ويُسعط من العذرة : بضم المهملة وسكون المعجمة، وهو وجع، أو عقدة فى الحلق تعترى الصبيان غالبًا، أو قرحة فى الأذن والحلق .

ويُلدُّ به : أى : يصب فى إحدى شقى الفم [2] .

وقال البخارى: القسط الهندى البحرى، وهو الكُست مثل الكافور، ووصف سفيان العِلاق : يُحنك بالإصبع، وأدخل سفيان إصبعه فى حنكه، وقال : إنما يعنى رفع حنكه بإصبعه [3] .

وعن جابر ﷺ أن امرأة جاءت بصبى لها إلى النبى ﷺ فقالت : افقأ منه العذرة، فقال : فقال : «تحرقون حلوق أولادكم، خذى قسطًا هنديًا وورسًا، فأسعطيه إياه» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 206) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .

وعن جابر ﷺ قال : كان عند أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ صبى يقطر منخراه دمًا، فدخل رسول الله ﷺ فقال : «ما شأن هذا الصبى؟» قالت : به العذرة، فقال : «ويحكن يا معشر النساء! لا تقتلن أولادكن، وأى امرأة يصيبها عذرة، أو وجع برأسه فلتأخذ قسطًا هنديًا» قال : وأمر عائشة، ففعلت ذلك، فبرئ . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 205) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .

وفى رواية أحمد بسند صحيح : «فلتأخذ قسطًا هنديًا، فلتحكه بماء، ثم تسعطه إياه» وقال الهيثمى (5/ 89) : رواه أبو يعلى والبزار، ورجالهم رجال الصحيح .

---

(4) قال ابن القيم فى كتابه : الطب النبوى (ص 81) : كل وجع فى الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقًا من مكان الألم .

(5) يقال : لدَّه باللدُّود؛ إذا سقاه الدواء فى أحد جانبى الفم . عن كتاب (وفاء الوفا) (1/ 70) .

(1) انظر : جامع الأصول (7 / 525) ت : الأرناؤوط .

وذكر أبو داود ـ بسند قوى ـ أن رسول الله ﷺ استعط .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه الطب النبوى[1] : قسط وكست بمعنى واحد، وهو نوعان :

ـ الأبيض الذى يقال له البحرى .

ـ والآخر الهندى وهو أشدهما حرًا .

والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جدًا .

4 ـ العلاج بالحجامة والمَشِىّ :

روى الترمذى، وقال : حديث حسن، عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال عكرمة : كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجّامون، وكان اثنان يُغلان عليه وعلى أهله، وواحد يحجمه ويحجم أهله، قال : قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : «نعم العبد الحجام، يذهب بالدم، ويُخِفُّ الصُّلْب، ويجلو البصر ... خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين ... خير ما تداويتم به السعوط، واللدود[2]، والحجامة والمَشِى»[3] . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 209) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها استأذنت رسول الله ﷺ فى الحجامة، فأمر النبىﷺ أبا طيبة أن يحجمها، قال : حسبت أنه قال : وكان أخوها من الرضاعة أو غلامًا لم يحتلم . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 210) وقال : صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .

ولم تمنع عاطفة الأبوة أو الأمومة من علاج الطفل، فالعلاج هو الرحمة الحقيقية

---

(2) ص (353) تحقيق : الأرناؤوط .

(1) اللدود : بالفتح هو الدواء الذى يُلدّ به، ويصب فى طرف فم المريض .

(2) المِشىّ : الدواء المسهل ، لأنه يحمل شاربه على المشى إلى الخلاء، قاله الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى على هامش تحقيقه لكتاب الشفا فى الطب للإمام أحمد بن يوسف التيفاشى، ت 651هـ (ص 86) .

للطفل، فهذا الأشجعى يقول : رأيت سفيان ـ أى الثورى ـ يحجِمُ ابنه، والصبى يبكى، وسفيان يبكى لبكائه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 320) .

5 – العلاج بالدعاء والرُّقَى :

روى مالك فى الموطأ عن حميد بن قيس المكى ﷺ قال : دُخل على رسول الله ﷺ بابنى جعفر بن أبى طالب، فقال لحاضنتهما : «ما لى أراهما ضارعين؟» فقالت حاضنتهما : يا رسول الله، إنهما تُسرع إليهما العينُ، ولم يمنعنا أن نسترقى لهما، إلا أنا لا ندرى ما يُوافقُك من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ : «استرقوا لهما، فإنه لو سبق شىء القدر لسبقته العين» .

وروى الإمام أحمد والطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله، إن به لمًا [1]، وإنه يأخذه عند طعامنا، فيفسد علينا طعامنا، فمسح رسول الله ﷺ صدره، ودعا له فثع (وهو القىء) فخرج من فيه مثل الحجر الأسود، فشفى .

وأخرج البخارى ومسلم والترمذى عن السائب بن يزيد ﷺ قال : ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله، إن ابن أختى وجع، فمسح رأسى، ودعا لى بالبركة .

قال الجعيد : رأيتُ السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلدًا معتدلاً، فقال : قد علمت ما مُتِّعتُ به من سمعى وبصرى إلا بدعاء رسول الله ﷺ .

وعن عثمان بن إبراهيم قال : حدثنى ابنُ حاطب، عن أمه أم جميل بنت المُجلل ـ رضى الله عنها ـ قالت : أقبلتُ بكَ من أرض الحبشة، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلةٍ أو ليلتين، طبختُ لك طبيخًا، ففنى الحطب، فخرجتُ أطلبُه، فتناولت القِدْرَ، فانكفأت على ذراعك، فقدمتُ بك المدينة، فأتيتُ بك رسول الله ﷺ فقلتُ :

---

[1] أى : طرفًا من الجنون يلم بالإنسان، أى : يقرب منه، ويعتريه .

يا رسول الله، هذا محمدُ بن حاطب، وهو أول من سُمِّى بك، فمسح على رأسك، ودعا لك بالبركة، وتفل فى فيك، وجعل يتفلُ على يدك ، ويقول :

«أذهب الباسَ، رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقما» . قالت : فما قمتُ بك من عنده حتى بَرئتْ يدك .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 409) وقال محققه : حديث صحيح، أخرجه البخارى ومسلم من غير القصة المذكورة، والنسائى فى عمل اليوم والليلة، وأحمد، والبيهقى فى دلائل النبوة .

وروى الطبرانى عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها : أن جدها الوازع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون ، أو ابن أخت له، قال جدى : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة قلت : يا رسول الله، إن معى ابنًا لى (أو ابن أخت لى) مجنونًا آتيك به، فتدعو الله عز وجل له، قال : «ائتنى به» فانطلقتُ إليه وهو فى الركاب، فأطلقت عنه، وألقيت عليه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ : فقال : «أدْنه منى، واجعل ظهره مما يلينى» قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضربُ ظهره حتى رأيت بياض إبطيه، ويقول : «اخرج عدو الله، اخرج عدو الله»، فأقبل ينظر نظر الصحيح، ليس نظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه، فدعا له، فمسح وجهه، فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه .

وفى ختام هذه الفقرة نضع بين يديك بعض الرقى المسنونة، والمستحبة، رجاء معرفتها، وتطبيقها إن احتجتَ إليها :

روى الترمذى عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم رُقى الحُمى، ومن الأوجاع كلها :

«باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من كل عِرْقٍ نعّار، ومن شر حرِّ النار».

«عرق نعار : أى : نعر العرْق بالدم؛ إذا ارتفع، وعلا» .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان (الشىء منه) أو كانت به قرْحةٌ، أو جرْحٌ قال بإصبعه هكذا ـ ووضع سفيان سبّابته بالأرض، ثم رفعها ـ وقال : «باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا بإذن ربنا» .

وروى الترمذى عن على ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا، أو أُتى به إليه، قال : «أذهب الباس ربَّ الناس، اشْفِ أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا» . (البأس) : الشدة، والألم .

وروى البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه ، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها .

ونختم هذه الرقية برقية جبريل عليه السلام لرسولنا محمد ﷺ، فقد روى مسلم والترمذى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ، أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال : يا محمد، اشتكيت؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم»، فقال جبريل : «باسم الله أرقيك من كل داءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك» .

ولهذا قال ابن عباس ـ وهو ينبّه لضرورة قراءة المعوذات : «ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل وسوس، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق] . رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 541) وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .

6 – العلاج من إصابة العين الحاسدة :

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كان يؤمر العائن (أى : الحاسد) فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين (أى : المحسود)» رواه أبو داود .

وروى مالك فى الموطأ عن أبى أسامة بن سهل بن حنيف أنه قال : رأى عامر ابن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخْبأةٍ، فلبط سهل، فأتى رسول الله ﷺ، فقيل : يا رسول الله، هل لك فى سهل بن حنيف، والله، ما يرفع رأسه، فقال : «هل تتهمون له أحدًا»، قالوا : نتهم عامر بن ربيعة، فتغيظ عليه، وقال : «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برَّكتَ، اغتسل له» فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح، ثم صُبَّ عليه، فراح سهلٌ مع الناس ليس به بأس» .

وفى رواية لمالك : «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برّكت، إن العين حق، توضأ له» فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس .

7 – تحريم تعليق شىء على الطفل ما لم يكن قرآنًا، أو حديثًا نبويًا :

ولابد أن نذكر فى ختام هذا الباب من حرمة تعليق الحرز، أو الحلقات، وعليها حبات زرقاء، أولبس الصبى لخلخال اعتقادًا من أنه يقى من العين، مما يفعله الجاهلون بأحكام الشرع، والذى اعتبره رسول الله ﷺ من الشرك، الذى إذا أصرّ صاحبه على وَضْعه بعد تنبيهه .

فعن عمرو بن الحارث أن بكيرًا حدثه : أن أمه حدثته أنها أرسلت إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ بأخيه مخرمة، وكانت تداوى من قرحة تكون بالصبيان، فلما داوته عائشة، وفرغت منه، رأت فى رجليه خلخالين جديدين، فقالت عائشة : أظننتم أن هذين الخلخالين يدفعان عنه شيئًا كتبه الله عليه؟! لو رأيتها ما تداوى عندى، وما مس عندى . لعمرى لخلخال من فضة أطهر من هذين» رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 218) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى .

ولهذا نجد تحذيرًا شديدًا من رسول الله ﷺ من أفعال الجاهلية ومعتقداتها بتعليق أشياء على صدور الأطفال خشية الحسد، فلنستمع، ونتبع، ولا نبتدع .

روى عبد الرزاق فى مصنفه (11/ 208) عن أبى قلابة قال : قطع رسول اللهﷺ خرزًا التمسه من قلادة الصبى ـ يعنى : الفضل بن عباس ـ قال : وهى التى تخرز فى عنق الصبى من العين .

قال المروزى : وقرأ على أبى عبد الله (أى أحمد بن حنبل) ـ رحمه الله ـ وأنا أسمع ـ أبو المنذر عمرو بن مجمع، حدثنا يونسُ بن حبان، قال : سألتُ أبا جعفر محمد بن على أن أعلق التعويذ، فقال :

إن كان من كتاب الله، أو كلام عن نبى الله، فعلقهُ، واستشف به ما استطعت .

قلتُ : اكتب هذه من حُمَّى الرِّبع : بسم الله، وبالله، ومحمد رسول الله، ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء] .

اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، اشفِ صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك، إله الحق آمين» قال : إى نعم .

وذكر أحمد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وغيرها : أنهم سهَّلُوا فى ذلك قال حرب : ولم يُشدد فيه أحمد بن حنبل، قال أحمد : وكان ابنُ مسعود يكرهه كراهة شديدة جدًا، وقال أحمد : وقد سئل عن التمائم تُعلق بعد نزول البلاء؟ قال : أرجو ألا يكون به بأس .

قال الخلال : وحدثنا عبد الله بن أحمد، قال : «رأيت أبى يكتب التعويذ للذى يفزعُ، وللحمى، بعد وقوع البلاء»[1] .

(1) زاد المعاد لابن القيم (4/ 357) الطب النبوى، تحقيق : شعيب وعبد القادر أرناؤوط .

8 – **العلاج بالأغذية النبوية للبيت المسلم** [1] :

نورد فيما يلى الأغذية التى خصها النبى ﷺ بالذكر أو بالأكل، نلخصها من كتاب الطب النبوى لابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى [2]، وما كان غيره نُص عليه :

1 ـ **الأُتْرُجَّة** : روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآنَ كمثل الأترجَّة، طعمُها طيبٌ؛ وريحها طيبٌ» .

2 ـ **البطيخ** : روى أبو داود والترمذى ـ بإسناد صحيح ـ عن النبى ﷺ أنه كان يأكل البطيخ بالرُّطب، ويقول : «نكسر حرَّ هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا».

3 ـ **البلح** : روى النسائى ، وابن ماجه ـ بسند ضعيف ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «كلوا البلح بالتمر» . قال ابن القيم : ورواه البزار فى مسنده.

4 ـ **البُسْر** : روى مسلم والترمذى أن أبا الهيثم بن التَّيهان، لما ضافه النبىُّ ﷺ وأبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما، جاءهم بعذْق ـ وهو من النخلة كالعنقود من العنب ـ فقال له : «هلا انتقيت لنا من رُطبه ؟» فقال : أحببت أن تنتقوا من بُسْره ورُطبه .

5 ـ **البصل** : روى أبو داود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها سُئلت عن البصل؟ فقالت : إن آخرَ طعام أكله رسول الله ﷺ كان فيه بصل .

وثبت عنه فى الصحيحين : أنه منع آكله من دخول المسجد وفى السنن :أنه ﷺ أمر آكله وآكل الثوم أن يميتهما طبخاً .

6 ـ **التمر** : روى البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ

---

(2) من المعروف أن الغذاء قبل الدواء، وأن درهم وقاية خير من قنطار علاج؛ لذا رأيت ضرورة ذكرها.

(3) تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، ونذكر الأحاديث بدون شرح، فمن أراد ذلك يرجع إلى الكتاب، وأذكر درجة الإسناد ما ذكره المحققان .

قال : «من تصبح بسبع تمرات ـ وفى لفظ : من تمر العالية ـ لم يضره ذلك اليوم ولا سحر» .

وروى مسلم قوله ﷺ : «بيت لا تمر فيه جياع أهله» . وفى رواية ابن ماجه «بيت لا تمر فيه كالبيت لا طعام فيه» .

وثبت فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه، عنه ﷺ أنه أكل التمر بالزبد، وأكل التمر بالخبز، وأكله مفرداً .

7 ـ **الثريد المركب من اللحم والخبز** : روى البخارى ومسلم عنه ﷺ أنه قال : «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» .

8 – **الجمار (قلب النخل)**: روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ أتى بجمار نخلة، فقال النبىﷺ: «إن من الشجر شجرةً مِثْلَ الرجلِ المسلمِ لا يسقط ورقها . الحديث» قال ابن القيم : وشجرته كلها منافع، ولهذا مثلها النبى ﷺ المسلم لكثرة خيره ومنافعه .

9 ـ **الجبن** : روى أبو داود ـ بإسناد حسن ـ عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : أُتى النبى ﷺ بجُبْنَةٍ فى تبوك، فدعا بسِكين؛ وسمّى؛ وقطَعَ .

10 ـ **الحبة السوداء (حبة البركة)** : روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بهذه الحَبَّةِ السوداء، فإن فيها شِفاءً من كل داءٍ إلا السام» . والسام : الموت .

11 – **الصَّبِر والثُّفَّاء** : روى أبو داود فى المراسيل عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال : «ماذا فى الأَمَرَّينِ منِ الشَّفاء؟ الصَّبِرُ والثُّفَّاء» الصَّبر : (اضمدها بالصَّبِر) أى اكتحل به، وهو شىء أحمر يجعل فى العين بمنزلة الكحل[1] .

والثُّفَّاء : بذر الرشاد .

12 – **الخل** : روى مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ سأل أهله الإدام؟ فقالوا : ما عندنا إلا خَلٌّ، فدعا به، وجعل يأكلُ؛ ويقول : «نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ، نِعمَ الإدامُ الخَلُّ» . وفى رواية لابن ماجه : «نِعْمَ الإدام الخلّ، اللهم بارك فى الخل فإنه كان إدام الأنبياء قَبلى،ولم يفتقِرْ بيتٌ فيه خَلٌّ» .

روى الترمذى، وقال حسن غريب، عن أم هانئ بنتِ أبى طالبٍ قالت : دخلَ علىَّ رسولُ الله ﷺ فقال : «هل عندكم شىء؟» فقلتُ : لا إلا كسرة يابسةٌ وخَلٌّ، فقال النبى ﷺ : «قَرِّبيه فما أَقْفَرَ بَيتٌ من أُدْم فيه خَلٌّ» .

(١) انظر : مجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر الفتنى الكجراتى (5 / 499) .

13 ـ **أكل الزيت والادهان به** : روى الترمذى وأحمد و الدارمى عن أبى هريرةﷺ مرفوعاً : «كُلُوا الزيت وادَّهِنُوا به» .

14 ـ **التطيب بالذريرة** : ثبت فى الصحيحين عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : طيبت رسول الله ﷺ بيدى، بذَريرةٍ فى حَجَّةِ الوَدَاع لحله وإحرامه .

والذَّريرة : فتات قصب طيب يجاء من الهند، وهو نوع من الطيب مجموع من أخلاط[1].

15 ـ **الرُّطَب** : فى الصحيحين عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : رأيت رسول اللهﷺ يأكل القِثّاءَ بالرُّطَبِ .

وفى سنن أبى داود والترمذى ومسند أحمد عن أنس ﷺ قال : «كان رسول اللهﷺ يفْطِرُ على رُطَبَاتٍ قبل أن يصلى، فإن لم تكنْ رطباتٍ فتمراتٍ، فإن لم تكن تمرات حَسَا حَسَواتٍ من ماء» وإسناده صحيح .

16 ـ **الرّيحان** : فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قال : «من عُرِضَ عليه رَيحانٌ فلا يرُدَّهُ، فإنه خفيفُ المحْمل، طيبُ الرائحةِ» قال : ابن القيم : الريحان كل نبت طيب الريح .

17 ـ **الزُّبْد بالتَّمر** : روى أبو داود ـ بإسناد صحيح ـ عن ابنى بُسْر السُّلَمِيين ﷺ قالا : «دخل علينا رسول الله ﷺ فقدَّمنا له زُبداً وتمراً، وكان يحبُّ الزُّبد والتَّمْرَ» .

18 ـ **السفرجل** : روى النسائى ـ بسند ضعيف ـ عن طلحة بن عُبيد الله ﷺ قال : أتيتُ النبى ﷺ وهو فى جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلِّبها، فلما جلستُ إليه، دحا بها إلى ثم قال : «دُونكَهَا أبا ذَرٍّ، فإنها تشُدُّ القلبَ،وتُطيبُ النفسَ، وتذهبُ بِطخَاء الصَّدْر» .

19 ـ **السِّواك** : فى الصحيحين عنه ﷺ : «لولا أَشُقَّ على أمتى لأمرتُهم بالسِّواكِ عندَ كُلِّ صلاةٍ» .

(١) انظر : مجمع بحار الأنوار للفتنى الكجراتى (2 / 231) .

وفيها أنه ﷺ كان : إذا قامَ من الليل يشُوصُ فاهُ بالسِّواكِ .

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك .

وفى البخارى قوله ﷺ : «أكْثَرْتُ عليكم فى السِّواك ».

20 ـ **ألبان البقر وسمنها** : روى ابن جرير ـ بإسناد ضعيف ـ مرفوعاً : «عليكم بألبان البقر، فإنها شِفاءٌ وسمنها دواءٌ، ولحومُها داءٌ» . ورواه الحاكم بسند ضعيف أيضاً .

21 – **السمك والكبد والطحال** : روى الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : «أحِلَّتْ لنا ميتَتان و دَمَانِ : السَّمكُ والجراد، والكَبِدُ والطحالُ»، وإسناده ضعيف، لكن رواه البيهقى موقوفاً عن ابن عمر بإسناد صحيح، وهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً. قاله المحققان [1] .

وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : بعثنا النبى ﷺ فى ثلاثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتينا الساحل، فأصابنا جوعٌ شديد، حتى أكلنا الخَبَطَ، فألقى لنا البحرُ حوتاً يقال لها : عَنْبر، فأكلنا منه نصف شهر، وائتدمنا بِوَدَكِهِ حتى ثابت أجسامُنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه،وحمل رجلاً على بعيره، ونصبه، فمر تحته» .

22 ـ **العجوة** : فى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «مَنْ تصبَّحَ بسبع تَمَراتٍ عجوةٍ، لم يضُرَّه ذلك اليوم : سُمٌّ، ولا سِحْرٌ» .

23 ـ **الكَمَأة** : روى الترمذى وحسنه وأحمد وابن ماجه عن النبى ﷺ أنه قال : «العَجْوةُ من الجنة، وهى شِفاءٌ من السُّمِّ، والكمأة من المَنّ، وماؤها شِفاءٌ للعين» .

قال الغافقى : ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين، إذا عُجِنَ به الإثمد واكتُحِلَ به، ويقوِّى أجفانها، ويزيد الروحَ الباصرة قوةً وحِدّةً، ويدْفَعُ عنها نزول النوازل [2] .

---

(١) شعب وعبد القادر الأرناؤوط .
(٢) زاد المعاد (4 / 365) .

24 ـ **ورق الأراك وثمره (الكَبَاث)** : فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ نَجنى الكَبَاثَ، فقال ﷺ : «عليكم بالأسود منه فإنه أطْيبُه».

25 ـ **اللحم** : قال الله تعالى : ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الطور] وقال : ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة] والثريد أطيبه وهو وضع الخبز مع مرقة اللحم باللحم : وفى الصحيحين عنه ﷺ قال : «فَضْلُ عائشة على النساء، كفضل الثّريد على سائر الطعام» .

وفوائد الثريد كثيرة: وهى اجتماع الخبز المغذى بالمرقة المغذية باللحم المقوى، وتسهيل المضغ على الأضراس، وزيادة فى كمية الطعام، والمحافظة على نعمة الله بعدم رمى المرق، وسهولة الهضم، ولذة الطعام . قال نافع : كان ابن عمر ـ رضى الله عنهما، إذا كان رمضان لم يفته اللحم، وإذا سافر لم يفته اللحم.

ويروى عن على ﷺ : «كُلوا اللحم، فإنه يصَفِّى اللونَ ويخْمِصُ البطن، ويحسّنُ الخُلقُ، ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه». وقال الزهرى : أكل اللحم يزيدُ سبعين قوة .

وقال محمد بن واسع : اللحم يزيد فى البصر .

وفى الصحيحين أن لحم الذراع كان يعجب النبى ﷺ .ولهذا سألت اليهودية فى خيبر عندما أرادت سَم النبى ﷺ أى الطعام يحبه الرسول ﷺ، فجعلت فى الذراع سماً كثيراً .

أما لحوم الطير : ففى الصحيحين أن النبى ﷺ أكل لحم الدجاج، وروى النسائى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «ما مِنْ إنسان يقْتُلُ عُصْفوراً فما فوقه بغير حقه؛ إلا سأله الله عزَّ وجلَّ عنها، قيل : يا رسول الله، وما حَقُّهُ؟ قال : «تَذْبَحُهُ فَتَأْكُلُهُ، ولا تقطعْ رأسَهُ وترمى به» وفى رواية للنسائى عن عمرو بن الشريد

عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «من قَتَل عُصْفوراً عَبَثاً، عَجَّ إلى الله يقول : يا ربِّ، إن فلاناً قتلنى عَبَثاً، ولم يقْتُلنى لمنفعته» .

26 ـ **اللبن** : قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل] وروى الإمام أحمد وغيره بسند حسن مرفوعاً :

من أطعمه الله طعاماً فليقل :«اللهم بارك لنا فيه، وارزُقنا خيراً منه، ومن سَقاهُ الله لبناً، فليقل : اللهم باركْ لنا فيه، وزِدنا منه،فإنى لا أعلمُ ما يجزئ من الطعام والشَّراب إلا اللبن» .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ شرب لبناً، ثم دعا بماء فَتَمضمضَ، وقال : «إن له دَسَماً» .

وفى المستدرك للحاكم بسند حسن عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً : «عليكم بألبان البقر، فإنها تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشجر» .

27 ـ **الماء** : قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء]

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : رسول الله ﷺ : «سيحانُ، وجَيحانُ، والنيلُ؛ والفراتُ، كُلٌّ من أنهارِ الجنةِ» . فثبت أفضلية ماء تلك الأنهر، وبهذا يثبت أنها أفضل من ماء الينابيع الذى يصنع منه ماء الصحة بالقنانى المعروفة فى عصرنا .

ماء زمزم سيد المياه : فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال لأبى ذَرٍّ،وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ، ما بين يومٍ وليلةٍ، ليس له طعامٌ غيره، فقال النبى ﷺ : «إنها طعامُ طعْمٍ» وزاد غير مسلم (١) : «وشِفاءُ سقم» . قال ابن القيم : روينا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حجَّ، أتى زمزم، فقال : «اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ عن نبيك ﷺ أنه قال : «ماءُ زَمْزَمَ شُرِبَ له» وإنى أشْرَبُهُ لظمأ

(١) البزار والبيهقى والطالسى والطبرانى فى الكبير والأوسط وإسناده صحيح كما قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (2 / 133) والهشمى فى المجمع (3 / 286)، انظر : زاد المعاد (4 / 392) هامش التحقيق .

يوم القيامة» . قال ابن القيم : وابنُ أبى الموالى ثقة، فالحديث إذاً حسن، وقد صححه بعضُهم، وجعله بعضُهم موضوعاً، وكلا القولين فيه مجازفة . ا نتهى . فانظر لدقة الإمام عبد الله بن المبارك تلميذ أبى حنيفة رحمهما الله، كيف يطبق السنة؟ وكيف يفكر ليوم القيامة؟ ولا يطلب شيئاً دنيوياً . اللهم وفقنا لذلك .

28 ـ **التطيب والطيب** : الطيب غذاء للأرواح، ومنشط للأجساد،ويجيب مودة وإنس الناس، ويبعث على الحركة، والثقة بالنفس، ويجيب الناس بصاحبه، وأطيبه بعد الغسل على نظافة الجسد، فيزداد الإنسان بجمال الجسد والروح، وفعله مع الأطفال يزيدهم حركة وفرحاً،حيث الطفل مكان تقبيل الكبير وضمه وشمه، فإذا طيبه أهله، فقد زادوه جمالاً والطفل أنقى قلباً، وأطهر فؤاداً، وأصفى نفساً، وبتطيبه يصبح حسن المظهر والمبطن، مما يبعث على حب الآخرين له من الأطفال و الكبار والرسول ﷺ كان يحب التطيب فى الأحوال كلها :

ثبت فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ وهو من صغار الصحابة ـ عن النبى ﷺ أنه قال : «أطْيبُ الطيب المِسْكُ» .

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : «كنتُ أُطَيِّبُ النبى ﷺ قبل أن يحْرِمَ، ويومَ النحر قبل أن يطوف بالبيت، بطيب فيه مسك» .

29 ـ **قلة المِلْح** : روى البزار والطبرانى ـ وإسناد الطبرانى حسن ـ من حديث سمرة مرفوعاً : «سَيوشِكُ أن تكونوا فى الناس مِثْلَ المِلْحِ فى الطعام، ولا يصْلُحُ الطعامُ إلا بالمِلح» .

30 ـ **الدُّبَّاء وهو القرع واليقطين** : قال الله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الصافات] . قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ واليقطين المذكور فى القرآن هو نباتُ الدُّباء وثمره يسمى الدُّباء والقرع، وشجرة اليقطين .

وقد ثبت فى الصحيحين عن أنس ﷺ عنه وهو من الصغار الصحابة وممن خدم النبى ﷺ عشر سنين ـ أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس ﷺ : فذهبتُ مع رسول الله ﷺ،فقرَّب إليه خُبزاً من شعير، ومرقاً فيه دُبَّاء وقديدٌ (أى لحم مُقدّد)، قال أنس : فرأيتُ رسول الله ﷺ يتَتَبَّعُ الدُّبَاء من حَوالى الصَّحْفَةِ، فلم أزل أُحِبُّ الدُّبَّاء من ذلك اليوم» .

وقال أبو طالوت : دخلتُ على أنس بن مالك ﷺ وهو يأكل القرع، ويقول: يالَكِ من شجرة، ما أحبَّكِ إلىَّ لِحبِّ رسولِ الله ﷺ إياك .

وفى الغيلانيات من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﷺ قالت : قال لى رسول الله ﷺ : «يا عائشة، إذا طَبَخْتُم قِدْراً، فأكْثروا فيها من الدُّبَّاء، فإنها تشُدُّ قلبَ الحزين» .

ويذكر عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يكثر من أكله[1] .

31 ـ **الخبز و الماء** : عن عثمان بن عفان ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ليس لابن آدمَ حقٌ فى سِوى هذه الخِصالِ : بَيتٌ يسْكُنُهُ، وثَوْبٌ يوارى عَوْرتَه، وجِلْفُ الخُبْزِ[2] والماء» . رواه الترمذى وقال : حسن صحيح . ورواه أحمد .

وأفضل الخبز، خبز الشعير :

عن أبى أُمَامَةَ ﷺ قال : «ما كان يفْضُلُ[3] عن أهل بيتِ النبى ﷺ خُبْزُ الشّعير» رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب . ورواه أحمد .

32 ـ **أنواع الوليمة النبوية من الأطعمة** :

روى أبو داود عن يعيشَ بنِ طَخْفَةَ بنِ قَيسٍ الغِفَارى قال : كان أبى من أصحاب الصُّفَّة، فقال : رسولُ الله ﷺ : «انطلِقُوا بِنا إلى بيتِ عائشة ـ رضى الله عنها

(١) انظر : زاد المعاد (4 / 403 – 405).

(٢) جِلْفُ الخبز : الخبز ليس معه إدام .

(٣) الفضل : الزيادة عن الحاجة .

ـ فانطلقنا، فقال : «يا عائشةُ، أَطْعمينا» فجاءت بِحَشِيشَةٍ [1]، فأكلنا، ثم قال : «يا عائشةُ، أَطْعمينا»، فجاءت بِحَيسَةٍ [2] مِثْل القَطَاة [3]، فأكلنا، ثم قال : «يا عائشةُ، اسْقينَا، فجاءت بعُسٍّ [4] من لَبَنٍ فَشَرِبْنا، ثم قال : «يا عائشةُ، اسْقِينَا، فجاءت بقَدَحٍ صغيرٍ، فَشَرِبْنَا، ثم قال : إن شِئتُم بِتُّمْ، وإن شِئتمُ انطلقتم إلى المسجد» قال : فبينما أنا مُضطجعٌ فى المسجد من السَّحَرِ على بطنى، إذا رجُل يحرِّكنى بِرِجْلِهِ فقال : إن هذه ضِجْعَةٌ يبغضُها الله، قال فنظرت فإذا رسول الله ﷺ ورواه أحمد .

(١) الحشيشة : طعام من الحبوب المطحونة ثم يوضع عليه لحم أو تمر.

(٢) الحيس : طعام يتخذ من التمر والسمن واللبن المجفف .

(٣) القَطَاة : طائر يشبه الحمامة .

(٤) العُسّ : القدح الكبير، والرفد أكبر منه .

الفصل الثالث

بناء عقلية الطفل الإسلامية

المبحث الأول : البناء العَقَدي للطفل .

المبحث الثاني : أخبار طفولة الرسول ﷺ .

المبحث الثالث : البناء العلمى والفكري للطفل .

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ
شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا

ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤﴾ [الأعراف].

أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تُحسون فيها من جدعاء؟».

ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا قول الله تعالى : ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم] .

البناء العَقَدى للطفل

تمهيـــد :

تتميز العقيدة الإسلامية ـ الإيـمان بـالله؛ وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، واليـوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ـ بأنها كلها غيب، يحار المرء كيف يقدمها للطفل، وكيف سيتعامل معها ذلك الطفل؟ وكيف يمكن تبسيطها؟ وكيف يعرضها؟ أمام كل هذه الأسئلة وغيرها، تأخـذ الوالـدين الحيرة والاستفسـار عـن هذه الكيفيات، ولكن من خلال تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال، نجد خمسة أركـان أساسية فى تثبيت هذه العقيدة .

الأساس الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد .

الأساس الثانى : ترسيخ حب الله تعالى .

الأساس الثالث : ترسيخ حب النبى ﷺ وآل بيته الأطهار ، وصحابته الكرام .

الأساس الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم .

الأساس الخامس : ثبات الطفل على العقيدة والتضحية لها .

وقد حث الإمام الغزالى على اهتمام بعقيدة الطفل وتلقينهـا منـذ صـغره لينشـأ عليها، فيقول :

«اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة؛ ينبغـى أن يقـدم للصـبى فى أول نشـوئه، ليحفظه حفظاً؛ ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به، وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهـان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشوئه للإيـمان، مـن غير

حاجة إلى حجة أو برهان»[1] . ثم يدلنا على الطريقة فى ترسيخ العقيدة، فيقول : «وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يستطع عليه من أنوار العبادات، ووظائفها» .

وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة الإيمانية، كيف لا ؟ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف] .

والحديث القدسى يشرح هذا، ويبينه أحسن بيان ـ فيما رواه مسلم ـ يقول الله تعالى : «إنى خلقت عبادى حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم» .

قال الشيخ الملا على القارى فى شرحه على مسند أبى حنيفة، عندما ساق حديث: «كل مولود يولد على الفطرة» قال ـ رحمه الله [2] :

«أى فطرة الإسلام من التوحيد والعرفان، والمعنى : أنه لو خُلِّى وطبعه، لما اختار إلا طريق الإيمان، على وجه الإحسان؛ لما جُبِل عليه من الطبع المتهيئ لقبول الشرع، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها مائلاً إلى غيرها .

وقيل : معناه : كل مولود يولد على معرفة الله تعالى، والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرُّ بأن الله صانع، وهذا يوافق قول أبى حنيفة : من أنه يجب على كل مكلف أن يعرف الله بمجرد عقله، مع عدم علمه ببعثة الرسل » .

وتبلغ رحمة الرسول ﷺ بإيمان الأطفال؛ أن يتطلع إلى إيمانهم وهم فى أصلاب

١() الإحياء(1/ 94) .

٢() شرح مسند أبى حنيفة (ص 225) .

آبائهم الكفار، وأن يكون أمله فى انتصار الإسلام على يد أطفال المستقبل، ويأمل ﷺ ذلك، وهو مضطهد من قبل قومه، فلا يجد أرضاً يهاجر إليها، ولا يحصل على تأشيرة الدخول إلى وطنه إلا بشق الأنفس، وتحت كفالة مطعم بن عدى الذى مات كافراً :

فعندما عاد من الطائف فى رحلته الدعوية، باحثاً عن أرض جديدة للدعوى فلم يفلح، ولاقى من أهل الطائف العَنَت، والاستكبار، والأذى، وسال دمه الشريف من أثر رمى صبيان الطائف له بالحجارة .

وهكذا ارتوت تربة الطائف بدمه الشريف، وهذا أول ما سال منه ﷺ من الدم، وكان ثانيها فى أحد، ولم يحصل من جراء هجرته إلى الطائف ماشياً على قدميه مسافة تقدر بتسعين كيلو متراً إلا إيمان رجلين : ابن مسعود، وعداس، وفى أثناء عودته ـ كما روى البخارى فى صحيحه ـ ينزل عليه جبريل ومعه مَلَك الجبال، فيقول جبريل للحبيب ﷺ : إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فيقول الحبيب ﷺ : «فنادانى ملك الجبال، فسلم عليه، ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئت، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأَخْشَبَين لفعلت (أى : الجبلين)» فقال الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده، لا يشرك به شيئاً» . رواه البخارى ومسلم .

وقد تحقق رجاء رسول الله ﷺ، فيسلم بنو ثقيف، وينبت منهم محمد بن القاسم الثقفى أحد القيادات الإسلامية، التى فتحت شرق آسيا من البلاد الإسلامية.

هكذا كانت القيادة النبوية تنظر إلى البناء الإسلامى المستقبلى فى رحمة، وأناة، وصبر، وحلم، فلا يستغل ﷺ قربه من الله تعالى، واستجابة دعائه، ولا ينتقم لنفسه، وإنما شأنه فى كل ذلك الدعاء، ثم الدعاء، ثم الدعاء للأمة ولأبنائها، ولا يدعو عليهم، فهل نقتض بصاحب الدعوة ؟! أم ما يزال الحمق يسيطر على البعض بالدعاء على الناس بدلاً من الدعاء لهم، فيا ليت قومى يعلمون ؟!!.

وإذا تأملنا صفحات القرآن، نجد أن الرسل والأنبياء يعنون عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، فمن ذلك : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة] .

وهذا لقمان يرعى ابنه فيوصيه : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾

[لقمان] .

ونلاحظ أن سورة الإخلاص التى تمثل الاعتقاد العقلى، وسورة الكافرون التى تمثل الاعتقاد العملى، هما من قصار السور القرآنية؛ التى تبحث فى ميدان العقيدة، وما ذلك إلا إشارة إلى سهولة حفظها على الأطفال، الذين يتميز نَفَسهُم بالقِصَر، وذاكرتهم بالنشأة الأولى .

وإن من اهتمام النبى ﷺ بالأطفال أن يدعوهم إلى الإسلام دائماً، حتى شق طريقه فى بناء جيل، ضمّ على بن أبى طالب ﷺ الذى آمن بدعوة النبى ﷺ ولم يتجاوز سن العاشرة، وحتى إنه فى زيارته ﷺ وعيادته للأطفال المرضى، كان يدعوهم إلى الإسلام، وبحضور آبائهم :

روى الإمام عبد الرزاق فى مصنفه (6/ 34) أن النبى ﷺ كان له جار يهودى لا بأس فى خُلُقه، فمرض، فعاده رسول الله ﷺ بأصحابه فقال : «أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟» فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، وسكت الفتى، ثم الثانية، ثم الثالثة، فقال أبوه فى الثالثة : قل ما قال لك، ففعل، فمات، فأرادت اليهود أن تليه، فقال رسول الله ﷺ : «نحن أولى به منكم» فغسله رسول الله ﷺ وكفنَّه،وحنَّطه، وصلى عليه .

وتابع السلف الصالح الاهتمام بدعوة الأطفال إلى الإسلام، فكان عمر بن

الخطاب ﷺ لا يدع يهودياً، ولا نصرانياً ينصِّر ولده، ولا يهوِّده فى مِلْك العرب[1].

وقَدِمَ على عمر ﷺ رجل من تغلب، فقال له عمر : إن كان لكم فى الجاهلية نصيب، فخذوا نصيبكم من الإسلام، فصالحه على أن أضعف عليهم الجزية، ولا ينصَّروا الأبناء[2].

وقد فعل عمر هذا اقتداء برسول الله ﷺ فعن على بن أبى طالب ﷺ قال : شهدت رسول الله ﷺ حين صالح نصارى بنى تغلب على ألا ينصروا الأبناء، فإن فعلوا فلا عهد لهم، قال على : لو فرغت لقاتلتهم [3].

وهذا مجاهد يقول لغلام له نصرانى : يا جرير، أسلم، ثم قال : هكذا كان يقال لهم[4].

وما هذا الذى تقدم معنا إلا تنبيه للأجيال القادمة؛ وقادتها وعلمائها؛ أن تهتم بالأطفال، ولا يتركونهم هملاً؛ تعصف بهم الرياح، وتحتضنهم رجالات الكفر، ودعاته .

وفى عصرنا الحاضر ابتلى المسلمون بالهجرة إلى بلاد الكفر، فيهاجرون مع أطفالهم، فتأخذ تلك البلاد أطفالهم بالتَّنصير رويداً رويداً[5]، فينحلّون سلوكياً، ثم عَقَدياً، وذلك من أجل الحصول على الجنسية الجديدة!!. ولكن حكم الهجرة ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة : 173] مع الحرص الشديد على إرجاع الأبناء إلى العيش فى البلاد الإسلامية، وعدم الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية،

١() مصنف عبد الرزاق (6/ 48) .

٢() المصدر السابق (6/ 50) .

(٣، 4) المصدر السابق (6/ 123) .

(5) شكا مجموعة من القساوسة فى الغرب إلى البابا فى روما: إننا استطعنا أن نجعل من شباب المسلمين فى الغرب من يشرب الخمر، ويمارس الزنا، إلا أننا لم نستطع أن نجعلهم يأكلون لحم الخنزير، فكان جواب البابا لهم : «أليس أولادهم فى مدارسنا ؟» . فهل نصحو لأبنائنا ؟! اللهم نعم . انظر : مجلة النور الكويتية، عدد سنة 1988م .

ومهما يكن من أمر، فإن الهجرة إلى البلاد الكافرة خطيرة جداً، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب الآخرة .

الأساس العَقَدى الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد :

روى الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال : «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله» . وروى عبد الرزاق «أنه كانوا يستحبون، أول ما يفصح، أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك، أول ما يتكلم به» .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى أحكام المولود : «فإن كان وقت نطقهم فليلقنوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق[1] عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا ، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يسمعون أولادهم ـ عمانويل ـ ومعنى هذه الكلمة: إلهنا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله : عبد الله، وعبد الرحمن، بحيث إذا وعى الطفل وعقل على أنه : عبد الله، وأن الله سيده ومولاه» .

وروى عبد الرزاق فى مصنفه (4/ 3349) عن عبد الكريم بن أبى أمية قال : كان رسول الله ﷺ يعلم الغلام من بنى هاشم إذا أفصح سبع مرات : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء] .

ويتابع الأنبياء والرسل توصية أبنائهم مهما ابتعدوا عن الله تعالى، إذ عليهم البلاغ، وعلى الله تعالى الهداية :

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : إن النبى ﷺ قال : «قال نوح

١() فوقية لا تشبه فوقية المخلوقات بعضها فوق بعض حساً ومكاناً لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : 11] وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص].

لابنه : إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها، أوصيك باثنين، وأنهاك عن اثنين، أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله سبحانه وتعالى :

ـ أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانت حلقةً قَصَمَتْها؛ ولو كانت فى كفةٍ وزنَتْها .

ـ وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق، وبها يرزق الخلق ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء] ... رواه النسائى، وهذا لفظه، وأخرجه البزار والحاكم، وقال : صحيح الإسناد[1] .

فلا بد من تعويد الطفل على ذكر الله بتوحيده بالشهادتين، وتسبيحه، وتحميده، فإنه يطرد الشيطان، ويساعد الوالدين على سرعة استجابة أبنائهم لهم، ويسهل على الوالدين حل مشكلات أبنائهم النفسية﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : 124] .

ومما رواه ابن ظفر المكى قصة لطيفة فى حكم تكرار الطفل الشهادتين، فقال [2] :

«بلغنى أن أبا سليمان داود بن نصير الطائى ـ رحمه الله ـ لما بلغ من العمر خمس سنوات؛ أسلمه أبوه إلى المؤدِّب، فابتدأ بتلقين القرآن، وكان لَقِناً، فلما تعلم سورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط، مفكراً يشير بيده، فخافت على عقله، فنادته : قم يا داود ! فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها، ودعت بالويل، فقال : مالَكِ يا أماه، أبكِ بأس ؟ قالت : أين ذهنك ؟ قال : مع عباد الله، قالت : أين هم ؟ قال : فى

١() انظر : تحفة الذاكرين للشوكانى (ص237) .
٢() أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص 160) .

الجنة، قالت : ما يصنعون ؟ قال : ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان] ثم مر فى السورة وهو شاخص، كأنه يتأمل شيئاً، حتى بلغ قوله :﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان] قال : يا أماه، ما كان سعيهم ؟ فلم تدر ما تجيبه، فقال لها : قومى عنى؛ حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه؛ فأعلمته شأن ولده، فقال له أبوه : يا داود، كان سعيهم أن قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها فى أكثر أوقاته .

ولذلك كانت وصية النبى ﷺ لمعاذ رضي الله عنه فيما رواه أحمد وابن ماجه والبخارى فى الأدب المفرد قوله ﷺ : «وأنفق على عيالك من طَوْلك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم فى الله»، ولم يلبث رسول الله ﷺ عندما أنزلت عليه الرسالة أن يبْعد الأطفال عن الإيمان بدعوته، بل تجاوز الأفق الضيق، فى الدعوات الحزبية، وانطلق إلى على بن أبى طالب[1] ـ وعمره لم يتجاوز العاشرة ـ ودعاه إلى الإيمان، فآمن به، ولازمه فى الخروج إلى الصلاة، مستخفياً فى شعاب مكة، حتى عن أهله وأبيه .

ولقد وجدهما مرة أبوه يصليان، فكلم رسول الله ﷺ : يا بن أخى، ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ فأجابه : أى عَمْ، هذا دين الله، وملائكته،ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثنى الله رسولاً إلى العباد، وأنت أحقُ من بذلت له النصيحة؛ ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إليه، وأعاننى عليه»[2]. أما أول[3] من أسلم من الموالى فهو «زيد بن حارثة»؛ الذى كان قد جاء به ضمن الأسرى من الشام، عمُّ السيدة خديجة؛ حكيم بن حزام، فاختارته غلاماً لها، وطلبه رسول الله ﷺ فأعتقه،

١() قال ابن الصلاح فى مقدمته (ص 150) : «والأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث على، ومن النساء السيدة خديجة، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال» .

٢() المصدر السابق .

٣() سيرة نبى الهدى والرحمة لعبد السلام هاشم حافظ (ص 81)، طبع رابطة العام الإسلامى، مكة المكرمة .

وتبناه، ورباه بينهم [1] .

وهكذا بدأ رسول الله ﷺ دعوته الجديدة فى إقامة المجتمع الإسلامى الجديد، مركزاً اهتمامه على الأطفال، بالرعاية والدعوة والدعاء، حتى نال على ـ كرم الله وجهه ـ شرف الدفاع عن رسول الله ﷺ بنومه فى بيت الرسول ﷺ ليلة الهجرة . إنها تربية النبوة للأطفال الناشئين، ليكونوا قادة المستقبل، ومؤسسى المجتمع الإسلامى الوليد الجديد، فهلا نصحو لنقطة البداية فى الانطلاقة الجديدة فى القرن الخامس عشر الهجرى ؟!! اللهم نعم .

ويحدثنا أحد الغلمان كيف آمن بالرسول ﷺ :

فعن أبى قرْصافة ﷺ قال : كان بدءُ إسلامى أنى كنت يتيماً بين أمى وخالتى، وكان أكثر ميلى إلى خالتى، وكنتُ أرعى شُوَيهات لى، فكانت خالتى كثيراً ما تقول لى : يا بنى، لا تَمُرَّ إلى هذا الرجل ـ تعنى : النبى ﷺ ـ فيغْويك، ويضلَّكَ، فكنت أخرج حتى آتى المرعى، وأترك شويهاتى، وآتى النبى ﷺ ، فلا أزال أسمع منه، ثم أُروِّح غنمى ضُمْراً يابساتِ الضلوع، وقالت لى خالتى : ما لغنمكَ يابساتِ الضلوع؟ قلت : ما أدرى .

ثم عدت إليه فى اليوم الثانى، ففعل كما فعل فى اليوم الأول، غير أنى سمعته يقول : «يا أيها الناس، هاجروا، وتمسّكوا بالإسلام، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد» .

ثم إنى رحتُ بالغنم كما رحتُ فى اليوم الأول، ثم عدت إليه فى اليوم الثالث، فلم أزل عنده أسمع منه، حتى أسلمت وبايعتُه، وصافحتُه، وشكوتُ إليه أمر خالتى، وأمر غنمى، فقال لى رسول الله ﷺ : «جئنى بالشياه» . فجئته بهنَّ، فمسح

١() سيرة نبى الهدى والرحمة لعبد السلام هاشم حافظ (ص 81)، طبع رابطة العام الإسلامى، مكة المكرمة .

ظهورهنّ، وضروعهنّ، ودعا فيهن بالبركة، فامتلأنَ شحماً ولبناً .

فلما دخلتُ على خالتى بهنّ ـ أى : بالشياه ـ قالت : يا بنىّ، هكذا فارْعَ ! قلت : يا خالة، ما رعيتُ إلا حيث أرعى كل يوم، ولكن أُخبرُكِ بقصتى، وأخبرتها بالقصة، وإتيانى النبى ﷺ، وأخبرتها بسيرته، وكلامه .

فقالت أمى وخالتى : اذهب بنا إليه، فذهبت أنا وأمى وخالتى، فأسلمن، وبايعن رسول الله ﷺ . قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى، ورجاله ثقات . انتهى .

من هذا يتبين اهتمام رسول الله ﷺ بدعوة الكبار والصغار، بل ويهتم بهموم الصغار، ويحلّ لهم مشكلاتهم، ويساعدهم على أمور معاشهم، ويفيض عليهم من بركاته التى من الله عليهم بها .

وهذا غلام آخر يؤمن بالرسول ﷺ لما يراه من معجزاته، ويأخذ عنه سبعين سورة :

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قال : كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبى مُعيط، فمرّ بى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال ﷺ : «ياغلام، هل من لبن؟» . قال ابن مسعود : فقلت نعم، ولكنى مؤتمن، قال : «فهل من شاة لم ينْزُ عليها الفحل؟»، فأتيته بشاة، فمسح رسول الله ﷺ ضرعها فنزل لبن، فحلبه فى إناءٍ فشرب، وسقى أبا بكر، وفى رواية : فشرب، وشرب أبا بكر، ثم قال ﷺ للضرع : «اِقْلصْ» (أى : امسك) فقلص ... قال ابن مسعود : ثم أتيته بعد هذا، فقلت : يا رسول الله، علمنى من هذا القول، وفى رواية أخرى : علمنى من هذا القرآن، فمسح رأسى وقال :«يرحمك الله، فإنك غُليم مُعلم» قال : فأخذتُ من فيه ﷺ سبعين سورة .

فهل نبدأ بتعليم الأطفال القرآن الكريم، وسيرة الرسول ﷺ ؟! اللهم نعم إن شاء الله تعالى .

الأساس العَقَدى الثانى : غرس حب الله تعالى، والاستعانة به، ومراقبة الله،

والإيمان بالقضاء والقدر فى الطفل .

لكل طفل مشكلاته الخاصة به، سواء منها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمدرسية، وتختلف هذه المشكلات بين طفل وآخر، فى حدّتها، وشدّتها، وطراوتها.. وقد يعبر الطفل عن مشكلاته بشكل شعورى أو لا شعورى، فبأى وسيلة يمكن معالجته من الداخل ؟ وبأى طريقة يستطيع الطفل؛ أن يخفّف من آلامه ـ إن وجدت ـ ويخلصه من مشكلات إن حصلت ؟

إنها بترسيخ حب الله تعالى؛ والاستعانة به، ومراقبته، وبالإيمان بالقضاء والقدر، وهذا أسلوب رسول الله ﷺ وليس ابتكاراً من أحد غيره .

فبتعميق هذا الحب والاستعانة بالله فى نفسه، وتأصيل هذه المراقبة فى قلبه، وغرس الإيمان بالقضاء والقدر فى لبه وفؤاده، يستطيع الطفل مواجهة حياته الطفلية الآن، ومستقبل رجوليته ـ أو : أموميته ـ فيما بعد :

1ـ ما ورد فى حضّ الأطفال على خوف الله ومراقبته فى نفوسهم :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم فى الله عز وجل» . رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وإسناده جيد، كذا قاله الهيثمى فى المجمع(8/ 106) .

وأخرج الترمذى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال : «يا غلام، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف» . وفى رواية غير الترمذى زيادة : «احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّفْ

إلى الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأكَ لم يكن ليصيبك، وما أصابَك لم يكن ليخطئك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1].

فإذا ما حفظ الطفل هذا الحديث، وفهمه جيداً، لم تقف أمامه عثرة، ولم يعقه شىء، فى مسيرة حياته كلها . فأى تربية هذه ـ قديمة وحديثة ـ تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث ؟!

إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حلِّ مشاكل الطفل، بفضل تأثيره، وروحانيته، وله القدرة فى دفع الطفل نحو الأمام بفضل استعانته بالله، ومراقبته له، وإيمانه بالقضاء والقدر، وإن أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوى، فهم يستعينون بالله على ما أصابه من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً .

وإليك بيان ذلك عملياً لا بالكلام النظرى :

أورد بن رجب الحنبلى فى كتابه ـ جامع العلوم والحكم [2] ـ عن آدم بن أبى إياس فى تفسيره عن محمد بن إسحاق[3] قال : جاء مالك الأشجعى إلى النبى ﷺ فقال : أُسِرَ ابْنى عوف، فقال له : «أرسل إليه : أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله»، فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوف يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقِدِّ، فسقط القِدّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم، فركبها، فإذا هو بسرح القوم الذين كانوا شدوه، فصاح بها، فأتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة ! فقالت أمه : وا

١() صحيح . ورواه أحمد، والحاكم، والطبرانى، وابن السنى، والآجرى، والضياء . انظر : صحيح الجامع رقم (7957) .

٢() ص (187) وذكره ابن كثير فى تفسيره وقال : رواه بن أبى حاتم .

٣() وهو ثقة عند الحنفية، وانظر : دراسة توثيقه فى كتب السيرة لمحمد بن إسحاق، تحقيق : الدكتور محمد حميد الله .

سَوْأَتاه ! عوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصّ على أبيه أمْره، وأَمْرَ هذه الإبل، فأتى رسول الله فأخبره بأمر عوف وأمر الإبل، فقال رسول الله ﷺ : «اصنع بها ماأحببت، وما كنت صانعاً بإبلك» . ونزل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق] .

وعن سهل بن سعد : أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكى عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك فى البيت، فذُكر ذلك للنبى ﷺ ، فجاءه فى البيت؛ فلما دخل عليه اعتنقه الفتى، وخَرَّ ميتاً، فقال النبى ﷺ : «جَهِّزوا صاحبكم؛ فإن الفَرَقَ فَلَذَ كبده» . رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 494) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبى : صحيح . ورواه ابن أبى الدنيا .

وهذا نموذج آخر فى اهتمام السلف الصالح بترسيخ الإيمان وحلاوته، وأن الطريق إلى ذلك الوصول إلى درجة اليقين بالقضاء والقدر، ونلحظ حرص السلف الصالح، وهم فى أحرج الأوقات قبل الموت، على توجيه أولادهم وإرشادهم :

روى الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة قال : «دخلت على عبادة وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه، أوصنى؛ واجْتهد لى، فقال أجلسونى، فلما أجلسوه قال : يا بنى، إنك لم تَطْعم الإيمان، ولم تبلغ حقّ حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بنى، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له : اكتب، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بنى، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار» ورواه أيضاً الترمذى، وقال : حسن صحيح غريب .

نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح :

1 ـ كان عمر بن الخطاب ﷺ يسير فى الطريق، وهو أمير المؤمنين، وكان مجموعة من الأطفال يلعبون فى الطريق، فلما رأوه هربوا منه إلا واحداً ـ هو عبد الله بن الزبير ـ فتعجب عمر منه، وسأله عن سبب عدم هربه، فأجابه : لم أكن مذنباً فأهرب منك، ولم أكن لأخافك فأوسع لك الطريق[1].

2 ـ وكان ابن عمر فى سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : إنها ليست لى، فقال : قل لصاحبها : إن الذئب أخذ منها واحدة؛ فقال العبد : فأين الله !! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة؛ مقالة ذلك العبد : فأين الله ؟![2].

3 ـ وكان لبعض المشايخ تلامذة، فكان يخص واحداً منهم؛ بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له فى ذلك، فقال : أبين لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا، ورجع كل منهم؛ وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً، فقال : هلا ذبحته؟ فقال : أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد، فقال : لهذا أخصه بإقبالى عليه [3].

4 ـ وأورد الإمام الغزالى فى «إحيائه» [4]قصة لطيفة فقال : قال سهل بن عبد الله التسترى : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار، فقال لى يوماً : ألا تذكر الله الذى خلقك، فقلت : كيف أذكره، فقال : قل بقلبك عند تقلبك بثيابك، ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك : الله معى، الله ناظرى، الله شاهدى، فقلت ذلك ليالى؛ ثم أعلمته، فقال : قل فى كل ليلة سبع

١() تذكرة الآباء وتسلية الأبناء لابن العديم المتوفى سنة (660 هـ) (ص 61) .
٢() الرسالة القشيرية (ص147) .
(3) السابق ذاته.
٤() وانظر : أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص 144) .

مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع فى قلبى حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لى خالى : احفظ ما علمتك، وَدُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة فى سرى، ثم قال لى خالى يوماً : يا سهل، من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسى، فبعثوا بى إلى المكتب، فقلت : إنى لأخشى أن يتفرق على همى، ولكن شارطوا المعلم أن أذهب إليه ساعة، فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتَّاب، فتعلمت القرآن، وحفظته [1]، وأنا ابن ست سنين، أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة .

5 ـ وأورد ابن ظفر المكى فى كتابه «أنباء نجباء الأبناء» (ص 148) : «إن الحارث المحاسبى ـ وهو صبى ـ مر بصبيان، وهم يلعبون على باب رجل تمّار، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث : كل هذه التمرات، قال الحارث : ما خبرك فيها؟ قال : إنى بعت الساعة تمراً من رجل، فسقطت من تمره، فقال : أتعرفه ؟ فقال : نعم ، فالتفت الحارث إلى الصبيان يلعبون، وقال : أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا : نعم، فمرّ وتركه، فتبعه التمّار، حتى قبض عليه، وقال له : والله ما تَنْفلت من يدى حتى تقول لى ما فى نفسك منى، فقال: يا شيخ، إن كنت مسلماً، فاطلب صاحب التمرات، حتى تتخلص من تبعته، كما تطلب الماء إذا كنت عطشان شديد العطش، يا شيخ، تُطْعم أولاد المسلمين السحت ـ أى : الحرام ـ وأنت مسلم ؟ فقال الشيخ : والله لا اتّجرت للدنيا أبداً .

6 ـ ومما أورده كذلك [2] : « بلغنى أن أبا الحسين أحمد بن محمد النورى، لما قرأ القرآن، ألزمه أن يكون معه فى الدكان، فإذا أصبح أخذ روزمانجاً، ودواة، وذهب

١() وهذا من بركة ذكر الله تعالى، ومراقبته .

٢() ص (156) كتاب أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر . وذكرها الشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله ـ فى مقدمة كتابه : (رسالة المسترشدين) وعزاها لهذا المصدر ورجعت إليه فوجدتها فيه .

يسأل عن علم ما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتب ما يقال له، ثم يأتى أباه، فيزجره عن غيابه، ويتهدده، وربما ضربه، وإذا بعث فى حاجة أخذ ألواحه معه، فيسأل من مرَّ به من أهل العلم، وربما ضربه أبوه على ذلك أحياناً، فقال له أبوه يوماً : ليت شعرى، ما تريد بعلمك هذا؟ قال : أريد أن أعرف الله تعالى، وأتعرف إليه، فقال : كيف تعرفه؟ قال : أعرفه بتفهم أمره ونهيه ! قال : وكيف تتعرف إليه؟ قال : أتعرف إليه بالعمل بما علمنى، قال له أبوه : لا أعرض لك فى أمرك ما بقيت .

7 ـ ونختم هذه النماذج بورع الإمام أحمد بن حنبل فى طفولته :

كان عمه يرسل إلى بعض البلاد بأحوال بغداد، ليعلم بها الخليفة ، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل، فتورع عن ذلك، ورمى بها الماء؛ تأثماً من الوشاية، والتسبب، لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفتت هذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن حنبل : «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه»[1] .

الأساس العَقَدى الثالث : ترسيخ حب النبى ﷺ وآل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام فى الطفل .

وبها يتحقّق الشطر الثانى من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله . وقد سار السلف الصالح وخلفهم فى تركيزها، وتثبيتها فى نفس الطفل، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه، وتزيد حرارة الشعور الإسلامى، وتدفع به إلى كل خير، وتحلّ له مشكلاته كلها، وتهوِّن عليه كلَّ مصيبة .

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها فى مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقتدى بها، وتسير على هداها، وتقلدها فى كل

١() عن : (رجال الفكر والدعوة) لأبى الحسن النووى (ص 105) . وقد كان كذلك بفضل السلوك العلمى، لا بالكلام والثرثرة . وفقنى الله وإياك إلى العمل الصالح .

حركاتها . والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، التى لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين .

وما العذاب الذى تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك، إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة، وعدم التشبه برسول الله ﷺ وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش فى فراغ فى الشخصية، تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة، وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين الباعدين كل البعد عن المنهج الربانى، وتهرول خلف بعض من يسَمّون أنفسهم مفكرى العصر، ورواده المثقفين الذين ينفخ الشيطان فى رؤوسهم، فيحسبونه فكراً نيراً، وهكذا نجد أهمية شخصية حية يقتدى بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ ؟ !

أولاً : ما ورد فى ترسيخ محبة الرسول ﷺ وآله الأطهار :

أخرج الطبرانى وابن النجار والديلمى عن على ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن» . وقال المناوى عن سنده : ضعيف .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن أنس ﷺ ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ : «وما أعددت لها؟» فقال : لا شىء، إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ «أنت مع من أحببت» . قال أنس : «**فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر؛ وعمر، فأرجو أن أكون معهم، بحبى إياهم**» ومعلوم أن أنساً خدم النبى ﷺ وهو طفل صغير عمره عشر سنين ولمدة عشر سنين .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : خرج النبى ﷺ فى طائفة النهار لا يكلمنى، ولا

أُكلِّمه؛ حت أتى سوق بنى قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فقال: «أَثُمَّ لُكَع؟ (أى : هنا الصغير)»، فَحَبَسَتْهُ شيئاً، فظننتُ أنها تُلبسه سِخاباً ؟ أو تُغسِّلُه، فجاء يشْتَدُّ، حتى عانقه؛ وقبَّله، وقال : «**اللهم أَحْبِبْهُ، وأَحِبَّ مَنْ يحبُّهُ**» متفق عليه .

وعن البراء ﷺ قال : رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه يقول : «اللهم إنى أحبه فأحبه» متفق عليه .

وهذا الطفل أبو سعيد الخدرى ـ من صغار الصحابة ـ يعرفنا حضوره لمجلس رسول الله ﷺ وهو يعلم الكبار والصغار صيغة الصلاة على النبى ﷺ وعلى آل بيته الكرام، يكرِّر ذلك كل مصلٍّ فى صلاته :

روى البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قلنا يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نُصلى عليك؟ قال :«قولوا : اللهم صل على محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ، كما صليتَ على إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم» .

وهكذا ينشأ الطفل محباً لرسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار الطيبين .

ويخبرنا طفل من أطفال الصحابة عن سماعه من فم رسول الله ﷺ وهو يحض على حب آل بيته الأطهار : فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ياأيها الناس، إنى تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا بعدى، أحدُهما أكبرُ من الآخر :

ـ كتابُ الله ممدودٌ بين السماء والأرض .

ـ وعِترتى أهلُ بيتى .

ألا إنهما لَن يفْتَرقَا حتى يرِدَا على الحَوْضَ» .

قال البغوى فى شرح السنة (7/ 206) : حسن غريب، وقال محققه : أخرجه الترمذى، وأحمد (3/ 14 ـ 17) .

وهذا طفل ثانٍ من أطفال الصحابة الذين تَرَبَّوْا على يد رسول الله ﷺ، وهو زيد ابن الأرقم [1] يحدثنا عن سماعه لخطبة الرسول ﷺ، وهو يحثّهم على التمسك بكتاب الله، وبأهل بيته الطيبين الأطهار .

أسند البغوى فى «شرح السنة» عن زيد بن أرقم يقول : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً [2]، فحمد اللهَ، وأثنى عليه، ثم قال : «أما بعدُ : أيها الناس، أنا بَشَرٌ ـ يوشِكُ أن يأتينى رسولُ ربى فأُجيبه، وإنى تارك فيكم الثقلين :

ـ أولهُما : كتاب الله، فيه الهُدى والنورُ، فتمسكوا بكتاب الله، وخُذوا به» فحثَّ عليه، ورغَّبَ فيه، ثم قال :

ـ وأهلُ بيتى أُذكِّرُكُم اللهَ فى أهلِ بيتى» [3] .

قال البغوى : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم، وقال محقق الكتاب : ورواه أحمد، والدارمى، والحاكم، وصححه وأقره الذهبى .

قال البغوى : قيل سمّاهما ثقلين؛ لأن الأخذ بهما، والعمل بهما ثقيل . ثم قال : قال زيد بن أرقم : أهلُ بيته من حُرم الصدقة بعده : آلُ على، وآل عقيلٍ، وآل

---

١ () قال ابن حجر فى (الإصابة) : زيد بن الأرقم استصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل : المريسيع، وغزا مع النبى ﷺ سبعة عشرة غزوة، ثبت ذلك فى الصحيح، ولها حديث كثير، وروى أيضا عن على، روى عن أنس مكاتبه، وأبو الطفيل، وأبو عثمان النهدى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وعبد خير، وطاوس، وله قصة فى نزول سورة المنافقين فى الصحيح ...=

وقال زيد بن أرقم : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة، فخرج بى ومعه مردفى ـ يعنى إلى مؤتة ـ ... فذكر الحديث .

وهو الذى سمع عبدالله بن أبى يقول : (ليخرجن الأعز منها الأذل) فأخبر رسول الله ﷺ فسأل عبد الله فأنكر، فأنزل الله تصديق زيد ، ثبت ذلك فى الصحيحين، وفيه قال ﷺ : «إن الله قد صدقك يا زيد» .

٢ () وفى رواية حدد المكان فقال : بماءٍ يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فَحَمد الله .

٣ () فى صحيح مسلم : قالها مرتين، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة .

جعفر، وآل عباسٍ» رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو بكر ﷺ يحث الأمة على الاهتمام والرعاية لآل بيت رسول الله ﷺ : «ارْقُبُوا محمداً ﷺ فى أهل بيته» . رواه البغوى فى شرح السنة (7 / 204) وقال محققه: أخرجه البخارى وقال النووى فى رياض الصالحين : معنى (راقبوا) : راعوه؛ واحترموه؛ وأكرموه، والله أعلم .

ويدخل فى أهل بيته زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين :

فعن أم سلمة قالت : فى بيتى أُنزلت :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] . قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة، وعلى، والحسن، والحسين، فقال : «هؤلاء أهل بيتى» قالت : فقلت : يا رسول الله، أَمَا أنا من أهل البيت ؟ قال : «بلى إن شاء الله» . قال البغوى : هذا حديث صحيح الإسناد . فزوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين ومن أهل بيته .

روى الإمام أحمد ـ بسند حسن ـ عن شَهْرِ بن حَوْشَب قال : سمعتُ أم سلمة زوج النبى ﷺ حين جاء نَعى الحُسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ لعنت أهلَ العراقِ، فقال : قتلوه، قتلهم الله، غَرُّوه وذَلُّوه، قتلهم الله، إنى رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غَدِيةً ببُرْمَة[1] قد صنعت له فيها عصيدةً، تحمِلُه فى طَبَقٍ لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها : أين ابن عَمِّكِ؟ قال : هو فى البيت، قال : «فاذهبى : فادْعيه، وائتنى بابْنَيه»، قالت : فجاءت تقود ابنَيها كلٌّ واحد منهما بيد، وعلىٌّ يمشى فى إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما فى حِجره، وجلس علىٌّ عن يمينه، وجلست فاطمةُ عن يساره، قالت أم سلمة : فاجتذب من تحتى كِساءً خيبرياً، كان بساطاً لنا على المنامة فى المدينة، فلفَّه النبى ﷺ عليهم جميعاً، فأخذ بشماله طَرَفَىْ الكِساء، وألْوَى بيده اليمنى إلى ربّه عز وجل، قال : «اللهم أهلى أذهب عنهم

١() غدية من الغداة، والبُرْمة : إناء من الفخار، والعصيدة : طعام من دقيق ودسم .

الرِّجس، وطَهِّرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتى أذهبْ عنهم الرجِّس وطهِّرهم تطهيراً، قلت : يا رسول الله ! ألستُ من أهلِك قال : بلى، فادْخُلى فى الكِساء، قالت : فدخلت فى الكساء بعدما قضى دُعاءه لابن عمه على، وابنيه، وابنته فاطمة ـ رضى الله عنهم .

وروى أبو داود عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «من سَرَّهُ أن يكْتال بالمكيال الأوفى إذا صلَّى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صلِّ على محمدٍ، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذرِّيته، وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد» . وأما ترسيخ حب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فهم عمدة الإسلام، ومادته الأولية الأولى، فنزلت فيهم آيات تتلى إلى يوم القيامة تمدحهم، وتبين رضا الله عليهم الذى لا يتبدل ولا يتغير، وفضلهم على المسلمين بكل مذاهبهم مستمر إلى يوم القيامة : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18] ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة : 119] .

ويزيدنا الصحابى الصغير أبو سعيد الخدرى تأكيداً، وتحذيراً، فيروى لنا حديثاً فى ذلك :

فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : «لا تَسُبُّوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده، لوأن أحَدَكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرَكَ مُدَّ أحدِهم، ولا نصيفه» . متفق عليه .

قال البغوى : «والنصيف بمعنى النصف، وكذلك يقال للعشر ـ : عشير، وللخمس : خميس، ومعنى الحديث : إن جُهد المُقِّل منهم واليسير من النفقة، مع ما كانوا فيه من شدة العيش والضرِّ ـ أفضل عند الله من الكثير الذى ينفقه مَنْ بعدهم» . انظر : شرح السنة (7 / 172) .

ويحدثنا أيضاً عن النبى ﷺ قال : «يأتى على الناس زمانٌ، فيغْزُو فئامٌ من الناس،

فيقولون : هل فيكم مَنْ صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم، فَيفتحُ لهم . ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقولون : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم : فيفتحُ لهم . ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال : هل فيكم من صاحبٍ صاحبَ أصحاب رسول اللهﷺ؛ فيقولون : نعم، فيفتح لهم» . رواه البغوى وقال : هذا حديث متفق على صحته . والفِئام : الجماعات .

وروى الصحابى الصغير أيضاً أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل أصحابى فى أمتى كالمِلْح فى الطعام، لا يصلُحُ الطعامُ إلا بالمِلْحِ» . رواه البغوى فى شرح السنة (7/ 174) .

ثانياً : كيف ترسخ محبة النبى ﷺ فى الطفل؟

إذا تأملنا فى حياة أولاد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكيف اكتسبوا محبة النبى ﷺ وكيف أصبح رسولهم أول شىء فى حياتهم، وأغلى من كل شىء فى الوجود، نلاحظ أنهم اتصفوا بما يلى :

1ـ السرعة فى الاستجابة لنداء الرسول ﷺ وتنفيذ أوامره :

إن ازدياد سرعة الاستجابة يزيد من المحبة، وهى برهان هذا الحب، فهذا على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ يسارع فى تلبية دعوة النبى ﷺ إلى الإسلام، دون استشارة أحد من الناس؛ لأن الأمر أمر عقيدة ومبدأ، ولكل وجهة هو موليها، ولكل امرئ عقيدته التى يختارها، وكذلك يعايش ﷺ وهو فى الثامنة من عمره ـ الدعوة الإسلامية الأولى فى مرحلتيها : السرية والعلنية، دون خوف، أو وجل، ويصلى مع النبى ﷺ وزوجته خديجة فى شعاب مكة سرًا، فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلى لا يخاف، ولا يتلجلج .

ثم هذا أنس ﷺ وهو الطفل الصغير الذى قام على خدمة النبى ﷺ عشر سنين يتخلى عن أحب شىء لدى الأطفال، ويستجيب للنداء، ويسارع لتنفيذ الأمر النبوى، فيترك اللعب، وينصاع للأمر، فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم عن ثابت عن أنس ﷺ قال : أتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا، فبعثنى فى حاجته ... الحديث .

بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر، وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى فى الحب الصادق، وذلك يترقب حاجيات حبيبهم ﷺ، ليسارعوا لوضعها أمامة، دون أن يتكلم، أو يسمع أمرًا، وهذا من قيم الحب الخالدة .

أخرج البخارى عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ دخل الخلاء، قال : فوضعتُ له وَضُوءًا، فقال : «من وضع هذا»؟ فأُخبر، فقال ﷺ : «اللهم فقهه فى الدين» .

وروى الشيخان والبيهقى عن عطاء بن أبى ميمون قال : سمعت أنساً يقول : كان رسول الله ﷺ يأتى الخلاء، فأتبعه أنا وغلام من الأنصار بإداوة من ماء، فيستنجى بها .

ومن أنواع السرعة فى الاستجابة : مبايعة أطفال الصحابة للرسول ﷺ :

أخرج مسلم عن عروة بن الزبير، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، أنهما قالا : خرجت أسماء بنت أبى بكر، حين هاجرت؛ وهى حُبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمتْ قُباء، فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نُفست إلى رسول الله ﷺ ليحنّكه، فأخذه رسول الله منها، فوضعه فى حجره، ثم دعا بتمرة، قال : قالت عائشة : فجلسنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها . فمضغها، ثم بصقها فى فمه، فإن أول شىء لدخل بطنه لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء : ثم مسحه، وصلى عليه؛ وسماه : عبد الله، ثم جاء ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره الزبير بذلك،

فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه .

هكذا نشأ أطفال الصحابة على محبة رسولهم ﷺ ، يدفعهم إلى ذلك الآباء والأمهات،ومن شبّ على شيء شاب عليه . قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث : «هذه بيعة تبريك، وتشريف، لا بيعة تكليف، فإنه دون سن التكليف» [1] .

وروى أن الرسول ﷺ لم يبايع صبياً إلا الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهم [2] .

2ـ قتل الأطفال لمن يؤذى النبى ﷺ :

يحدثنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ فيما يرويه البخارى فى صحيحه ـ وهو فى قلب معركة بدر فيقول : وقف غلام على يمينى يسألنى : يا عمّ، دلّنى على أبى جهل، فيقول له : وما لَك يا بُنىّ من أبى جهل؟ فيقول له : والله، إن رأيته لن أفلته، لقد كان يؤذى رسول الله ﷺ، ثم غلام على يسارى، فسألنى مثل الأول، ثم تحتدم المعركة، ويشتد بأسها، فيلتفت عبد الرحمن بن عوف إلى الغلامين ويقول لهما : ذاك الذى تبغيان، ذلك أبو جهل، فينطلقان مسرعان بسيوفهما الصغيرة،كل منهما يريد أن ينال شرف السبق فى طعن عدو الله ورسوله، فيضربانه ضربة قوية، فيسقط أبو جهل على الأرض، فيتسابقان إلى زف البشارة إلى رسول الله! فيقول لهما ﷺ : «أريانى سيوفكما»، فيرى عليهما آثار الدماء، فيقول لهما : «كلاكما قتله» .

وروى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن أعمى كانت له أُمُّ ولدٍ، تَشْتُمُ النبى ﷺ، وتَقَعُ فيه [3]، فينهاها فلا تنتهى، ويزجُرُها فلا تنْزَجرُ، قال

١() شرح صحيح مسلم، باب : استحباب تحنيك المولود عند ولادته .
٢() أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص 81) .
٣()وقَعَ فيه : أى عابه وذمَّه .

: فلما كانت ذات ليلةٍ جعلت تَقَعُ فى النبى ﷺ، وتشتُمُهُ، فَأَخَـذَ المِغْـولَ[1] فوضَـعَه فى بطنها، واتكأ عليها، فقَتَلها، فوقَعَ بين رجْلَيهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ ما هنـاك بالـدَّم، فلـما أصبحَ، ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فجَمَعَ الناسَ، فقـال : «أَنْشُـدُ الله رَجُـلاً فَعَـلَ مـا فَعَلَ، لى عليه حقٌ إلا قام» فقام الأعمى يتخطّى الناسَ، وهو يتَزَلْزَلُ، حتى قَعَـدَ بين يدى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أنا صاحِبُها، كانت تَشْتُمكَ، وتَقَعُ فيك، فأنهاها فلا تنتهى، وأزجُرُها فلا تنزجِر، ولى منها ابنان . مثل اللُّؤلُؤتَين، وكانتْ بى رفيقـةً، فلما كانت البارحة جعلتْ تشتُمُكَ، وتَقَعُ فيكَ، فأَخَذْتُ المِغْوَل، فوضعتُهُ فى بَطنِهـا، واتكأتُ عليهَا، حتى قَتَلْتُها، فقال النبىُّ ﷺ : «ألا اشـهَدُوا أنَّ دَمَهـا هَـدَرٌ»[2] . رواه النسائى .

ومن هذا المنطلق انطلق أطفال السلف الصـالح فى مقاتلـة مـن يـؤذى رسـول اللهﷺ سواء بالاشارة، أو العبارة، أو النيل من رسول الله ﷺ .

فقد روى شهاب الدين الأبشيهى فى كتابه «المستطرف فى كـل فـن مسـتظرف» (2/ 34) قصة لطيفة فى معناها ومبناها، وهى : أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة، وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة عـلى صـدره، فأخـذها، فجعلوا يطلبونها منه، فأبى، فقال غلامهم : سألتك بحق محمدﷺ إلا رَدَدْتها علينـا، فأبى ـ لعنه الله ـ وسبَّ الرسول ﷺ فأقبلوا عليه بصواليجهم، فما زالوا يخبطونه حتى مات ـ لعنه الله ـ فرفع ذلك إلى عمـر بـن الخطـاب ﷺ فـوالله، مـا فـرح بفـتح، ولا غنيمة، كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال : الآن عزّ الإسـلام، إن أطفـالاً صغاراً شُتم نبيهم، فَغَضِبَ بوا لـه، وانتصرـوا، فأهـدرَ دمَ الأسـقف، والله سـبحانه وتعالى أعلم[3].

وإذا لم يستطع الطفل المسلم أن ينتقم مـن الرجـال الـذين يسـيئون إلى رسـول

١() المِغول : حديدة دقيقة لها حَدٌّ ماضٍ .
٢() هَدرٌ : مستباح لا ضمان فيه .
٣() وراجع حاشية ابن عابدين (4 / 213) (ط 2) مطلب فى حكم سبّ الذمى للنبى ﷺ .

اللهﷺ فإنه ينقل الخبر الذى سمعه من كلام الفساق والمنافقين إلى رسول الله ﷺ وإلى المؤمنين من بعده .

فأوردت كتب التفسير سبب نزول الآية :﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون : 8] .فقالت :يقول ابن سعد وابن إسحاق : فبينا [1] رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من غفار، يقال له : جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا،فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أُبى بن سلول [2]، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم، غلامٌ حَدَثٌ، فقال : أَوَقَدْ فعلوها؟ قد ثاورونا، يعنى: مهاجرى المسلمون من مكة، وكاثرونا فى بلادنا، والله !ما أعدنا وجلابيب قريش هذه، إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك، أما والله! لئن رجعنا إلى المدينة؛ لَيخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلّ، ثم أقبل على من حوله من قوله من المدينة، وقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم؛ لتحولوا إلى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، وأخبره الخبر ... الحديث» .

3 ـ حب أطفال الصحابة لما يحب النبى ﷺ وكراهيتهم للجاهلية :

أخرج الخمسة [3] ، وهذا لفظ البخارى : عن أنس بن مالك ﷺ قال : دخلت مع النبى ﷺ على غلام خياط، فقدّم إليه قصعة فيها ثريد، وعليه دُبَّاء، قال : وأقبل على عمله ـ يعنى الغلام ـ قال : فجعل النبى ﷺ يتتبع الدُبَّاء ـ القرع ـ قال أنس :

١() بعد الانتهاء من غزوة بنى المصطلق والتهيؤ للعودة للمدينة المنورة .

٢() رأس وزعيم المنافقين فى عهد الرسول ﷺ، ومع كل ما فعله من إفك، وفتنة، وتخلف عن الجهاد، لم يأمر الرسول ﷺ بقتله، ألا ليت الشباب المسلم المتحمس يدرس ذلك، ويعتبر به .

٣() البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود .

فجعلت أتتبعه، وأضعه بين يديه، قال : وما زلْتُ بعد أُحبُّ الدبَّاء .

وروى الإمام أحمد عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمةٍ ردّدها ثلاثاً . وإذا أتى قوماً يسلم عليهم سلم ثلاثاً . قال ابن كثير فى الشمائل : ورواه البخارى .

وينقل الصحابى إلى أبنائه فيحفظون سنة رسول الله ﷺ عمليا بتطبيق آبائهم للسنة :

روى الإمام أحمد عن ثمامة بن أنس يذكر أن أنسًا كان إذا تكلم تكلم ثلاثًا .

ويذكر أن النبى إذا تكلم تكلم ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثًا .

وروى الترمذى عن ثمامة بن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم يعيد الكلمة ثلاثاً لِتُعقل عنه . قال الترمذى : حسن صحيح غريب .

وأما عن كراهية أطفال الصحابة لأمور الجاهلية، وعاداتها ، وتقاليدها، وأمورها، وانتظارهم الحكم القرآنى، أو النبوى :

فعن عاصم قال : قلت لأنس بن مالك ﷺ : أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة ؟! قال : نعم؛ لأنها كانت من شعائر الجاهلية، حتى أنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة : 158] . متفق عليه .

ومن هنا فإن الآباء، والأمهات، والمربين مدعوون لتعريف الأطفال أمور الجاهلية الحديثة المخالفة لما عليه شريعة الإسلام، وذلك حتى لا يقعوا فى شباكها؛ التى بدأت تُهدد الأخضر واليابس، من انتشار المخدرات، وغزو القنوات الفضائية للبيوت، وما فيها من رذائل فاضحة، بحيث أصبحت حضارة اليوم حضارة الزنا والخنا؛ وحضارة تحطيم الناس والشعوب؛ بصيدهم فى النهار بالمخدرات، وفى

الليل بالقنوات الفضائية عبر الرائى (التلفاز) .

وبدأت صيحات الآباء والأمهات الغيورين على تربية أطفالهم يحسون بالخطر المدلهم حولهم، وبدؤوا يبحثون عن المخرج، فها هو المخرج بين أيديهم : «منهج التربية النبوية للطفل» يبصرهم، ويرشدهم لكيفية التعامل مع أطفالهم، ويدعوهم إلى اليقظة الدائمة، والانتباه المستمر، والتربية الفعالة .

ولن ينفع الآباء كثرة أموالهم إذا اكتشفوا انحراف ولدهم، فسوف يأكل ذلك الانحراف جميع ثروات الآباء، أو جُلَّها، وكان بإمكانهم تجنب ذلك بالانتباه إلى تربية أطفالهم، ورعايتهم، واحتضانهم، وهيا نقرأ دعوة الله إلينا عبر رسله، وأنبيائه، وأصفيائه :

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود] .

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [غافر] .

4ـ حفظ أطفال الصحابة والسلف الصالح للأحاديث النبوية :

أخرج البخارى عن محمود بن الربيع ﷺ قال : عَقَلْتُ ـ أى : حفظت ـ من النبى ﷺ مَجَّةً مجَّها فى وجهى، وأنا ابن خمس سنين؛ من دَلْو .

وأخرج الترمذى عن أبى الحوراء السعدى ربيعة بن شيبان قال : قلت للحسن

ابن على ﷺ : ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال : حفظتُ منه : «دَعْ ما يرِيبُكَ إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» . ورواه النسائى وأحمد وغيره، وإسناده صحيح [1] .

وعن محمد بن أبى بكر الثقفى قال : سألتُ أنسًا، ونحن غاديان من مِنى إلى عرفات عن التلبية، كيف كنتم تصنعون مع النبى ﷺ ؟ قال : كان يلبى الملبِّى لا ينْكِرُ عليه، ويكبَّرُ المكبرُ فلا ينكر عليه . متفق عليه .

وأخرج البخارى ومسلم عن سمرة بن جندب ﷺ قال : لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعنى من القول إلا ها هنا رجالاً، هم أسنّ منى .

وعن ابن عباس ـ ﷺ ـ قال : بِتُّ عند خالتى ميمونة ـ ﷺ ـ فأتاه المؤذن، فخرج أى : النبى ﷺ إلى الصلاة وهو يقول :

«اللهم اجْعل فى قلبى نورًا، واجْعل فى لسانى نورًا، واجعل فى سمعى نورًا، واجعل فى بصرى نوراً، واجعل خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، واجعل من فوقى نوراً،ومن تحتى نوراً، اللهم أعظم لى نوراً» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (1/ 229) بسندين أحدهما صحيح .

وعن أبى جُحيفة ﷺ وكان من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفى النبى ﷺ ـ قال : أتيت النبى ﷺ بمكة، وهو بالأبطح، فى قُبّة له حمراءَ من أدَم، قال : فخرج بلال بوضوئه، فبين نائل وناضح، قال : فخرج رسول الله ﷺ فى حلة حمراء، كأنى أنظر إلى بياض ساقيه، قال : فتوضأ، وأذّن بلال، قال : فجعلتُ أتتبعُ ها هنا، يقول : يميناً

(١) انظر : جامع الأصول (6/ 443) تحقيق : الأرناؤوط . ورواه الحاكم فى مستدركه (2/ 13- 4/ 99) بلفظ : « فإن الشر ريبة، والخير طمأنينة» وقال الذهبى : صحيح، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (3/ 103) .

وشمالاً، يقول : حى على الصلاة، حى على الفلاح، ثم رُكِزَتْ لـه عَنَزَةٌ [1]؛ فقام، فصلى العصر رَكعتين [2]، ثم يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع، ثم لم يزل يصلى ركعتين حتى رجع إلى المدينة . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 188) بإسناد صحيح، ورواه مسلم، وصححه ابن حبان، ورواه أحمد والبخارى .

وفى رواية : «أن أبا جُحيفة حدث أنه رأى النبى ﷺ توضأ بالهاجرة، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يدية عَنَزَةٌ» .

وينقل الصحابى الصغير إلى التابعين ما رآه من فعل رسول الله ﷺ عمليا :

أخرج مسلم عن همام قال : حدثنا أنس بن سيرين قال : تلقينا أنسَ بن مالك حين قدم الشام، فتلقيناهُ بعين التمر، فرأيته يصلى على حمارٍ، ووجهه ذاك الجانب، وأومأ همامٌ عن يسار القِبْلة فقلتُ له : رأيتُك تُصلى لغير القِبْلَة! قال : لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يفعلُهُ لم أَفْعلْهُ .

فليكن شعار المحبين لرسول الله ﷺ : لو لم أسمع أن النبى ﷺ فعلَهُ لم أفعلْه .

وأخرج مسلم عن السُّدى قال : سألت أنساً : كيف أنصرف إذا صليتُ عن يمينى أو عن يسارى؟ قال : أما أنا فأكثر ما رأيتُ رسول الله ﷺ ينصرف عن يمينه .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن شقيق العُقَيلى قال : قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما (وكان يخطب) الصلاةَ؟! . فسكت، ثم قال : الصلاة؟! فسكت ثم قال :

(١) العنزة : أى : شىء يضعه المصلى أمامه لكيلا يمر أحد من مكان سجوده، وإنما يمر من خلف العنزة.
(٢) أى : يقصر الصلاة من أربع ركعات إلى ركعتين، أى : اعتبر النبى ﷺ نفسه مسافراً، حيث تحول موطنه الأصلى من مكة إلى المدينة .

الصلاة؟! فسكت ثم قال : لا أُمَّ لكَ أتُعلِّمنا الصلاةَ، وكنا نجمع [1] بين الصلاة على عهد رسول الله ﷺ؟!

وهكذا يخبر العلماء الناس سنة رسول الله ﷺ، وأحكامه، وسيرته . وإن الصحابة الكرام يبلغون أبناءهم ما رَأَوْه من رسول الله ﷺ، فيرسخون محبته فى قلوبهم :

أخرج مسلم عن ابن شهاب عن عبد الله بن ربيعة أخبره أن أباه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى السُّبْحَةَ بالليل فى السفر على ظهر راحلته حيث توجهت .

وهكذا نرى أن جهود الآباء تتضافر مع جهود العلماء فى تربية الأطفال، فكل مسلم مسؤول عن تربية الأطفال على حسب نسبة المسؤولية المناطة به .

والآن مع قصة عجيبة، وذاكرة عظيمة، حباها الله للغلام الصاعد، والعلامة القائد، والمجاهد الكبير، أحمد بن تيمية [2] ـ رحمه الله ـ فيقول الحافظ محمد بن أحمد عبد الهادى فى «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» :

«انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب [3] قدم إلى دمشق، وقال : سمعت فى البلاد بصبى يقال له : أحمد بن تيمية، وإنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلّى أراه، فقال له خياط : هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاءنا، فاقعد عندنا الساعة يجىء، يعبْر علينا ذاهباً إلى الكتّاب، فجلس الشيخ الحلبى قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط : ها ذاك الصبى، الذى معه اللوح الكبير؛ هو أحمد بن تيمية . فناداه الشيخ، فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه، ثم قال له : امسح ياولدى هذا، حتى أملى

(١) فسر الحنفية هذا الحديث وأحاديث جمع الصلاة بالجمع الصورى، وذلك بتأخير وقت صلاة الظهر إلى آخر وقتها ثم الانتظار، فيدخل وقت العصر فتصلى فى وقتها، وفسر الجمهور بالجمع الحقيقى، فمذهب الحنفية أحوط، ومذهب الجمهور على الجواز . وتنظر المسألة فى كتب فقه الأدلة .

(٢) عن مقدمة تحقيق كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى .

(٣) وهى مدينة كاتب هذه السطور، حفظها الله وسائر بلاد المسلمين .

عليك شيئاً تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر ـ حديثاً، وقال له : اقرأ على هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال : اسمعه على، فقرأه عليه عرضاً؛ كأحسن ما أنت سامع، فقال له : يا ولدى، امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال : اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إياه كالأول، فقام الشيخ، وهو يقول : إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله» .

وكان الأعمش ـ رحمه الله ـ يقول : عليكم بملازمة السنة، وعلموها للأطفال؛ فإنهم يحفظون على الناس دينهم إذا جاء وقْتَهم [1] .

ومما يلفت الانتباه : حرص الصحابة والتابعين وتابع التابعين بتحفيظ الأطفال أحاديث رسول الله ﷺ سنداً ومتناً، ما نبينه فى الإحصائية التالية لصحيح البخارى[2]:

ـ ما رواه الأبناء عن الآباء والأمهات (1470) ألف وأربعمائة وسبعون حديثاً .

ـ وما رواه الابن عن أبيه عن جده (134) مائة وأربعة وثلاثون حديثًا .

ـ وما رواه الابن عن جده (209) مائتان وتسعة أحاديث .

ـ وما رواه المحدث عن أخيه وأخته (70) سبعون حديثًا .

ـ وما رواه عن عمه وعمته (198) مائة وثمان وتسعون حديثًا .

ـ وما رواه عن خاله وخالته (803) ثمانمائة وثلاثة أحاديث .

فيكون مجموع الأحاديث التى أخذها المحدث منذ صغره إلى كبره عن عائلته هو (2884) ألفين وثمانمائة وأربعة وثمانين حديثاً، أى : ما يعادل نصف أحاديث صحيح البخارى بحذف المكرر .

وهذا يدل دلالة أكيدة على اعتناء الرعيل الأول فى القرون الخيرية على توريث

(١) انظر : المنن الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعرانى ـ رحمه الله .
(٢) برنامج صخر لصحيح البخارى، الإصدار الأول .

سنة رسول الله ﷺ للأطفال، بحيث تتكاتف الأسرة بأركانها الأساسيين الأب والجد والعم والعمة والخال والخالة فى تربية الطفل تربية نبوية، وحرص الجميع على رعاية الطفل . وفقنى الله وإياك للتأسى بمثل أولئك الركب الصالح . فالأقربون أولى بالمعروف .

كما اعتنى علماء الحديث بفن من علوم الحديث سموه « رواية الأكابر عن الأصاغر، والآباء عن الأبناء وعكسه» .

وهذا يدل على التفاعل العلمى القوى بين علماء الحديث مع الأطفال، فهم يلقنونهم الحديث الشريف، ويروونه لهم، ثم يأتى آخرون فيأخذون عنهم ، ولم يكن الصغر، وسن الطفولة عائقاً لتلقى الرواية، وتحملها، ثم أداؤها إلى الآخرين، ما دام الطفل قادراً على الحفظ والرواية .

ذكر العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه « الرسالة المستطرفة لمشهور بيان كتب السنة المشرفة» (ص 122) عن تلك الكتب المؤلفة فى هذا الفن، فقال ـ رحمه الله تعالى :

«ومنها كتب رواية (الأكابر عن الأصاغر) و (الآباء عن الأبناء) وعكسه، وهى أنواع مهمة، ولها فوائد، والأصل (أى : الدليل) فى أولها رواية النبى ﷺ عن تميم الدارى خبر الجساسة، ومن كتبها :

ـ كتاب : (ما رواه الكبار عن الصغار؛ والآباء عن الأبناء) للحافظ أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقى البغدادى الوراق، نزيل مصر، الثقة الحافظ المتوفى سنة أربع وثلاثمائة .

ـ وكتاب (رواية الصحابة عن التابعين) .

ـ وكتاب : (رواية الآباء عن الأبناء) كلاهما للخطيب البغدادى .

ـ وكتاب : (رواية الأبناء عن آبائهم) لأبى نصر ـ عبيد الله بن سعيد السجزى الوائلى، وزاد عليه بعض المتأخرين؛ أشياء مهمة نفيسة، كما قال ابن كثير .

ـ وكتاب : (من روى عن أبيه من الصحابة والتابعين) لأبى حفص بن شاهين .

ـ وجُزْء من روى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ لصلاح الدين أبى سعيد خليل ابن كيكلدى العلائى الحافظ، وهو أجمع مصنف صنف فى هذا، أعنى من روى عن أبيه عن جده، وهو فى مجلد كبير، قسمه أقساماً، وخرّج فى كل ترجمة حديثاً من مرويه، وقد لخصه الحافظ ابن حجر، وزاد عليه تراجم كثيرة . انتهى» .

ومن أنواع الحديث الصحيح كما قال الحاكم : «الخامس أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم، لم تتواتر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم إلا عنهم، كعَمْرو بن شُعيب عن أبيه عن جده، وبَهْز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، وإياس بن معاوية بن مُزَّة عن أبيه عن جده، أجدادهم صحابة وأحفادهم ثقات، فهذه أيضاً محتج بها، مُخَرَّجة فى كتب الأئمة دون «الصحيحين» [1] .

وهكذا خلد أسماء الأجداد مع الآباء مع الأحفاد، وتلك ميزة تعليم الأطفال .

وهذا الفتى التابعى عبد الله بن رباح من الأنصار يحدِّث عن الصحابى الجليل أبى قتادة قصة رحلته مع رسول الله ﷺ، ورعايته له فى المسير، واهتمامه برسول الله ﷺ، وإن كان فى القصة طول إلا أن فيها فوائد تربوية :

أخرج مسلم عن عبد الله بن رباح عن أبى قَتادة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «إنكم تَسيرون عَشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غداً» . فانطلق الناسُ لا يلوى أحد على أحد .

قال أبو قَتادَة : فبينما رسول الله ﷺ يسيرُ حتى ابْهارَّ الليلُ (أى : انتصف الليل)

(١) انظر : تدريب الراوى (ص 76-77) نقلاً عن : قواعد علوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله (ص66) .

وأنا إلى جنبه، قال : فَنَعس رسول الله ﷺ، فمالَ عن راحلته، فأتيتُه فَدَعَمْتُهُ مِنْ غير أن أوقظَهُ حتى اعتدلَ على راحلته، قال : ثم صار تَهَوَّرَ الليلُ مالَ عن راحلته، قال : فَدعمتُهُ من غير أن أُقظَهُ حتى اعتدل على راحلته، قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مالَ ميلة هى أشدُ من المَيلتين الأُولَيين حتى كاد ينجفِلُ، فأتيتُهُ، فدعمتُهُ فرفع رأسه، فقال ﷺ : «مَنْ هذا ؟»، قلت : أبو قتادة، قال : «متى كان هذا مسيرك مِنِّى؟»، قلتُ : مازال هذا مسيرى منذُ الليلةَ . قال ﷺ : «حَفِظكَ الله بما حَفِظْتَ به نَبيه» .

ثم قال ﷺ : «هل تَرانا نَخْفَى على الناس؟»، ثم قال ﷺ : «هل ترى من أحدٍ؟» قلتُ : هذا راكبٌ، ثم قلت : هذا راكبٌ آخَرُ، حتى اجتمعنا، فكُنَّا سبعةَ رَكْب، قال : فمال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضعَ رأسَهُ، ثم قال ﷺ : «احفظوا علينا صلاتنا»، فكان أول من استيقظَ رسول الله ﷺ والشمسُ فى ظهرِه، قال : فقُمنا فزِعين، ثم قالﷺ : «اركبوا» فركبنا؛ فسِرْنا حتى ارتفعت الشمسُ، ثم نزلَ ثم دعا بميضَأَةٍ كانت معى فيها شىءٌ من ماء، قال : فتوضأَ منها وُضُوءاً دُون وُضوءٍ (أى : وضوءًا خفيفًا)، قال : وبقى منها شىء من ماء، ثم قال ﷺ لأبى قتادة : «احفظ علينا مِيضأَتَكَ فسيكون لها نبأ» .

ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ رَكعتين، ثم صلى الغداة، فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال : ورَكِبَ رسول الله ﷺ وركبنا معه، قال : فجعلَ بعضُنا يهمِسُ إلى بعضٍ : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا؟، ثم قال ﷺ : «أما لكم فى أُسوةٌ» ثم قال : «أما إنه ليس فى النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصلِّ الصلاة حتى يجىء وقتُ الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فَلْيصلِّها حين ينتبهُ لها، فإذا كان الغدُ فليصلّها عند وقتها»، ثم قال ﷺ : «ما تَرَوْنَ الناس صنعوا؟»، ثم قال [1]: «أصبح الناسُ فقدوا نبيهم؛ فقال أبو بكر وعمرُ : رسول الله ﷺ بعدَكم لم يكن ليخلِّفكم،

(١) يخبر الرسول ﷺ ماذا قال أبو بكر وعمر وماذا قال الآخرون، وهذا من معجزاته .

وقال الناس : إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمرَ يرْشُدوا» .

قال : فانتهينا إلى حين امتدّ النهار، وحَمِى كلُّ شىء، وهم يقولون : يارسول الله، هلكنا ! عطشنا ! فقال ﷺ : «لا هُلْك عليكم» ثم قال ﷺ : «أَطْلِقوا لى غُمرى [1]»، قال : ودعا بالمِيضَأَة، فجعلَ رسول الله ﷺ يصُبُّ، وأبو قتادة يسقِيهم، فلم يعْدُ أن رأى الناسُ ماءً فى المِيضأَة تكابُّوا عليها، فقال رسول الله ﷺ : « أَحْسنوا المَلْءَ كُلُّكم سيروى»، قال : ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصُبُّ، وأسقيهم، حتى ما بقى غيرى وغيرُ رسول الله ﷺ، قال : ثم صبَّ رسول الله ﷺ فقال لى : «اشْربْ»، فقلت : لا أشربُ حتى تشرب يا رسول الله، قال : «إن ساقى القومِ آخرُهم شُرْبًا»، قال : فشربتُ وشرِبَ رسول الله ﷺ، قال : فأتى الناسُ الماءَ جامّين رِواءً، قال : فقال عبد الله بن رباح : إنى لأُحَدِّثُ هذا الحديثَ فى المسجد الجامع إذ قال عِمْرانُ بنُ حُصين رضي الله عنه : أُنظرْ أيها الفتى كيف تُحدثُ، فإنى أحدُ الركب تلكَ الليلةَ . قال : قلتُ : فأنت أعلم بالحديث!، فقال : ممن أنت؟ قلتُ : من الأنصار، قال : حَدِّثْ، فأنتم أعلم بحديثكم، قال : فحدثتُ القوم، فقال عِمْرانُ : لقد شَهِدْتُ تلك الليلة، وما شعرتُ أن أحداً حفِظَهُ كما حفِظْتُهُ .

هكذا تصدّر المَجلس فتيان التابعين يروون أحاديث رسول الله ﷺ، ومعجزاته، وسيرته الشريفة فى حِلّه وترحاله، وفى حضره وسفره، وفى نهاره وليله، وفى يقظته ونومه، وفى سيره ووقوفه، وفى صلاته وحديثه . إنه الحب الصادق الخالد لخاتم النبيين .

أ ـ مكافآت على حفظ الأطفال للأحاديث النبوية :

ذكر الخطيب البغدادى فى كتابه «شرف أصحاب الحديث» (ص10) :

(١) القدح الصغير .

روى [1] النضر بن الحارث قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : قال لى أبى : يا بنى، اطلب الحديث، فكلما سمعتَ حديثاً، وحفظتَه، فلكَ درهم [2]، فطلبتُ الحديث على هذا .

ب ـ خدمة أطفال السلف الصالح للعلماء؛ لقاء تلقى الحديث الشريف عنهم :

ذكر صاحب «المحدّث الفاصل» : روى سفيان بن عيينة قال : كان أبى صَيرفياً بالكوفة، فركبه الدَّين، فحملنا إلى مكة، ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر، وصرت إلى باب المسجد، إذا شيخ على الحمار، فقال لى : يا غلام، أمسك على هذا الحمار، حتى أدخل المسجد فأركع، فقلت : ما أنا بفاعل أو تُحدثنى، قال : وما تصنع أنتَ بالحديث؟ واستصغر بى، فقلت : حدّثنى، فقال : حدّثنى جابر عن عبد الله، وحدثنا ابن عباس، فحدّثنى بثمانية أحاديث، فأمسكتُ حماره، وجعلتُ أَتَحَفَّظُ [3] ما حدثنى به، فلما صلى وخرج، قال : ما نفعكَ ما حدثتكَ به؛ إذ حبستنى، فقلتُ : حدثتنى بكذا، وحدثتنى بكذا، فرددتُ عليه جميع ما حدثنى به، فقال : باركَ الله فيكَ، تعالَ غداً إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار [4] .

جـ ـ هجرة أطفال السلف الصالح ورحلتهم فى طلب الحديث النبوى :

ذكر الخطيب البغدادى عن طلب والد على بن عاصم قال : «دفع إلى أبى مائة ألف وقال : اذهب فلا أرى لك وجهاً، إلا بمائة ألف حديث» [5] .

وشرح على بن عاصم رحلته فى طلب الحديث فقال [6] :

---

(١) عن : أصول الحديث للدكتور عجاج الخطيب (ص100) .
(٢) كان والدى ـ حفظه الله ـ يعطينى عشرة قروش سورية على حفظ الحديث من الأربعين النووية، متبعاً هذا المنهج، فجزاه الله خير الجزاء .
(٣) أى : أكرر ما حفظته، وهذه هى طريقة تثبيت المحفوظ بالتكرار، ودوام المراجعة .
(٤) عن : أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص16) .
(٥) فى كتابه : (الرحلة فى طلب الحديث) تحقيق : الدكتور نور الدين عتر (ط1) .
(٦) المصدر السابق (ص172) .

خرجتُ من واسط إلى الكوفة، أنا وهشيم، لنلقى منصوراً، فلما خرجتُ من واسط، سرت فراسخ، لقينى إما معاوية وإما غيره، فقلت : أين تريد؟ قال : أسعى فى دَينٍ علىّ، قال : فقلتُ : ارجعْ مع، فإنى عندى أربعة آلاف درهم أعطيك منها، فرجعتُ فأعطيتُه ألفين، ثم خرجت، فدخل هشيم الكوفة بالغداة، ودخلتها بالعشى، فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثًا، ودخلت أنا الحمام، فلما أصبحتُ، مضيتُ؛ فأتيتُ باب المنصور، فإذا جنازة، فقلت : ما هذه؟ قالوا : جنازة منصور، فقعدت أبكى، فقال لى شيخ هناك : يا فتى، فأدلك على من شهد عرس أمّ هذا؟ قلت : نعم، قال : اكتب : حدثنى عكرمة عن ابن عباس، قال : فجعلتُ أكتب عنه شهراً، فقلت له : من أنتَ رحمك الله؟ قال : أنت تكتب عنى منذ شهر ولم تعرفنى؟ أنا حصين بن عبد الرحمن، وما كان بينى وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم، أو تسعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه، ثم يجىء فيحدثنى .

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى تضحية هذا الفتى، الذى بذل نصف ماله، وأضاع من وقته، وهجر الأوطان، فتأخر عن لقاء الشيخ منصور، فهيأ الله تعالى له شيخاً هو شيخ المشايخ، وأستاذهم آنذاك : حصين بن عبد الرحمن، وما ذاك إلا دليل على شدة الإخلاص فى طلب العلم، وصدق المحبة لرسول الله ﷺ .

د ـ كتابة الأحاديث النبوية، والتأكد من صحة الكتابة :

عن هشام بن عروة قال : قال لى أبى : كتبتَ؟ قال : قلت : نعم، قال : عارَضْتَ؟ قال : لا، قال : لم تكتب. رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (9/ 111) .

وهذا المنهج العلمى فى عرض الكتابة على الأصل، والتأكد من سلامة وصحة الكتابة، يؤكد الحرص الكبير على جلالة قدر تراثنا العظيم، ويقظة وانتباه الآباء والعلماء إلى المنهج العلمى القويم، وتعويد الصغير عليه ليشبّ معه بكل ثقة، واعتزاز .

هـ ـ حفظ البنات للأحاديث النبوية :

قال الزبيدى [1] : كانت لمالك بن أنس ابنة تحفظ علمه، يعنى : الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذُ نَقَرَت البابَ، فيفطنُ مالك؛ فيردّ عليه .

و ـ الأطفال يهتمون بروايات الحديث النبوى وفقهه :

أورد الخطيب البغدادى [2] : أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت لابن أختها عروة بن الزبير : يا بُنَى، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقال : أسمعه منك على شىء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافاً ؟ قال : لا، قالت : لا بأس بذلك [3] .

5 ـ دراسة الأطفال للسيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم :

حرص الصحابة والسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ على دراسة سيرة النبى ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعانى القرآن، مع ما فيها من إثارة العاطفة، ومشاهدة الواقع الإسلامى، وتأثير عجيب فى النفس، ولما تحمل فى طياتها من معانى الحب، والجهاد فى إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : كان أبى يعلِّمنا المغازى والسرايا، ويقول : يا بنى، إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها [4] .

وقال زين العابدين بن الحسين بن على ﷺ : كنا نُعلَّم مغازى رسول الله ﷺ ـ كما

(١) عن كتاب : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكى، تحقيق : الدكتور محمود الأحمدى .
(٢) فى كتاب : الكفاية فى علم الرواية (ص205) .
(٣) عن : أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص162/ 1/ 86) .
(٤) عن كتاب : محمد رسول الله للشيخ محمد رضا (ص151) ومقدمة السيرة الحلبية .

نُعلَّم السور من القرآن [1]. وقال السمعانى : يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبى ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقلين، ودفن بالمدينة، وأنه واجب الطاعة والمحبة (فيض القدير للمناوى 1/ 226) .

والآن نسير مع الداعية المتواضع أبى الحسن على الندوى، وهو يقصّ لنا فى كتابه : الطريق إلى المدينة، تحت عنوان : (الكتاب الذى لا أنسى فضله) رحلته مع السيرة، أيام طفولته، وكيف كانت تهتز نفسه البريئة بحوادث السيرة، وكيف أن كتاباً فى السيرة النبوية، صنع هذا العالِم الكبير، والداعية المجاهد :

«أتحدث اليوم عن كتاب كانت مِنَّتُه ـ ولا تزال ـ عظيمة على، وإنى دائم الترحّم على صاحبه العظيم، الذى أتحفنى عن طريق هذا الكتاب، بمنحة هى أغلى شىء عندى، بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان، وهو كتاب (سيرة رحمة العالمين) لمؤلفه القاضى محمد سليمان المنصورفورى ـ رحمة الله عليه ـ ولهذا الكتاب قصة عجيبة .

لقد كان أخى الأكبر ـ رحمه الله ـ وهو الذى تولى تربيتى، وتثقيفى بعد وفاة أبى وقد توفى وأنا فى التاسعة من عمرى، موفقًا كل التوفيق فى اختيار الكتب التى كان يحب أن أطالعها فى صغرى، فقد قدَّم إلى فى أول ما قدَّم كتاب (سيرة خير البشر ـ) لمؤلف هندى، وكان حريصاً على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية؛ على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر فى تكوين السيرة، والعقيدة، والخُلُق، وغرس الإيمان، وقد نشأت لذلك على حب كتب السير، والحرص على اقتنائها ومطالعتها، فوقع بصرى مرة على كتاب (رحمة العالمين) وكنت كثير النظر فى الفهارس، وإعلانات الكتب، وأرسلت طلباً لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتى الصغيرة ـ وأنا فى العاشرة، أو الحادية عشرة من عمرى ـ عن شرائه، ولكن الصغار ـ خصوصاً فى العصر الذى أتحدث عنه ـ لا يخضعون

(١) عن كتاب : محمد رسول الله للشيخ محمد رضا (ص151) ومقدمة السيرة الحلبية .

لقوانين الميزانيات؛ وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف، وجاء ساعى البريد، وهو يحمل هذا الكتاب فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، ولم أملك ما أتسلم به هذا الكتاب، وأدفع ثمنه، واعتذرتْ أمى ـ رحمها الله ـ مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود؛ لأنها لم تكن تملكها فى ذلك الحين، ورأيت فلم أر لى مساعداً وشفيعاً فى هذه المهمة؛ إلا الشفيع الذى لجأ إليه سيدنا عُمير بن أبى وقاص الصغير، فَقَبِلَ رسول الله ﷺ شفاعته، وأجازه للقتال فى بدر، ذلك شفيع الدموع، والبكاء البرىء، الذى لم يزل وجيهًا مسموعًا عند الله، وعند عباده الصالحين، وكذلك كان، فقد رقَّ لذلك قلب أمى الحنون، واجتهدتْ فى دفع ثمن الكتاب، والحصول عليه، وأخذتُ الكتاب .

بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهزّ قلبى، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هى هزة رقيقة، وقلبى يهتز له، ويطرب، كما اهتز تحت البارد الغصن الرطب، وهذا هو الفارق بين الكتب التى ألفت فى حياة الأبطال، والفاتحين الكبار، وبين الكتب التى ألفت فى سيرة الرسول ﷺ فالأولى تُغِيرُ على القلب، وتزعجه، وللثانية هزّة تنبعث من النفس، وتريحها .

وبدأتْ تتجاوبُ نفسى لهذا الكتاب، وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت فى أثناء قراءتى لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذّة تختلف عن جميع اللذات، التى عرفتها فى صغرى ولم أزل مرهف الحس، قوى الشعور، فلا هى لذة الطعام الشهى فى يوم الجوع، ولا هى لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية، والاشتغال المرهق، ولاهى لذة اللباس الجديد فى يوم العيد، ولا هى لذة اللعب فى حين الشوق إليها، ولا هى لذة الانتظار والظفر فى المباراة، ولا هى لذة زيارة صديق قديم، أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذه من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها، ولا أستطيع وصفها، وأعترف أنى لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة، ولا أعبّر عنها بكلمة،

إن غاية ما أستطيع أن أقول : إنها لذه الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح، ولا يشعرون باللذة الروحية؟! بلى والله، إن الأطفال أشفّ روحًا، وأصحّ شعوراً، وإنْ عجزوا عن التعبير .

كنت أقرأ فى هذا الكتاب المعجب المطرب، خبر من كان يسلم من قريش، فتنهال عليه أنواع العذاب، فكان يتحمل كل ذلك فى ثبات وصبر، بل ولذّة وسرور، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء، وكثير ممن يعدون فى الحياة سعداء، وهو أن تضرب على الحق، وتضطهد فى عقيدة، وتهان فى سبيل الدعوة، وأن هذه اللذة، لا تعدلها لذة القوة والظفر، ورأيت أن نفسى تتمنى أن تسعد بهذه اللذة، وبهذه الكرامة ولو مرة فى العمر .

وقرأت قصة الهجرة النبوية، قصة لا أعرف أنى قرأت قصة أكثر تأثيراً؛ وأجمل تصويراً، من هذه القصة، التى يحكيها المؤلف فى صدق وبساطة، يدخل رسول اللهﷺ المدينة، وقد تعلقت به القلوب، وطمحت إليه الأبصار، وتتقدم قبيلة قبيلة، وتقوم فى صدق وإخلاص : يا رسول الله، هلمّ إلينا، إلى العدد، والعدة، والمنّة، فيقول ـ فداه أبى وأمى : «خلوا سبيلها [1] فإنها مأمورة» ثم تبرك على باب مسجده اليوم، وتأبى أن تقوم، ويأبى الله أن يكون هذا الشرف؛ الذى ليس فوقه شرف، إلا لأبى أيوب الأنصارى، فيحمل أبو أيوب رحله، فيضعه فى بيته، وأقرأ سرور أبى أيوب بهذه الكرامة؛ التى ساقها الله إليه، وإخلاصه فى ضيافته، أقرأ كل هذا، وأجد قلبى قد فارقنى، ورافق ناقة رسول الله ﷺ فيدخل فى ركابه المدينة، وأجد منى كأنى أشاهد كل ذلك بعينى .

وأجد ما قرأت أو سمعت من دخول الملوك، والفاتحين، والعظماء، والأغنياء،

(١) أى : سبيل الناقة التى كان يركبها رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة، فبركت الناقة أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، ويدعى خالد بن زيد، وكان له شرف ضيافة رسول الله ﷺ .

قد تضاءل واضْمحلَّ، وأنَّ كل ما عرفته من حب وإخلاص، من رجل لرجل، قد ذاب وغاب، وارتسم هذا المنظر فى نفسى، فى ذاكرتى .

وقرأت قصة أُحُد، قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها، وأغرب منها، وأجمل منها فى الوفاء، والإخلاص، والبطولة، والإيمان، واليقين، والخلق الكريم، وقد هزنى قول أنس بن النضر ﷺ للذين جلسوا، وألقوا بأيديهم، وقالوا : قُتِل رسول الله ﷺ قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، وقول القائل : إنى لأجد ريح الجنة من دون أُحُد، والذى كانت أمنيته الأخيرة أن يصل بين قدمى رسول الله ﷺ وهو فى آخر عهده بالدنيا، فحملوه إليه، وهو يجود بنفسه، ولفظَ نَفَسَه الأخير بين قدمى رسول الله ﷺ، وكيف تَرَّسَ أبو دجانة ﷺ بنفسه دون رسول الله ﷺ يقع النبل فى ظهره، وهو منحنٍ عليه، إلى غير ذلك من أحاديث الحب، والتفانى، أتابع قراءتى لهذا الكتاب، وقد يغلبنى البكاء فأبكى، وقد يملكنى السرور والطرب فأطرب [1] .

6 ـ حرص الأمهات على آثار الرسول ﷺ ليكون بركة على أطفالهم :

روى مسلم عن أنس ﷺ قال : كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها [2] وليست فيه، قال : فجاء ذات يوم، فنام فى فراشها، فأتت فقيل لها : هذا النبى ﷺ نام فى بيتك على فراشك، قال : فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه ﷺ على قطعة أديم على الفراش، ففتحت أم سليم عتيدتها ـ وهو كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيها ما يعزّ عليها من متاعها ـ فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره فى قواريرها، ففزع ـ أى : استيقظ من نومه ﷺ ـ فقال : « ما تصنعين يا أم سليم» ؟ فقالت : يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا، فقال : « أصبت» .

---

(١) صدرت للداعية أبى الحسن الندوى سلسلة (قصص النبيين للأطفال) وكتاب : فى السيرة النبوية، فانظرها فإنها مفيدة .

(٢) وكانت محرماً له ﷺ، وهى خالته من الرضاع .

بهذه الروح الطيبة، وبهذا الحب السامى لرسول الله ﷺ وهذا التعلق الشديد به، وهذا الحرص الصادق تتسارع الأم العاقلة؛ لتفيد صغيرها بآثار الرسول ﷺ وهذا تقرير أيضا منه بقوله : «أصبت»، فيقرّها على عملها .

وعن أم مالك الأنصارية [1] ـ رضى الله عنها ـ كانت تُهدى النبى ﷺ من عكّةٍ لها سمناً، فيأتيها بنوها، فيسألونها الأدُم، وفى رواية : فيسألون سمنًا، وليس عندهم شىء، فتعمد (أى : تقصد) إلى الظرف الذى كانت تُهدى فيه، فتجد فيه سمنًا، فما زال يقيم لها أدمُ بيتها حتى عَصَرَتْه (أى : عصرت الظرف فنفد السمن) فأتت النبىﷺ (أى ذكرت له ذلك) فقال ﷺ : «عصرتيها؟» قالت : نعم، فقال ﷺ : « لو تركتيها ما زال قائماً» (أى : مازال السمن فيها) . رواه مسلم عن جابر ﷺ .

فهذا الحديث يعلم الأمهات والآباء على عدم النظر فى الباقى، وبقاء التوكل على الله تعالى، كما يفيدنا على حرص الأمهات الصحابيات على إيصال بركات الرسول ﷺ لأولادهن .

ومن بركاته ﷺ على الأطفال : ما رواه البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : ضمّنى رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علِّمه الكتاب» .

فحصل لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بتلك الضمة المباركة، والتقاء صدره بصدر الحبيب المصطفى ﷺ، ومقابلة قلبه بقلبه، انتقال الفيوضات النورانية إلى قلب ابن عباس، ثم بدعائه ﷺ له، ودعاؤه ﷺ لا يتخلف، ومستجاب عند الله، حتى غدا ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حَبْر الأمة وترجمان القرآن .

وفى رواية أحمد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : مسح النبى ﷺ رأسى، ودعا لى بالحكمة .

---

(١) أنقل هذه الأحاديث وما بعدها من كتاب (سيدنا رسول الله ﷺ) للشيخ عبد الله سراج ـ حفظه الله ورعاه .(ص372) وما بعدها .

7 ـ ومن بركاته ﷺ الصحية على الأطفال :

ما رواه البخارى عن السائب بن يزيد ﷺ قال : ذهبت بى خالتى إلى رسول اللهﷺ فقالت : يا رسول الله، إن ابن أختى وجع، فمسح رسول الله ﷺ على رأسى ودعا لى بالبركة، وتوضأ، فشربت من وضوئه ﷺ .

وتستمر هذه البركة إلى مرحلة الشيخوخة :

فعن عطاء مولى السائب بن يزيد قال : رأيتُ مولاى السائب بن يزيد لحيته بيضاء، ورأسه أسود! فقلت : يا مولاى، ما لرأسكَ لا يبيضُّ ؟! فقال له : لا يبيض رأسى أبداً [1]، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى (أى : مرَّ) وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلّم وأنا فيهم، فرددتُ عليه السلام، فدعانى، فقال لى : «ما اسمُك؟» فقلت : السائب بن يزيد ابن أخت النَّمر . فوضع يده ﷺ على رأسى، وقال : «بارك الله فيك» قال السائب : فلا يبيضَّ موضع يد رسول الله ﷺ أبداً . رواه الطبرانى فى الثلاثة، وقال الهيثمى فى المجمع : ورجال الصغير والأوسط ثقات .

وروى الطبرانى عن محمد بن حاطب قال : لما قدمتْ بى أمى من أرض الحبشة حيث مات أبى حاطب، فجاءت أمى إلى النبى ﷺ وقد أصاب إحدى يدى حريق من نار، فقالت : يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب ابن أخيك، وقد أصابه هذا الحريق من النار .

قال محمد بن حاطب : فلا أكذب على رسول الله ﷺ فلا أدرى أَنَفَثَ أم مسح على رأسى، ودعا لى بالبركة وفى ذريتى . كما فى مجمع الزوائد .

قال فى الإصابة بعد نقله صدرَ هذا الحديث : ورواه أيضا عبد الرحمن بن عثمان ابن محمد الحاطبى عن أبيه عن جده، أخرجه أحمد وابن أبى خيثمة والبغوى وفيه :

(١) انظر إلى قوة اليقين، والإيمان ببركات الرسول ﷺ، ألا يا ليت قومى يعلمون !

أن أمه قالت : يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب وهو أول من سُمى بك ـ أى : فى الحبشة ـ قالت : فمسح رسول الله ﷺ على رأسك، وتفل فى فيك، ودعا لك بالبركة.

وروى إسحاق بن إبراهيم الرملى فى فوائده عن بشير بن عقربة الجهنى أن أباه أتى به إلى النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ : «مَنْ هذا معك ياعقربَة؟!» فقال : ابنى بحير، فقال ﷺ : «ادنُ» فدنوتُ حتى قعدت على يمينه، فمسح ﷺ على رأسى بيده، فقال : «ما اسمك؟» قلت : بحير يا رسول الله! فقال ﷺ : «لا، ولكن اسمك بشير» وكانت فى لسانى عقدة، فنفث النبى ﷺ فى فانحلتْ العقدة من لسانى، وابيضَّ كل شىء فى رأسى ـ أى : بعد كبر سنه ـ ما خلا ما وضع ﷺ يده عليه، فكان أسود، كما فى «الإصابة» .

8 ـ استمرار بركات الرسول ﷺ على الأطفال حتى بعد وفاته :

فعن حنظلة بن حِذْيم قال : وفدتُ مع جدى حِذْيم إلى رسول الله ﷺ فأدنانى رسول الله ﷺ ومسح رأسى، وقال : «بارك الله فيك» . قال الراوى عن حنظلة : فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهُه، أو الشاةِ الوارمِ ضرعها فيقول : باسم الله، على موضع كفّ رسول الله ﷺ فيمسحه، ثم يمسح الوارم فيذهب الورم» قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى فى الأوسط وأحمد ورجاله ثقات أ .هـ، وقال الزرقانى : ورواه البخارى فى تاريخه وأبو يعلى وغيرهم .

وعن عبد الله بن هلال الأنصارى ﷺ قال : ذهب بى أبى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أُدع الله له، قال عبد الله : فما أنسى وَضْع رسول الله ﷺ يده على رأسى، حتى وجدتُ بَرْدها، فدعا لى، وبارك على .

قال الراوى عنه : فرأيتُ عبد الله بن هلال يصوم النهار؛ ويقوم الليل، وقد كبرت سنُّه . (أى : بقيت فيه قوة الشباب، وعزيمتهم) . رواه الطبرانى، وإسناده حسن .

وفى مسند الإمام أحمد عن أبن مسعود ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله، علمنى من هذا القول، قال : فمسح رسول الله ﷺ رأسى، وقال : «يرحمك الله فإنك غُلَيِّم مُعلَّمٌ» .

وعن عبد الله بن بُسر ﷺ قال : وضع رسول الله ﷺ تسليماً يده على رأسى، وقال : «يعيش هذا الغلام قرناً» . فعاش مائة سنة، وكان فى وجهه ثُؤْلول، فقالﷺ : «لا يموت حتى يذهب الثؤْلول من وجهه» . قال الراوى : فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه . قال الحافظ الهيثمى : رواه الطبرانى، والبزار باختصار الثؤلول، ورجال أحد إسنادى البزار رجال الصحيح، غير الحسن بن أيوب الحضرمى وهو ثقة . أهـ .

وفى حجة الوداع : عندما حلق رسول الله ﷺ شعره الشريف، واحتفظ كل صحابى رضوان الله عليهم بشعرة، أو شعرتين، او أكثر، وتوارثت الأمة شعره الشريف، وإلى عصرنا الخاضر، يخرجها أصحابها فى المناسبات الدينية أو غيرها، وكان من فضل الله تعالى على كاتب هذه السطور أن قبَّلها وهوصغير، تقبيل العاشق المحب، فكان يهتز طرباً كلما قَبَّلها، ويشعر بالفرحة الكبرى، والقشعريرة الشديدة فى جسده . فلعلَّ هذا الكتاب من بركات تلك القُبل ـ ولله الحمد والفضل والمنة .

وفى الصحيحين وغيرهما عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ أتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق : «خُذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل النبى ﷺ يعطيه ـ أى : يعطى شعره ـ الناس .

وذلك للتبرك به ـ كما قال الحافظ الزرقانى ـ واستشفاعًا إلى الله تعالى بما هو منهﷺ، وتقرّباً بذلك إليه . أهـ .

وقال الإمام النووى : وفيه التبرك بشعر النبى ﷺ وجواز اقتنائه .أهـ .

وهكذا سارت الأمة تتوارث شعره الشريف من جيل إلى جيل :

فقدروى البخارى عن محمد بن سيرين قال : قلتُ لعَبيدة السلمانى : عندنا مِنْ شعر النبى ﷺ أصبناه (أى حصل لنا) مِن قِبل أنس ﷺ أو من قِبلَ أهل أنس، فقال عَبيدة : لأَن تكون عندى شعره منه، أحبُّ إلىَّ من الدنيا وما فيها، وفى رواية الإسماعيلى : أحبُّ إلىَّ من كل صفراء وبيضاء . يعنى : الذهب والفضة [1] .

فهل نقتدى بالسلف الصالح هؤلاء، فنجب رسول الله ﷺ وكل شىء يتعلق به، وصدر منه، مثلما يحبون؟! اللهم اجعلنا كذلك .

ومن حب العلماء الصالحين : توريث الحب للرسول ﷺ لتلاميذهم، فينشؤون نشأة صحيحة، ويعرفون مقام الرسول ﷺ السامى الرفيع عند الله، هذا المقام الذى هو فى ازدياد وارتفاع لكثرة المصلين عليه من أمته، ومن هذا المنطلق ذهب الإمام الحاكم النيسابورى إلى المدينة المنورة، وهو ابن ثمان عشرة جلس أمام قبر النبى ﷺ يؤلف كتابا، حيث جمع من كتاب البخارى فى التاريخ أسماء الرواة المجروحين، فبلغت مائه وستة وعشرين رجلاً من أصل أربعين ألفا وفيه قال التاج السبكى : أنه لم يسبق إليه، ومن ألف بعده فى تاريخ أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه [2] .

9 ـ أطفال الصحابة يتَمسَّحُون بقَدَم رسول الله ﷺ حبًا وتبركًا :

فمن ذلك تبرُّك عمرو بن أبى عمرو المزنى بقَدَم النبى ﷺ . قال فى «الإصابة» : أخرج حديثه النسائى والبغوى وابن السكن وابن منده بعلوٍّ من طريق هلال بن عامر عن رافع بن عمرو المزنى، قال :

إنى لفى حجة الوداع خماسِ أو سداسِ، فأخذ أبى بيدى، حتى انتهينا إلى النبى ﷺ بمنى يوم النحر، فرأيته ﷺ يخطب على بغلة شهباء، فقلت لأبى : مَنْ هذا؟

---

(١) انظر : بتوسع كتاب : (سيدنا محمد رسول الله) تأليف الشيخ عبد الله سراج الدين .

(٢) انظر : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتانى ـ رحمه الله (ص96) .

فقال : هذا رسول الله ﷺ قال : فدنوتُ حتى أخذتُ بساقه، ثم مسحتُها حتى أدخلتُ كفى فيما بين أخمص قدمه والنعل، فكأنى أجدُ بَرْدها على كفى .

هكذا يكون شأن المحب للحبيب، وهكذا يكون التفاعل الإيمانى .

10 ـ تبرك الغلمان بسؤر الرسول ﷺ :

روى الشيخان عن سهل بن سعد ﷺ قال : أتى النبى ﷺ بشراب فشرب، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال النبى ﷺ للغلام : «أتأذنُ لى أن أُعطى هؤلاء؟» فقال الغلام : والله، يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبى منك أحداً، فتلّهُ (أى : ألقاه) رسول الله ﷺ فى يده، أى : فشرب الغلام، وهو عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما .

وروى الإمام أحمد وغيره عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ دخل على أُمّ سُليم، وفى البيت قِرْبةٌ معلَّقةٌ، فشرب مِنْ فيها ـ أى : من فم القربة ـ وهو قائم، قال أنس : فقطعتْ أم سُلَيم فمِ القرْبة، فهو عندنا .

هكذا يفتخر الطفل أنس، فيقول : هو عندنا .

11 ـ تبرك أطفال الصحابة بشرب دم حجامة النبى ﷺ :

أخرج الطبرانى والبزار [1] والحاكم والبيهقى وأبو نعيم فى « الحلية» من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير قال : احتجم رسول الله ﷺ فأعطانى الدم بعد فراغه من الحجامة، وقال : «اذهب ياعبد الله فغيّبْه»، وفى رواية : «اذهب بهذا الدم فوارِهِ حيث لا يراه الناس» . قال عبد الله : فذهبتُ به فشربته، ثم أتيته ﷺ فقال : «ما صنعتَ؟ قلتُ : غَيبْتُه، قال : «لعلكَ شربتَه؟» قال : نعم، قال : «ويل لك من الناس، وويلٌ للناس منك» . وفى رواية : فقال رسول الله ﷺ : «فما جملكَ على ذاك؟» فقال : «علمتُ أن دَمَك لا تُصيبه نارُ جهنم، فشربته لذلك،

(١) انظر : مجمع الزوائد (8/ 270) .

فقالﷺ : «ويل لك من الناس، وويل للناس منك» .

وروى الدارقطنى فى « سننه» عن أسماء قالت : احتجم ﷺ، فدفع دمه لابنى عبد الله، فشربه، فأتاه جبريلُ، فأخبرَ النبى ﷺ، فقال ﷺ : «ما صنعتَ؟» قال : كرهتُ أن أصبَّ دمكَ، فقال ﷺ : «لا تمسُّه النار» ومسح على رأسه، وقال : «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» .

قال العلامة القَسْطَلاَّنى وفى كتاب : «الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون» : أن ابن الزبير لما شرب دم حجامه النبى ﷺ تضوَّع ـ أى : فاح ـ فمه مسكاً، وبقيت رائحته موجودة فى فمه، إلى أن قتل ﷺ وقد مرَّ معنا فى تحنيك المولود، وتسميته : أن عبد الله بن الزبير أول مولود ولد فى المدينة المنورة للمهاجرين، وحنكه رسول الله ﷺ بتمرة، وكان أول شىء يدخل إلى جوفه : ريق النبى ﷺ .

12 ـ تبرك أطفال الصحابة بنعلى رسول الله ﷺ :

روى البخارى والترمذى فى «الشمائل» عن عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جَرْداوين ـ أى : صقيلين لا شعر عليهما ـ هما قِبالان ـ تثنية قِبال، وهو زمام النعل ـ قال ابن طهمان : فحدثنى ثابت البنانى (وهو تلميذ أنس المقرب منه) بعدُ عن أنس أنهما كانتا نَعْلى رسول الله ﷺ .

هكذا اعتقاد الصحابة، رضوان الله عليهم، يحتفظون بآثار رسول الله ﷺ لا يفرقون بين بركة رسول الله ﷺ حياً وميتاً، فالبركات مستمرة؛ لأنها هبة من الله تعالى لرسوله ﷺ ولأمته .

13 ـ تبرك التابعين بأيدى أطفال الصحابة؛ لأنها مست يد النبى ﷺ :

روى الإمام أحمد عن ثابت البُنانى أنه قال لأنس بن مالك ﷺ : يا أنس، مَسَسْتَ يدَ رسول الله ﷺ بيدك؟ فقال أنس : نعم، قال ثابت : أرنى أقبَّلها .

هكذا يفعل الحب الحقيقى المتغلغل فى أعماق القلوب والنفوس، وهكذا الهـوى بالمحبوب الحقيقى ﷺ .

14ـ تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم كبيرهم وصغيرهم للرسول الله ﷺ :

ونختم هذه الفقرة لنتعرف على تعظيم الرسول ﷺ فى نفوس أصحابه، ومكانته العالية فى قلوبهم، ومقامه السامى فى أفئدتهم، كيف لا؟ وقد قال الله تعالى له : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ [الشرح] .

جاء فى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ من حديث صلح الحديبية قال :

ثم إن عروة بن مسعود ـ الذى جاء وقتئذ وسيطا عن المشركين فى مكة ـ جعـل يرمُق النبى ﷺ بعينيه، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعـت فى كـف رجل منهم ـ أى من الصحابة ـ فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ـ رسول الله ﷺ ـ بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضأ كـادوا يقتتلـون عـلى وَضـوئه، وإذا تكلـم خفضـوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له ﷺ .

فرجع عروة بن مسعود إلى أصحابه ـ فى مكة ـ فقال : أى قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت ـ أى : ما رأيـت ـ مَلِكاً قطُّ يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً !

والله : إن تنخَّم ـ أى : ما تنخم ـ نخامةً إلا وقعت فى كف رجل مـنهم، فـدلك بها وجهه، وجلده!.

وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلـون عـلى وَضـوئه، وإذا تكلـم خفضوا أصواتهم عنده! وما يحدّون النظر إليه تعظيما لـه، وإنـه قـد عـرض عليكـم خطة رشدٍ فاقبلوها ... الحديث .

وهذا الصحابى الصغير أنس بن مالك يحدثنا عن أبيه من أمه، كيف يفدى بنفسه حتى لا يصل سهم إلى رسول الله ﷺ يوم أحد :

فى «المسند» عن أنس ﷺ أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبى ﷺ يوم أحد، والنبى ﷺ خلفه يتترَّسُ به، وكان راميا، وكان إذا رمى رفع ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، يرفع أبو طلحة صدرهَ ويقول : هكذا بأمى أنت وأبى يا رسول الله! لا يصيبك سهم، نحرى دون نحرك! وكان أبو طلحة يسوّر نفسه ـ أى : يجعل من نفسه سوراً ـ بين رسول الله ﷺ ويقول : إنى جَلْدٌ ـ أى : شديد ـ يا رسول الله! فوجَّهنى فى حوائجك، ومُرْنى بما شئت .

وكذلك يحدثنا الصحابى الصغير أنس بن مالك عن حالة الأنصار بعد فتح مكة، وخوفهم أن يبقى رسول الله ﷺ فى وطنه الأصلى مكة، وخوفهم أن يبقى رسول الله ﷺ فى وطنه الأصلى مكة، وخاصة عندما رأوا رسول الله ﷺ يعطى قريشاً الأموال يؤلف بها قلوبهم :

روى الشيخان عن أنس ﷺ أن ناسًا من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ـ من الغنائم ـ فطفِق رسول الله ﷺ وهو بالجِعْرَانة، يعطى رجالا من قريش المئة من الإبل، فقالوا (أى : الأنصار بعضهم لبعض) : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشًا ويدَعُنا؛ وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! أى : تقطر من دماء كفار قريش بمحاربتنا إياهم حتى يدخلوا فى الإسلام .

فحُدِّثَ رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدمَ ـ أى : من جلد ـ ولم يدْعُ معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال : «ما حديثٌ بلغنى عنكم؟» فقال فقهاؤهم : أمّا ذوو رأينا يا

رسول الله، فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثةٌ أسنانهم [1]، قالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشًا ويدع الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله ﷺ : « إنى أعطى رجالاً حديثى عهد بكفر، أتألَّفهم، أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم ـ أى : منازلكم فى المدينة ـ برسول اللهﷺ؟!، فو الله لَمَا تنقلبون به ـ أى : ترجعون به ـ خير مما ينقلبون به!» قالوا : يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم النبى ﷺ : «فستجدون أثَرةً شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإنى على الحوض» .

وفى رواية مسند أحمد : أن النبى ﷺ قال : «يا معشر الأنصار، ألَمَ آتكم ضُلالاً فهداكم الله؟! وعالةّ فأغناكم الله؟! وأعداءّ فألف الله بين قلوبكم؟!» قالوا : بلى يا رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ : «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟» قالوا : وما نقول يارسول الله؟! وماذا نُجيبك؟ المَنُّ لله ولرسوله قال ﷺ : «والله لو شئتم لقلتم، فصَدَقتم وصَدَّقتُكم :

ـ جئتنا طريداً فآويناك .

ـ وعائلاً فأغنيناك .

ـ وخائفاً فأمنّاك» .

فقالوا : المنّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله ﷺ : « أوَجدتم فى نفوسكم يا معشرـ الأنصار فى لُعاعة (أى الشىء اليسير) من الدينا تألَّفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام .

(١) نلاحظ هنا خطأ الصغار مع رسول الله ﷺ، فحول الرسول الله ﷺ ذلك الخطأ إلى فضل ورحمة، ودعا لهم، ولذريتهم، بل ويجعل نفسه هدية للأنصار لصدق محبتهم له، وقوة بأسهم فى الدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام .

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يـذهب النـاس إلى رحـالهم بالشـاء والـبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم!! فو الذى نفسى بيده؛ لو أن الناس سلكوا شِعبًا، وسلكت الأنصار شعبًا، لسلكتُ شعب الأنصار . ولولا الهجـرة لكنـت امـرأ مـن الأنصار .

اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، قال : فبكى القـوم حتى أخْضلوا لحاهم ـ من الدموع ـ وقالوا : رضينا بـالله ربـاً، ورسـوله قَسْـماً . ثـم انصرف، وتفرَّقوا .

هكذا كان تفاعل صغار الصحابة وكبارهم مع رسـول الله ﷺ، وهكـذا وَرّثـوه أبناءهم وأطفالهم، وهكذا أنشؤوا المدارس على هذا الأساس .

15ـ أطفال الصحابة يحفظون أوصافه الشريفة ﷺ :

عن صالح بن مسعود التابعى، قال : قلت لأبى جحيفـة ﷺ وهـو مـن صـغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفى النبى ﷺ، وهو من عُمْر ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حدثنى عـن رسـول الله ﷺ قـال : كـان رجـلاً أبيـض، قـد شَـمِطَ عارضـاه . رواه البخارى والترمذى وأبو يعلى فى مسنده بسند صحيح (2/ 183) .

وهذا أبو جحيفه ﷺ من أطفال الصحابة يصف النبى ﷺ فيقول : رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء ـ يعنى : عَنْفَقَتَهُ ـ فقيل له : مثلُ من أنت يومئذ؟ قال: أبـرى البنل، وأريشها . رواه أبو يعـلى فى مسـنده (2/ 194) بسـند صـحيح، ورواه أحمـد ومسلم والبخارى . والعنفقة : الشعر الذى بين الشفة السفلى وبين الذقن، وقولـه : أبرى النبل وأريشها؛ أى : أجعل للنبل ريشًا .

وقال أبو جُحيفة ﷺ : «خرج رسول الله ﷺ، فكأنى أنظـر إلى وبيـص سـاقيه» . رواه البخارى .

وقال أنس ﷺ : «انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله ﷺ وهو راكب فى غزوة خيبر، فإنى لأرى بياضَ فخذ رسول الله ﷺ» . رواه ابن أبى خيثمة .

وقال أنس أيضاً : «كان رسول الله ﷺ ضَخْم القدمين» . رواه الشيخان .

وروى القاضى أبو الفضل عياض بسنده المتصل إلى الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ قال [1] : سألت خالى هند بن هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصّافاً، وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به قال :

«كانَ رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً [2]، يتَلأْلأُ وَجْهُهُ [3] تَلأْلُؤ القَمَرِ ليلة البدرِ [4]،

---

(١) فى كتابه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص152) فصل : «قد أتيناك» . شرح الشمنى (ت872) وقال الشهابى فى حاشيته (2/ 164) : رواه الترمذى فى شمائله.وأخرجه ابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواه البغوى فى شرح السنة، وهند بن هالة ابن خديجة بنت خويلد ولدته قبل زواجها من النبى ﷺ، وتربى فى بيت النبوة . انظر شرح السنة (7/ 54) . ولكونه وصافاً لديه دقة فى الوصف ـ سألاه .

(٢) أورد شرح معانى الحديث من شرح الشهاب الخفاجى على الشفا؛ لأن فيه تفصيلا دقيقاً، يقرب من الذهن حقيقة أو صافهﷺ ، فتشرح للطفل فى كل يوم صفة لكى يتعلق قلبه بها، ويتخيلها فى ذاكرته، وتنطبع فى نفسه، وذلك خير من أن تنطبع صور من لا خلاق لهم فى نفس الطفل، وننزّه هذا الكتاب عن ذكرهم .

فما أحلى أن نتعرف إلى أوصاف رسول الله ﷺ وخاصة وقد سمعنا الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ وهو يقول: «وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به، فكان من شدة حبه أن يتعرف لتلك الأوصاف النبوية ليتعلق قلبه، وفكره، وسلوكه بها .

فما أحلى، وما أبهى أن نسير على ذلك كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساءًا، وها هى المعاني لتلك الأوصاف النبوية الشريفة .

قال : كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفخَّاً بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة، والمُفَخَّم بوزن المكرم، والفخم بمعنى العظيم، وأصل الفخامة : العظمة فى الأجسام، ثم شاعت فى المقدار؛ والشرف؛ فإن كان المرادُ الأولُ وهو الظاهر؛ فالمعنى : أن أعضاءه ﷺ تامةُ الخلقة، واسعةٌ سِعةً غير مُفْرِطة كما تقدم فى الباب الثانى أنه كان واسع الصدر، وعينُه نجلاء أى واسعة الشق، ووجهُه الشريف ممتلئ باللحم ، وأن قامته الشريفة غير قصيرة، والمراد بكونه مُفخماً أنه كذلك فى العيون الناظرة إليه، ويحتمل أن يراد بكونه فخماً هذا المعنى، وأن يراد بكونه مُفخماً أن له ﷺ مهابةً فى العيون، والصدور؛ مع الجلال .

(٣) (يتلألأُ وجْهُهُ) أى يضيء ويشرق، وهو مأخوذ من اللؤلؤ؛ لصفائه ولمعانه .

(٤) تلألُؤَ القَمَر ليلَة البدْرِ أى فيه نورٌ، كنور القمر فى ليلة البدر .

أَطْوَلَ منَ المَرْبُوعِ [1]، وأقصَرَ من المُشَذَّبِ [2]، عظيمَ الهامَةِ [3]، رَجِلَ الشَّعَرِ [4]، إن انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ [5]، وإلا فلا يُجاوزُ شَعرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَه [6]، إذا هوَ وَفَّرَهُ [7]، أَزْهَرَ اللونِ [8] وَاسِعَ ٱلجَبِينِ [1]، أزَجَّ الحَوَاجِبِ [2]، سَوَابغَ [3]، مِنْ غَيرِ قَرَنٍ [4]، بينهما [5]،

(١) وأطولُ من المَرْبُوع وهو الذى بين الطولِ والقِصَر، كالرَّبْعَةِ، وقال التلمسانى : المرادُ به هنا القصيرُ الذى تحتَ الرّبعة؛ لئلا يناقضَ ما وردَ مِنْ وَصْفِهِ ﷺ بأنه رَبْعَةٌ، وأصلُ المَرْبوع الحبل المفتولُ على أربع طاقات، فاستعير لما ذكر انتهى . أقولُ : لا حاجةَ لما ذكرَ لصرفه عن ظاهره، لأن المرادَ أنه يزيد على الربعة زيادة يسيرة، لا تُخرجه عن كونهِ رَبعة، فهذا أمر تحقيقى، وربعة أمر تقريبى؛ فلا منافاةَبينهما، ولذا قال :

(٢) (وأقصَرُ من المُشَذَّب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة : وهو المفرط فى الطول، كالبائن، وهو مستعار من النخلة المشذبة، وهى : التى قُطِعَ بعضُ جريدها، والتشذيب : قطع كالتقليم .

(٣) (عظيمُ الهامَةِ) بالهاء وتخفيف الميم : وهى الرأس، وليس المراد أنها مفرطة فى الكِبَر، بل كبيرةٌ كِبَراً نِسْبياً لأن صِغرها وإفراط كِبَرها غيرُ ممدوح؛ لدلالته على قِلةِ العقل، وقيل : الهامةُ وسط الرأس، وقيل : مخه، ولها معان أُخَر، غير مناسبة هنا .

(٤) (رَجِلُ الشَّعر) بكسر الجيم على وزن حَذِر، والشَّعَر معروف، ويجوز فتح عينه وسكونها، كما مر، والمراد : أن فيه تجعّداً قليلاً وهو من صفاته الممدوحة فيه، ويقال لضده : قَطَط، وهو الشديد الجعودة، والسبط : المسترسل .

(1) (**إن انفَرقت عقيقتُه فرق**) انفرق : أى صار شعر رأسه فرقتين، والعقيقة : الشعرُ الذى على رأس المولود، الذى يخرج عليه حين يولد، من عَقَّ إذا قَطَع، لأنه يحلق فى اليوم السابع، فسمى به شعر النبى ﷺ على طريق المجاز المرسل، لاستعمال المقيد فى المطلق، وليس استعارة تحقيقية كما قيل، ومعنى فرق : أبقاه منفرقًا على حاله إذا انفرق بنفسه، يقال : فرقه فانفرق، والفرق والمفرق : البياض الواقع بين شعر الرأس، وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته .

(2) (**وإلا فلا يُجاوزُ شعرهُ شَحْمَة أذنه**) وفي رواية أُذنيه بالتثنية، وهما بمعنى، كما يقال :

نظرتُ بعيني إذا نظر بعينه، وهكذا في كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية، وشحم الأذن ما لان منها، حيث يُعلق القِرْط، وتقدم فى هذا الحديث : ما رأيت من ذى لَمَّة فى حُلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ، وإن اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن، فإذا وفر شعره صار لمة، أى : ما يَلمّ بالمِنكبين، واللمة دون الجمة، والوفرة دون اللمة، والجمة أكثر من الوفرة، وهى ما سقطت على المنكبين، فالوفرة أبلغ منها اللمة، والجمة أبلغ منهما، وفيه كلام تقدم . والفَرق سنة بخلاف السَّدل من قُدّام أو خلف، ومعنى قوله : وإلا وإن لم يفرق، فعلم منه إذا فرق جاوز الشحمة،ووصل المنكب، وأحواله مختلفة في الطول، ولذا قيل له: لمة وجمة .

(3) (**إذا هو وفره**) وفى بعض النسخ: وفر، بدون ضمير، والمعروف رواية الأول كما قال المزى، وفاؤه مخففه ومشددة أى كثره، وقد نقل بعد الحلق غيره كما عرفته، وهذا أولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب.

(4) (**أزهر اللون**) سيأتى معنى الأزهر، وأن معناه: أبيض مشرب بحمرة، وقد ورد أنه ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، وبهذا علم ما روى أنه كان أسمر، ولعله رآه عقيب سفر ونحوه، أو لم يحققه لأنه لمهابته ﷺ لا يحدق النظر فى وجهه، وفى رواية أنه كان أبيض شديد الوضاح، والمراد بالوضوح البياض، وقد يطلق على البرص، ولذا سمى جذيمة الأبرص الوضاح، ويؤيده أنه ورد أنه ﷺ كان

عِرْقٌ يدِرُهُ الغَضَبُ[6]، اَقْنَى العِرْنِينِ[7]، له نور يَعْلُوه[8] يحسْبُهُ مَنْ لم يتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ[9]، كَثَّاللِّحْيَةِ[10] أدعج[1]، سَهْلَ الخَدَّينِ[2]، ضَلِيعَ الفَمِ[3]، أشنب[4]، مفلح

عنقه كور فضة، ويأتى: كان ساقه خمارة، وكشف ظهره، فكأنه سبيكة فضة، وقيل: إن سمرته: حمرته، ولذا قيل فى المجمع بين الروايات: أنه كان يميل إلى السمرة أو البياض لونه، وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة أسفاره.

(5)(**واسع الجبين**) فى القاموس: الجبينان: حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه، أو هو جميع ما بين الصدغين، فتدخل فيه الجبهة إلى قصاص الشعر.

(6)(**أزج الحواجب**) ازجج: أفعل، كأحمر، والزج: تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة فى طرفيه، وأراد بالحواجب الحاجبين، وجمع لأن أقل الجمع اثنان، أو لإطلاقه على أجزائه، وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما، ويطلق على الشعر، سمى به لأنه يحجب الشمس وغيرها عن العين.

(7)(**سوابغ**) بالسين والصاد، جمع سابغ؛ لأنه لما لا يعقل، وقيل: جمع سابغة : واقية، أى طوال كاملة.

(٤)(**من غير قرن**) بفتحتين أى: من غير اقتران واتصال؛ لأنه غير ممدوح عند العرب، وما وقع فى حديث أم معبد من وصف حاجبيه ﷺ بالقرن، فيحتمل أنه كان بينهما شعر دقيق جدا إذا سافر، وعلاه غبار السفر: ظن قرنا، وما قيل: إنه بطريق الرأى، أو إنه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا، أو إنه حدث لهﷺ بعد ذلك بعيدًا جدا بل لا وجه له.

(٥)(**بينهما**) أى: بين الحاجبين، وهذا يدل على أن الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا.

(٦) (**عرق يدره الغضب**) بضم الياء مضارع الإدرار، من أدر الضرع والسحاب إذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب، والمراد أنه يظهر لغليان الدم بالغضب بعدما كان خفيا لا أنه يحدث بعد أن لم يكن، وهذا لا ينافى ما ورد من أنه ﷺ حليم لا يغضب لأنه باعتبار أكثر أحوالهﷺ، وأنه لا يغضب لنفسه، ولا لأجل أمر دنيوى، ولكنه قد يشتد غضبه لله إذا انتهكت حرمه، وفى ضربه للأعداء كما قال الصرصرى رحمة الله:

بجبينه عرق يدر اذا سطا غضبا على الاقران يوم طعان

والغضب: تهييج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها، ولذا يحمر الوجه، وتنفتح العروق.

(٧) (**أقنى العرنين**) القناء فى الأنف: طوله، ودقة أرنبته، أى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه، والعرنين بكسر العين: الأنف، أو ما صلب منه، أو ما تحت مجمع الحاجبين، وهو أول حيث يكون الشمم، والجمع عرانين، ويكنى به عن الإشراف لشموخ أنفه وارتفاعه على أقرانه، قال:

إن العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

٨() (**له نور يعلوه**) الضمير لهﷺ، وجوزوا أن يعود للعرينين؛ لأنه وإن كان وجهه كله له نور، ولكنه أول ما يتعلق به سمى أنفًا أيضًا .

(4) (**يحسبه ما لم يتأمله أشم**) الشمم فى الأنف ارتفاع وسط قصبته مع استواء أعلاه وإشراف أرنبته قليلاً، يعنى : أن وسطه فيه استواء مع أعلاه وأسفله، ولكنه لتلألئه قد يظن أن فيه ارتفاعًا،أو أن فيه ارتفاعًا قليلاً جدًا : لا يعد شممًا، والشمم قد يعبر به عن عزة النفس، وعدم التنزل للأمور، وهو ما يمدح به، كما قال كعب ﷺ .

تتم العرانين ابطال ليوسهم من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والتأمل : إعادة النظر، وتكراره ليثبت فيه، ويقف علَى كنهه، وهو فى الأصل تفعل من الأمل والرجاء، لأن الإنسان لا يعيد النظر غالبًا إلا لما فيه أمل . فأطلق على لازمه، وشاع حتى صار حقيقة فيه، وقيل : الشمم : طول الأنف مع سيلانه ودقته، والأول أصح وأشهر .

(١٠) (**كث اللحية**) بفتح الكاف وتشديد المثلثة، والكث: كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا

الأَسْنان[5]، دَقيقَ المَسرُبَة[6]، كَاَنَّ عُنُقَه جِيدُ دُمْية[7]، فى صَفَاء الفضّةِ[8] ، مُعْتَدِلَ الخَلْقِ[9]، بادِناً[10]، مُتَماسكاً[11]، سوَاءَ البَطْنِ والصَّدْرِ[12]، مشِيحَ الصَّدْرِ[13]، بَعيدَ

دقة شعر، وما اشتهر من قوله: «من سعادة المرء خفة لحيته» لم يثبت أنه حديث مع أنه قيل: إنما هو خفة لحييه، مثنى لحى، وإن معناه: كثرة تحريكهم بذكر الله، أو المراد عدم طولها.

(١) (**أدعج**) أى: سواد عينيه شديد مع بياضها، ويقال: رجل أدعج، أى : أسود، وليس بمراد، وسيأتى فيه كلام.

(٢) (**سهل الخدين**) أى: غير مرتفع الوجنة، وكثير اللحم فيهما، فإنه غير محمود، وقيل: المراد أنه طلق منبسط.

(٣) (**ضليع الفم**) بضاد مفتوحة معجمة. أى: طويل انشقاق الفم واسعة، وهو مما تمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة، وليس المراد به عظم الأسنان وتراصها، كما قاله التلمسانى، وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم، وهو خطأ منهم، أو لمعنى آخر لا يلتفت إليه كما مر.

(٤) (**أشنب**) بنون بين شين معجمية وباء موحدة أى: ذو شنب، وهو كما فى ((النهاية)) بياض، وبريق، وصفاء، وتحديد فى الأسنان، وقيل: هو رونقها وماؤها، وقيل: برد وعذوبة فيها، وقيل : نقط بيض وتحزيز فيها، وسئل رؤبة عن قول ذى الرمة:

لميا فى شفتيها حوت لعس وفى اللثاث وفى أنيابها شنب

فأخذ حبة رمان، وقال: هذا هو الشنيب، أى: أن صفاءه وماءه فيها كهذا. ومن أمثال المولدين: فاتك الشنيب لمن أراد التشبه بمن لا يشبهه، قال ابن الوكيل ـ رحمه الله تعالى:

يا بارقاً على الرقتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(٥) (**مفلج الأسنان**) تقدم أن الفلج: عدم تلاصق الأسنان، وهو أنقى للفم وأطيب، وفى حديث على ـ كرم الله تعالى وجهه: أفلج الثنايا، وهو المراد بالأسنان، أو المراد الثنايا والرباعيات، لأن باعد الأسنان كلها معيب، وقد تقدم كلام فيه، ومفلّج مضموم الميم مشدد اللام، ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى، كقوله:

مالى به مع قرب دارى ملتقى فهل رأيت ثغره المفلجا

(٦) (**دقيق المسربة**) ـ بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء، وهو شعر كالخيط سائل من الصدر إلى السرة، ووصفه بالدقة لأنه غير عريض ولا متكاثف طويل.

(٧) (**كان عنقه جيد دمية**) الجيد: العنق إلا أن السهيلى قال: إن العنق يستعمل فى غير المدح، والجيد يستعمل فى مقام بخلافه، وأن قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ [المسد] تهكم لجعل الحبل عقداً لها، وما هنا على أصل اللغة لا على نهج الاستعمال، فلا اعتراض عليه. والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية، وهى الصورة من رخام، أو عاج، والمراد شدة بياضه وطوله، ويؤيده ما روى من أن عنقه ﷺ كإبريق فضة، ويشير إليه هنا قوله:

(٨) (**فى صفاء الفضة**) أى: بياضها الخالص، وهذا يؤيد ما مر من أنه ﷺ ليس بأسمر، وإنما شبه بالدمية لأن صانعها يبالغ فى تحسينها، ولهذا ضرب بها المثل.

(٩) (**معتدل الخلق**) بفتح فسكون أى: متوسط الخلقة بين الطول والقصر، والسمن والهزال، والضخامة والصغر، فهو متناسب الأعضاء، مستقيم فى أحسن تقويم.

(١٠) (**بادنا**) أى: ضخم البدن، غير دقيق الأعضاء، صغيرها، وأردفه بقوله:

(١١) (متماسكا) أى: كأن أعضاءه تمسك بعضها بعضاً لشدة ارتباطه به، ومناسبته له، وهو منصوب صفة بادنا، وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر.

(١٢) (**سواء البطن والصدر**) أى: متساوى هما، لم يرتفع أحدهما على الآخر.

(١٣) (**مشيح الصدر**) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى: عريض

مـا بَينِ المَنْكـبَين[1]، ضَـخْمَ الكَـرَاديس[2]، أَنْـوَرَ المُتَجـرَّدِ[3]، مَوْصـولَ مـا بَينَ اللَّبَّة[4]السُّرَّة[5]، بِشَعَرٍ[6]، يجْـرى كـالخَطِّ[7]، عَـارى الثـدْيين[8]، مـا سـوَى ذلـكَ[9]، أَشـعَرَ[10]، الذِّراعَينِ[11]، والمِنكبَينِ[12]، وأعَالى الصَّـدْرِ، طويـلَ الزَّنْـدَينِ[13]، رَحـبَ الرَّاحـةِ[14]، شـثْنَ[1]،

متسع، مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه، وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة، وهو بمعناه.

(١) (**بعيد ما بين المنكبين**) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة، وهو ما بين الكتف والعنق، والمراد ببعدهما: سعتهما، وهو أقوى للبدن والبطش، وعبر عنه تارة بالبعد، وتارة بالعظم والكل واحد، وما موصولة.

(٢) (**ضخم الكراديس**) جمع كر دوس وهو رأس العظم، أو ملتقى كل عظمين كالمرفقين، وضخم بمعنى كبير، وكل عظم كثير اللحم: كر دوس.

(٣) (**أنور المتجرد**) اسم مفعول، يعنى: ما خفى من البدن من التجرد، وهو الكشف، ورفع الثياب، وأنور بمعنى: نير مشرق، أو أفعل تفضيل، لأن ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس أبيض من الأطراف المكشوفة، وورد فى وصفه ﷺ أنه أجرد، وهو ضد الأشعر، فإن الشعر كان على أماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة، والساعدين، والساقين. وقال الشريف الغرناطى فى «شرح البردة» : قال بعض الصحابة: رأيتُ ساقَ النبى ﷺ فى غرز الركاب كأنه جمارة، يعنى فى بياض اللون والطراوة، فإن قلت: الوارد فى صفته ﷺ أنه أزهر اللون، أى: مشرب بحمرة، وبياض الجمار خالص! قلت: يمكن الجمع بأن ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره، انتهى.

(٤) (**موصول ما بين اللبة**) بفتح اللام وتشديد الياء الموحدة. وهى النحر، وقيل: الصدر، وقيل: موضع القلادة، وما موصولة لا زائدة.

(٥) (**السرة**) وهى موضع ما يقطع من المولود، والمقطوع: سر.

(٦) (**بشعر**) متعلق بموصول.

(٧) (**يجرى كالخط**) وهو المسربة السالفة، وجريانه: امتداده، كماء جار، والخط: الطريقة المستطيلة المستقيمة، وفى الاصطلاح: ما وصل بين نقطتين متقابلتين، فكأنه جعل اللبة، وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة، والسرة نقطة أخرى، والشعر الرقيق بينهما خطاً.

(٨) (**عارى الثديين**) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث، وروى الثندوتين بثناء مثلثة ونون، وهما بمعنى، قال الجوهرى: الثدى يكون للرجل والمرأة، ووافقه الصاغانى، وفى «درة الغواص»: الثدى خاص بالمرأة، والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموز كترقوة على فعلوة، وهو مغرز الثدى أو رأسه، فإن ضممت همزته وهو فهلوة ففيه تفصيل، بيناه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعاً لبعض أهل العصر صوب بعضهم رواية الثندوتين، وزعم أن غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة، وما قيل : من أنه صحيح على الاستعارة غير صحيح، ومعنى عاريها: أنه لا شعر عليهما، وقيل: لا لحم عليهما لما سيأتى من أنه أشعر.. إلى آخره، وفيه نظر، لأنه لم يذكر فيه أنه على ثدييه شعر، كما سنراه قريبا.

(٩) (**ما سوى ذلك**) أى: ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة، وهو بدل من الثديين، وفيه نظر. وروى: ما سوى ذين، وهو أظهر.

(١٠) (**أشعر**) أى: كثير الشعر فى

(١١) (**الذراعين**) بكسر الذال المعجمة : ما بين المرفق، وطرف الأصابع.

(١٢) (**والمنكبين**) تقدم بيانيهما.

(١٣) (**وأعالى الصدر طويل الزندين**) تثنية زند، وهو طرف الذراع المتصل بالكف، وطرفاه الكوع، وهو رأس الذراع مما يلى الإبهام والكرسوع، وهو رأسه مما يلى الخنصر، وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد، والمراد: عظم الذراع، فسمّاه باسم بعضه، ولذا وصفه بالطول.

(١٤) (**رحب الراحة**) أى: واسع الكف، والكف والراحة بمعنى، والراحة من الروح، وهو الاتساع.

الكَفَّينِ والقدَمَينِ[2]، سائِلَ الأَطرَافِ[3]، أو قال سائنَ الأطرافِ[4]، وسائِرَ الأَطرافِ[5]، سبْط العصَب[6]، خمصان الأَخْمَصَين[7]، مَسِيحَ

---

(١) (**شثن**) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون. وهو الضخم الممتلئ لحماً، ويؤيده أنه ورد فى رواية: أنه ضخم.

(٢) (**الكفين والقدمين**) وما فى النهاية فى تفسيره من أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر غير مناسب، لقوله: رحب الراحة، وقيل: هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر، وذلك محمود فى الرجال دون النساء، لأنه اشد للقبض، أو البطش. وقال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحما، وهى مع ضخامتها لينة، وفى حديث أنس ـ رضى الله عنه: ما مسست حريرا ألين من كفه ﷺ . وقول الأصمعى: الشثن: غلظ مع خشونة لم يوافق عليه، ولا حاجة لتأويله بأنة لأمر عارض فى أسفاره، وجهاده، واستعمال يديه فى مهنة بيته، فإنه مناف لعده من الحلية، وهى الصفات الخلقية، فان الذى ارتضاه أهل اللغة: أنه الضخم، ولا ينافيه قوله:

(٣) (**سائل الأطراف**) وبسط الكفين، أو سبط الكفين، كما قيل؛ لأن المراد بالأطراف الأصابع، والكف، والقدم مغرسها، فليست داخلة فى معناهما، ومعنى سائل باللام طويل، فكأنه شبههابعين سالت من بركة لطولها، وصفائها، وبياضها، ولينها؛ لأن راحته ﷺ تنبع منها الخيرات والمياه، كما قلت فى قصيدتى الهمزية:

نبع الماء من أصابع كفه بأيادينا غاض فيها الماء
لا تقسها على أصابع نيل كم لكسر من جبرهن وفاء

(٤) (**أو قال سائن الأطراف**) شك من الراوى فى قول ابن أبى هالة أنه قال ما تقدم، أو قال: سائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى، وقالوا: جبريل، وجبرين، وإسماعيل وإسما عين.

(٥) (**وسائر الإطراف**) بالراء المهملة مكان اللام، ومعناه: باقى، أو جميع، وليس الثانى خطأ كما قاله الحريرى، وتبعه فى الشرح الجديد كما فصلناه فى «شرح الدرة» وعلى هذا الأخير هو مجرور معطوف على القدمين، أى: ضخم أطرافه كلها، وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج كما قيل، وقد ضبب فى النسخ على قوله سئن، بالنون، والصواب إثبات الألفاظ الثلاثة لما سيأتى فى تفسيرها كما قاله فى «المقتفى» وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك.

(٦) (**سبط العصب**) سبط بسكون الياء الموحد وكسرها بمعنى: ممتد، ليس به تعقد وثيق، كما فى النهاية. والعصب وقع فى أصل البرهان بعين وصاد مهملتين، كما ضبطه ابن الأ نبارى، والذى اتفق عليه ابن الأثير والهروى أنه القصب بالقاف لا بالعين، والمراد بالقصب: ساعداه وساقاه، وفى «الغرسين»: كل عظم عريض: لوح، وكل أجوف فيه: قصبة، وجمعها قصب، ويشهد له أن العرب تتمدح به، كما قال:

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء

لأنه يدل على قوة البدن والشجاعة، والعصب بالعين : ما يمتد فى البطن لربط الأعضاء وتحريكها، كما بين فى علم التشريح، وهو إطناب المفاصل وقيل : المراد به ها هنا عظام الساقين والساعدين مجازًا لما بينهما من المجاورة، فتتحد الروايتان، وهو بعيدٌ جدًا .

(٧) (**خمصان الأخمصين**) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس، وتبعه بعضهم هنا، وبهما ضبط لفظ الشفاء، ومعناه الضامر البطن، وهو ـ هنا ـ بمعنى المتجافى عن الأرض، أى: المرتفع. والأخمصين: مثنى أخمص، بوزن أحمر، وهو ماد خل من باطن القدم ولم يصب الأرض، لعدم مساواته العقب ومقدم القدم، وسمى به لضموره ودخوله، ولما كان أخمص القدم قد يطلق على ما يلى الأرض منها مطلقا أتى بقوله: خمصان مضافاً إليه؛ ليبين أنه على ظاهره، وهو المحل المرتفع، وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا، فجعله كليل أليل، وقد قال ابن الأعرابى: إذا كان خميص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً، لم يستو أسفله، فهو أحسن، فإن استوى أو ارتفع جداً فهو مذموم، فمعنى خمصان الأخمصين أنه

القَـدَمَينِ، ينْبُـو عَـنهما المـاءُ[1]،إذا زالَ زالَ تَقَلُعَـــاً[2]، وَيخْطُـــــو تَكَفُّـــــؤَاً[3]، وَيمشـــــى هَوْنَاً[4]، ذَرعَ المِشْية[5]، إذا مَشَى كَأَنَّما ينْحطُ مِن صـيب[6]،

مرتفع باعتدال، وقال البرهان: وسيأتى ما ينافى هذا، يعنى قوله: مسيح القـدمين، قـال البـارزى فى كتاب: «توثيق عرى الايمان»: خمصان الأخمصين: متجافى أخمص القدم، وهو الموضع الذى لا تنالـه الأرض من وسط القدم، وقوله:

(١) (**مسيح القدمين ينبو عنهما الماء**) قال المصنف ـ رحمه الله تعالى: فيما يـأتى، أى: أملسـهما، ولـذا قـال: ينبو عنهما الماء، وفى حديث أبى هريرة خلافه، ففيه إذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس لـه أخمـص، وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين، وقد قالوا: سُمى عيسى ابن مريم ﷺ مسيحاً؛ لأنـه لم يكـن له أخمص، وقيل: معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما، وهو مخالف لقولـه: شـثن القـدمين، انتهـى. وأقره صاحب «المقتفى» وفى «الشرح الجديد فى النهاية» معنى مسيح القدمين : أنهما ملساوان لينان، ليس فيهما التواء، وانشقاق، فإذا أصابهما الماء سال ومرَّ سريعاً من جانب الكعب القبلى، وقـال ابـنُ الحنبلى فى قصيدة الصرصرى النونية: ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصـان، بـل هـو ظاهرهما لملامسة، فلا تعارض بين العبارتين.

أقول: هذا كله خلط منهما، وليت شعرى ما يقول فى حديث أبى هريـرة الـذى نقلـه البـارزى، فالإشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع، اللهم إلا أن يقال: أن الخمصة فيه قليلة جـداً، ومعنـى= =ينبو: يرتفع، والمراد به: مفارقة الماء، وانصبابه مجازاً، وأنشدوا هنا لبعضهم:

يـــا رب بالقـــدم التـــى أوطأتهـــا مـــن قـــاب قوســـين المحـــل الأعظـــما
وبحرمـــة القـــدم التـــى جعلـــت لهـــا كتـــف المؤيـــد بالرســـالة ســـلما
ثبـــت عـــلى مـــتن الصرـــاط تكرمـــاً قـــدمى وكـــن لى منقـــذاً ومســـلما
واجعلهـــما ذخـــرى فمـــن كانـــا لـــه ذخـــراً فليـــس يخـــاف قـــط جهـــنما

القدم الأولى قدمه ﷺ، والثانية قدم على ﷺ لمـا قـال لـه ﷺ يـوم الفـتح: «اصـعد لكسرـ أصـنام الكعبة» فصعد على كتفه ﷺ، فى حديث رواه صاحب «الصفوة»، ومسيح بفتح الميـم وكسرـ السـين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة، وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة، ولم يفسرها، وكأنها تحريف من النساخ، أو معناها: خفيف المشى.

(٢) (**إذا زال زال تقلعًا**) وروى : إذا مشى تقلع، أى : رفع رجليه رفعًا قويًا ليثبت فى مشـيه فكأنـه يقلـع رجليه من الأرض، فيقارب خطاه من غير اختيال وإسراع، كما ورد فى قوله الآتى : كأنما ينحط مـن صبب، وروى : إذا زال زال قلعًا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها، وروى بالضم أيضًا .

(٣)(**ويخطو تكفؤًا**) أى: إذا مد خطاه يميل إلى قدامه كمن يتكفى،وتكفؤ إن همز ضمت فـاؤه كالمصـادر الصحيحة، مثل: تقدم تقدما؛ لأن الهمزة حرف صحيح،فإن أبدلت ياء كسر ما قبلها، فقيل: تكفيـا كتسمى تسميا، ونحوه من المصادر المعتلة الآخر .

(٤) (**ويمشى هوناً**) بفتح الهاء، أى: اذا مشى مشى برفق ولين ووقار، كما يأتى، لأنه ممدوح، قال تعـالى: ﴿ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان: 63].

(٥) (**ذريع المشية**) بفتح الذال المعجمة وكسر الميم، والذريع: الواسع الخطو، أى: مـابين قدميـه واسـع، فمع عدم سرعته يساوى مشيه المشى السريع، أو يفوقه.

(٦) (**كأنما ينحط من صبب**) أى: ينحدر من مكان عال، والمنحدر من عال يكون له سرعة مـع سـهولة، وإنما قال «كأنما» لأنه ليس منحدرا على الحقيقة، وإنما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة.

واذا التَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعاً[1]، خَافض الطَّرْفِ[2]، نَظَرُهُ الى الأرض أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِه الى السَّماءِ[3]، جُلُّ نَظَرِه المُلاحَظَةُ[4]، يسُوقُ أَصْحَابَهُ[5]، وَيبْدأُ مَنْ لَقِيهُ بالسَّلام[6] قُلتُ[7] : صِفْ لى منْطِقَه[8]، قال: كان رسول الله ﷺ مُتَواصِلَ الأَحْزَانِ[9]، دَائِمَ الفِكْرَةِ، لَيسَتْ

(١) **(واذا التفت التفت جميعا)** أى: إذا أراد أن ينظر لما خلفه، أو فى جانبه، لا يلوى عنقه، بل يصرف جميع بدنه، فيقبل جميعا، ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر، فإنه خفة وطيش.

(٢) **(خافض الطرف)** مصدر بمعنى: تحريك الجفن، ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع، والطرف: العين، وفسر هذا بقوله:

(٣) **(نظره فى الأرض أطول من نظره فى السماء)** يعنى: إن نظره لجانب السفل أكثر من نظره إلى جانب العلو لخشوعه، وحيائه، ووقاره، وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء، فإنه مكروه فيهما، ولا ينافى هذا قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة :144] لأن هذا باعتبار الأغلب، كما يشعر به لفظ قد.

(٤) **(جل نظره الملاحظة)** جل بضم الجيم بمعنى المعظم والأكثر، والملاحظة: بالنظر باللحظ، وهو طرف العين مما يلى الصدغ، ومما يلى الأنف: موق، ومأق، أى: ينظر بطرف عينه تأدبا وحياء.

(٥) **(يسوق أصحابه)** أى: يمشى خلفهم، وفى ساقتهم، ولا يدع أحدا يمشى خلفه، كما هو عادة المتكبرين، وكان ﷺ يقول: «خلوا ظهرى للملائكة» وفى قوله يسوق: إشارة إلى أنه هو المحرك لهم، فما قيل من أنه لا يتقدم الصغار الكبار إلا إذا ساروا ليلاً، أو خاضوا سيلاً، ليس على وفق السنة.

(٦) **(ويبدأ من لقيه بالسلام)** لأنه من السنة أن يسلم الأكبر على الأصغر، والسلام دعاء وتحية، وهو تحية أهل الجنة، كما ورد فى السنة، فهو دعاء بالسلامة، واسم من أسمائه تعالى، وجوز إرادته هنا بمعنى: إن الله معك، ومطلع عليك، وابتداؤه سنة لا واجب بالإجماع، وفيه قول به ضعف لا يعتد به، ورده فرض كفاية، لا على كل أحد بعينه؛ لأن السلام معناه: الأمان، فإذا سلم أحد، ولم يجب، توهم الشر، فيجب دفعه كما قاله الحليمى، وهذا منه ﷺ تواضع، ولطف مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق. قال الحسن ﷺ الراوى لهذا الحديث:

(٧) **(قلت)** لخالى هند بن أبى هالة ـ رضى الله تعالى عنه :

(٨) **(صف لى منطقه)** مصدر ميمى، أى: نطقه وكلامه ﷺ، والنطق هو: اللفظ الدال على معنى، وأما قول سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: 16] وقول الشاعر

لقد نطق اليوم الحمام لنطربا .....

فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه السلام منه معنى: ولادعاء الشعراء شوقه وطربه، كما قال الهروى.

(٩) **(قال كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان)** هذا مشتمل على الجواب وزيادة، فالجواب قوله الآتى : **ولا يتكلم فى غير** حاجة، فكأنه قال : كان كلامه موجزا قليلاً، وقيل : معناه: إن كلامه لم يكن بفرح وبطر، بل بحزن وأسف، وقال ابن قيم الجوزية : قول ابن أبى هالة: متواصل... الى آخره لم يثبت عنه، وفى سنده مجهول، كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه، ونهاه عنه بقوله : ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [النحل: 127] وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا خوف عليه، ولا حزن فى الدنيا والآخرة، فمن أين يأتيه الحزن، وقد ورد وصفه ﷺ بأنه كان دائم البشر، ضحوك السن، وقد استعاذ من الهم والحزن، ومر أن الهم لما سيأتى، والحزن على ما مضى، وقال ابن تيمية فى حديث ابن أبى هالة: أنه ﷺ: كان كثير الصمت، دائم الفكر، متواصل الأحزان: ليس المراد بالحزن: الألم على فوت ، وإنما المطلوب، أو حضور مكروه، فإنه لم يكن من حاله ﷺ، وإنما المراد به التيقظ لما يستقبل من الأمور، وهو مشترك بين العين والقلب، انتهى. قيل: وهو لم ينه عن ذلك؛ لأنه ليس باختياره، وإنما نهى عن تعاطى أسبابه، كما قيل:

ومن سره الا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

انتهى. وقال ابن قيم الجوزية فى «شرح مدارج السالكين» : ليس الحزن من منازل السالكين، وقد ورد النهى عنه فقال : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران : 139] وقد استعاذ منه ﷺ وحزن المؤمن يسر الشيطان، لأنه يفتر العزم، ولذا قال أهل الجنة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34] الآية.

وهو من المصائب، وأما خبر : «إن الله يحب كل قلب حزين» فلم يثبت .

أقول: هذا تطويل بغير طائل، وإنكار ورود الحديث مردود، لأنه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره، وأما كونه ليس من المقامات، فمع كونه غير مسلم كما مر، فلا يضر، والمراد : إنه ﷺ كان على هيئة الحزين حال سكوته

لَهُ راحَةُ[1]، وَلا يتَكَلَّمُ فى غَيْرِ حَاجَةٍ[2]، طَويلَ السُّكُوتِ[3]، يفْتَتِحُ الكَلَامَ وَيخْتُمُه بأَشْدَاقِهِ[4]، وَيتكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الكَلِم[5] فَصلاً[6]لا فُضُولَ فيه[7] ولا تقصير[8]، دَمِثاً[9]، ليسَ بالجَافى[10] ولا المهينِ[11]، يعَظِّمُ النِّعْمَةَ وانْ دَقَّتْ[12]، لا يذُمُّ شيئاً[13]، لم يكُنْ يذُمُّ ذَوَاقاً[14]، ولا يمْدَحُهُ، ولا يقَامُ لِغَضَبِهِ[15]، إذا تُعرِّضَ لِلْحَقِّ بِشَىءٍ[16]حَتَّى ينْتَصِرَ لهُ[1]، ولا يغْضَبُ لنَفْسِهِ، ولا ينْتَصِرُ لها[2]، إذا أشَار

لكثرة أفكاره فى أمور أمته وأحوالهم، كما يدل عليه قوله :

(١) (**دائم الفكرة ليس له راحة**) وكيف لا، وقد قاسى ﷺ فى التبليغ ما لا يوصف، وأما وصفه ﷺ بالبشر والتبسم، فهو فى حال آخر، وهو مخاطبته للناس، والنظر فى أمورهم .

(٢) (**ولا يتكلم فى غير حاجة**) له ﷺ أو لأمته، كما قال : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» .

(٣) (**طويل السكوت**) عما لا يجدى نفعاً لكثرة أفكاره ﷺ، ودوام أذكاره .

(٤) (**يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه**) جمع شدق بفتح أوله وكسره وسكون داله المهملة، وهو جوانب الفم، وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته ﷺ كما مر، وهو مما تمتدح به العرب كما يأتى وأما قوله ﷺ: «أبغضكم إلى الله المتشدقون» فمعناه : من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه، فسقط ما قيل : إنه من صفة الفم، ولا مدخل له فى الجوانب .

(٥) (**ويتكلم بجوامع الكلم**) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة، السائرة مسير الأمثال، جمع جامعة، وتطلق على القرآن .

(٦) (**فصلاً**) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة، أى : كلاماً فاصلاً للخصومة، وفارقاً بين الحق والباطل .

(٧) (**لا فضول فيه**) أى : لا زيادة فيه على أداء المراد، وهو اسم مفرد، وقيل : أنه جمع فضل خصّ بما ذكر، ونقل لمعنى آخر، ولذا نسب إليه، فقيل: فضولى، كما فى (المغرب) .

(٨) (**ولا تقصير**) فيما يريده بتقليل مخلّ بالفهم .

(٩) (**دمثاً**) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة، من : الدماثة، وهى سهولة الخلق، مستعار من الأرض الدمثة، وهى: ذات الرمل المتلبد، أى: لين الخلق، لطيف المعاملة .

(١٠) (**ليس بالجافى**) أى: ليس غليظ الطبع، وهو أصل معنى الجفاء، أو لم يكن يجفو أصحابه .

(١١) (**ولا المهين**) روى بضم الميم وفتحها، فالأول من الإهانة، والميم زائدة، أى : لم يكن ﷺ يهين أحدًا من الناس، والثانى : من المهانة وهى الحقارة، والميم أصلية، أى : لم يكن ﷺ حقيراً متذللاً لأحد من الناس، لشرف نفسه وعزتها، وهذا وصف لذاته ﷺ، ويحتمل أن يكون وصفاً لمنطقه .

(١٢) (**يعظم النعمة وإن دقت**) أى: يعد كل ما أنعم الله به عليه عظيماً وإن لم يكن كذلك، ومعنى: دقت: صغرت، وقلت.

(١٣) (**لا يذم شيئاً**) أى: شيئاً يستحق الذم .

(١٤) (**لم يكن يذم ذواقاً**) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة وألف وقاف فعال مصدر صار بمعنى: ما يذاق من مأكول ومشروب، فما قدم له ﷺ من طعامه ونحوه إن أعجبه أكل منه، وإلا كف يده، ولا يقول فيه شيئاً، فلا يذمه .

(١٥) (**ولا يمدحه ولا يقام لغضبه**) من قام: إذا ثبت، أى: لا يثبت له أحد، أو من قام بمعنى دام، أى: لا يدوم أحد على تحمل غضبه، ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول، وفيه دلالة على أنه ﷺ كان يغضب لله، وقد ورد ما يدل على ذلك .

(١٦) (**اذا تعرض لحق بشيء**) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة، أى: اذا اعترض أحد للحق بما يبطله، أو يقتضى خلافه، وبشيء بالباء الجارة واللام، وعامله إما يقام، أو تعرض.

بِكَفهِ كُلَّها[3]، وإذا تَعَجَّبَ قَلَّبَها[4]، وإذا تَحَدَّثَ أَفصل بها[5].

فَضَرَبَ[6] بإبْهَامِهِ اليمْنَى رَاحَتَهُ اليمْنَى رَاحَتَهُ اليسْرَى[7]، وإذا غَضِبَ أَعْرَضَ[8]وأَشَاحَ[9]، واذا فَرِحَ[1] غَضَّ طَرْفَهُ[2]، جُلُّ ضَحِكِه التَّبَسُّمُ[3]، ويفْتَرُّ[4] عَنْ

---

(١) **(حتى ينتصر له)** أى: للحق، فيؤيده ويبطل خلافه.

(٢) **(ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها)** أى: إذا آذاه أحد من الأعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالأعرابى الذى أمسكه ﷺ بردائه، ولببه، والذى قال: إن هذه قسمة غير عادلة، ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كأبى ابن سلول رأس المنافقين، وما كان يصدر منه.

(٣) **(إذا أشار بكفه كلها)** أى: اذا أشار لشىء خارج الصلاة أشار برفع يده، وأما فى الصلاة إذا أشار للتوحيد أشار بإصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الإشارتين، وله ﷺ إشارات أخر نبه عليها بقوله:

(٤) **(واذا تعجب قلبها)** أى: قلب كفه، وجعل باطنها نحو السماء، وظاهرها للأرض، وتأنيث الكف لأنها مؤنث سماعى وهو إشارة لانفلات الحال عما يعتاد من غير إظهار للتعجب، واستغراب لأمر، وهذا مما يدل على سكونه ﷺ، وعدم خفته، وهو أمر ممدوح.

(٥) **(اذا تحدث أفصل بها)** فى «شرح الدلجى» بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف، أى:= =وجه كفه، من فصل علينا إذا خرج من طريق، أو ظهر من حجاب قاصداً بها، أى: بكفه، ولم يبينه غيره، ووقع فى بعض النسخ: اتصل بها، أى: بمثناة فوقية بدل الفاء، وفى حاشية التلمسانى: وللحديث يتصل بها، أى: لا زال يحركها، وذلك أثبت لأنه قول وفعل، انتهى.

وهذا يدل على أن اتصل بها رواية، ففى العبارة ثلاثة وجوه: أفصل، واتصل، ويتصل، والمعنى: إنه ﷺ فصل حديثه بإشارته بيده لجهة من يخاطبه، كعادة من يهتم بكلامه فى أمر مهم.

أقول: هذا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه، أما ما ذكره الدلجى من أنه أفصل بهمزة وفاء فتحريف، لأنه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة أكرم، فالصواب فصل، أو اتصل، ومعناه: أنه ﷺ فصل كلامه بإشارته، أو وصل إحدى يديه بالأخرى، ثم رأيته فى كتاب «النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الأمة» ذكر هذا الحديث، وانه اتصل، افتعال من الوصل، وهو الصحيح، وذكر أنه ﷺ كانت له إشارات مختلفة، فيشير بالمسبحة للتوحيد، ويجمع كفه لغيره فرقاً بينهما، وأنه كان إذا حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيداً له، والظاهر أن الفاء آتية فى قوله:

(٦) **(فضرب)** تفصيلية، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: 45] إلى آخره، ولم يبينوا معناه، والظاهر: أن المعنى: أنه ﷺ كان يشير بجميع كفه إذا كان مع أصحابه على وجه متعارف، كالإشارة للذهاب والجلوس ونحوه، فإذا تحدث وضع إبهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه، أو انتهائه، فاعرفه، وقوله:

(٧) **(بإبهامه اليمنى راحته اليسرى)** كذا فى أكثر الروايات، وفى بعضها: فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، والإبهام معروف، يذكر ويؤنث، وجمعه: أباهيم، وأباهم، قالوا: وهذا عادتهم إذا تحدثوا.

(٨) **(إذا غضب أعرض)** عمن غضب عليه من غير لوم له، لشدة حلمه ﷺ.

(٩) **(وأشاح)** بشين معجمة وحاء مهملة بينهما ألف، قيل: معناه: صرف وجهه، فهو تأكيد لما قبله، وقيل: معناه: قبض وجهه، وزواه من غير لوم وعقاب، وهذا من حلمه ﷺ، فلا يقال: كيف أدرج هذا فى صفات المدح؟ فأجاب بأن الغرض بيان صفاته ﷺ للمسائل؛ لأن المقام يأباه، وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا،وقيل: إن فى النهاية: أن المشيح: الحذر، أو الجاد فى الامر، أو المقبل عليك، المانع لما وراء ظهره، وفى حديث سطح: أقبل على جمل مشيح، أى: جاء مسرعا، فيجوز أن

مِثْلِ حَبِّ الغَمَام[5]. قال الحَسن[6] : فَكَتَمْتُها[7]عن الحسين[8]بن على رضى الله عنهم زَمَاناً[9] ثم حَدَّثْتُهُ[10] فَوَجَدْتُهُ قد سَبَقَنى اليه[11]، فَسَأَل أباهُ عن مَدْخَلِ رسول الله ﷺ ومَخْرَجِهِ ومَجْلِسِهِ[12] وَشَكْلِهِ[13] فلمْ يدَعْ مِنْه شيئا[14].

يريد أحد هذه المعانى، أى: حذر من موجب غضبه، أو حذر فى الأمر، ليشعر بإعراضه عن موجب غضبه، أو أقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه، ولا يخفى أنه تكلف، مخالف لما اختاره المصنف مما هو أظهر هنا .

(١) (**وإذا فرح**) لرؤية ما يسره، أو سماعه .

(٢) (**غض طرفه**)، أى: أرخاه، وأطرق تباعداً من الأشر والمرح .

(٣) (**جل ضحكه التبسم**) أى : أكثره، وقد تقدم بيانه، وقد يضحك ﷺ أحيانا حتى تبدو نواجذه، والتبسم مبادى الضحك .

(٤) (**ويفتر**) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة، من قولهم: افتر ضاحكاً، إذا أبدى أسنانه، قال :

يفتر عن لؤلؤة رطب وعن برد وعن آقاح وعن طلع وعن حبب

وهو من : فررت الدابة، إذا كشفت فهما لتعرف سنها من سنها، وذلك هو الفرار بالضم .

(٥) (**عن مثل حب الغمام**) متعلق بيفتر، والغمام: السحاب، واحده: عامة كسحابة، وحبه هو البرد المعروف، لا قطر المطر كما توهم، فإنه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا، لأن الحب الجامد دون السائل، وتشبيه أسنانه ﷺ به لصفائه، ولمعانه، ورطوبته، دون جريه، حتى يقال: إنه لنوع منه، وهو مشهور فى كلامهم كما مر .

(٦) (**قال الحسن**) بن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهما :

(٧) (**فكتمتها**) أى: أخفيت صفاته ﷺ التى سمعتها من ابن أبى هالة .

(٨) (**الحسين**) مفعول ثان لكتم، وفى نسخة: عن الحسين بن على .

(٩) (**زماناً**) مدة من الزمان .

(١٠) (**ثم حدثته**) بما سمعته من صفته ﷺ .

(١١) (**فوجدته قد سبقنى إليه**) أى : إلى الحديث المعلوم من قوله : حدثته، أى : حفظه قبلى، إلا أنه رواه عن أبيه على ـ رضى الله تعالى عنهما.

(١٢) (**فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ، ومخرجه، ومجلسه**) وفى نسخة : وملبسه بدل مجلسه، فإن كانت الثلاثة مصادر ميمية، فظاهر، وإلا بان كان اسم زمان أو مكان، فالمراد : سألته عن حاله فى مخرجه ومدخله، والمراد :خروجه ﷺ للناس، ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتى، وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام: هيئة جلوسه، وإن ما ذكر استقراء لجميع أحواله، يعنى : الحسن، أنه سمع هذه الصفات من ابن أبى هالة خاله، ولم يخبر أخاه بما سمعه منه، والحسين لم يسمعها من خاله، فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق، وهى روايته لها عن أمير المؤمنين أبيه مع زيادة، وإنما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم عن أهله؛ لأنه لم يسأله، ولم ينحصر علمه فيها، ولو كان كذلك دخل فى حديث : «من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار»أو أنه كتم عنه كلام أبى هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم أهل البيت بذلك، فإن الثبت والحديث لهم.

(١٣) (**وشكله**) بفتح أوله، أى : هيئته فى ذلك الحال، وبكسره بمعنى الهدى، والسمت، قاله التلمسانى .

(١٤) (**فلم يدع من ذلك شيئا**) أى : لم يترك شيئا من أحواله إلا بينه لى .

قال الحُسَين : سَأَلْتُ أبى عَنْ دُخُولِ رسول الله ﷺ؟ فقال : كان دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ[1]، مَأْذُوناً لَهُ فى ذلِكَ [2]، فَكَانَ إذا أَوى [3] الى مَنْزِلِهِ، جَزَّأَ دُخُولَهُ[4] ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ لله [5]، وَجُزْءاً لأَهْلِهِ [6]، وَجُزءاً لِنَفْسِهِ[7]، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَينَهُ وبَينَ النَّاس[8] : فَيَرُدُّ ذلِكَ عَلَى العَامَّة بالخَاصَّةِ [9]، وَلا يدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيئاً[10]، فَكَانَ مِنْ سِيرتِهِ فى جُزْءِ الأُمَّةِ [11]، أيثَارُ أَهْلَ الْفَضْلِ بأذنِهِ [12]، وقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فى الدِّينِ[13]، مِنْهُمْ ذو الحاجَةِ

(١) (**قال الحسين سألت أبى ﷺ عن دخول رسول الله ﷺ، فقال : كان دخوله لنفسه**) أى : دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصالحه، وقضاء مآربه وقيلولته .

(٢) (**مأذونا له فى ذلك**) من الله إذنا عاما بحيث يدخل؟ أى بيت من بيوته فى أى وقت من غير استئذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن؛ لأنه ﷺ كان لا يجب عليه القسم، وقيل : المراد : دخوله بيوت أصحابه رضى الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله :

(٣) (**فكان إذا أوى**) الأصح قصره، ويجوز مده.

(٤) (**إلى منزله جزّأ دخوله**) أى : قسم زمن دخوله لبيته .

(٥) (**ثلاثة أجزاء جزءا لله**) أى : لعبادته والتفكير فى ملكوته .

(٦) (**وجزءا لأهله**) يدبر فيه أمورهم، ويصلحها، ويتلطف بهم .

(٧) (**وجزءا لنفسه**) من مأكل، ومشرب، وراحة، وغيره بما يليق به لقوله :

(٨) (**ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس**) أى : قسم الزمن الذى جعله لنفسه، فجعل قسما منه مخصوصا بذاته وأحواله فى نفسه، وجزءا آخر للناس وسائر الأمة، وهو فى منزله، ولا يلاقيه فيه إلا أهله، أو خواص أصحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه، وغيرهم لا يصل إليه ثمة، فلذا قال :

(٩) (**فيرد ذلك على العامة بالخاصة**) يرد بمعنى: يوصل ويعطى كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ منهم، ثم رد إليهم، وقيل: معناه: يستعين؛ لأنه ورد انه ﷺ كان يستعين بالخاصة على العامة، وهو بيان لمحصل المعنى، وذلك إشارة لما فهم من السياق، وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعه ﷺ إذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم، والباء فى الخاصة للسببية، وكونها للبدل، كقوله :

فكيف لى بهم قوما إذا ركبوا بعيد

لأنه ليس المراد أنه يجعل وقت العامة بعد الخاصة، وبدلا منه، وعلى : على ظاهرها، وقيل : بمعنى إلى، وروى بدل يرد بيدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيها .

(١٠) (**ولا يدخر عنهم شيئا**) أى : عن المذكورين من العامة والخاصة، وقيل : عن الداخلين عليه ﷺ، والمال واحد، ويدخر بدال مهملة مشددة، وأصله: يذتخر بذال معجمة وتاء افتعال، من : الدخر، قلبت تاؤه وذاله دالا، وفعل به ما علم من كتب الصرف، وكذا أمثاله من ادكر، ويجوز يذخر بذال معجمة مشددة وخاء .

(١١) (**فكان من سيرته فى جزء الأمة**) وهو الجزء الذى جعله للناس وأفرزه مما كان لنفسه، أى : كان دأبه ﷺ وعادته فى هذا الجزء .

(١٢) (**إيثار أهل الفضل بإذنه**) الإيثار : تقديم ما يؤثره على غيره، والمراد بإذنه: أنه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر، وما قيل من أن المراد بأهل الفضل اغنياء الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ والفضل زيادة مالهم على حاجتهم، والمعنى : إنه ﷺ يأذن لهم أن يؤثروا بصدقاتهم أقرباءهم، كما وقع لأبى طلحة ﷺ فى بئر حاء تكلف أوقعه فيه قوله :

(١٣) (**وقسمته على قدر فضلهم فى الدين**) فتوهم أن المراد تقسيم المال والعطاء، وليس كذلك، وإنما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم، واشتغاله بأحوالهم، وقوله : فى الدين؛ لأن أكرمهم عند الله أتقاهم، فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال، وفى بعض النسخ : وقسمه بدون تاء، ثم بين سبب تفاوتهم بقوله :

[1]، ومِنْهُمْ ذُو الحَاجَتَين، ومِنْهُمُ ذُو الْحَوائِجِ[2]، فَيَتَشَاغَلُ بِهِم[3]، ويشْغَلُهُمْ[4] فيما يصْلِحُهُمْ[5] والأُمَّةَ[6] مِنْ مَسْأَلتِهِ عَنْهُمْ[7] وأخْبَارِهِمْ[8] بالَّذى ينْبَغى لَهُم[9]، وَيقُولُ: «لِيبلِّغِ الشَّاهِدُ[10] مِنْكُمْ، ويقول: ليبلغ الشاهدُ منكم الغائِب[11]، وأَبْلِغُونى حَاجَةَ مَنْ لا يستَطيعُ إبلاغِى حاجَتُه[12]، فإنَّهُ[13] مَن أَبْلَغَ سُلْطاناً حاجَةَ مَنْ لا يستطيعُ إبلاغَهَا[14] ثَبَّتَ الله قَدَمَيهِ يومَ القِيامةِ[15] لا يذْكَرُ عِندَهُ[16] إلا ذِلكَ[17]، وَلا يقْبَلُ مَنْ أحَدٍ[1] غَيرَهُ[2] قال[3]

---

(١) **(منهم ذو الحاجة)** الواحد .

(٢) **(ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج)** الثلاثة فأكثر .

(٣) **(فيتشاغل بهم)** أى : بقضاء حوائجهم وإرشادهم لما يصلح معاشهم، ومعادهم .

(٤) **(ويشغلهم)** بفتح الياء المثناة التحتية، مضارع: شغل، وأما أشغل فلغة رديئة كما مر، أى: يجعلهم ﷺ مشغولين بما أمرهم به.

(٥) **(فيما أصلحهم)** وفى نسخة : يصلحهم، أى : ما فيه صلاحهم .

(٦) **(والأمة)** بالنصب، أى : وأصلح الأمة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته ﷺ بحالهم .

(٧) **(من مسألته عنهم)** وهو بيان لما، أى: سؤاله عن أحوالهم، وروى مسألتهم، أى: الخاصة ذوى الفضل.

(٨) **(وإخبارهم)** أى : إخبار ذوى الفضل .

(٩) **(بالذى ينبغى لهم)** أى : يليق، ويناسب حال المسؤول عنهم من الأمة، وهو مطاوع بغى، بمعنى طلب، الراغب: اذا قيل : ينبغى ان يكون كذا، فهو على وجهين :

أحدهما : ما يكون مسخراً للفعل، نحو : النار ينبغى أن تحرق .

الثانى : الاستيهال، نحو: فلان ينبغى أن يعطى لكرمه، قال الله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس : 69] ويقول ﷺ لمن حضر عنده :

(١٠) **(ليبلغ الشاهد)** أمر، وهو للوجوب فى الأمور الشرعية، وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الإتباع بعده، ويجوز تشديدها، والأول أصح هنا، والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله :

(١١) **(الغائب)** وهو من لم يكن حاضراً أو موجوداً، فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم، أو هم الصحبة والتابعون، قيل: ويحتمل أن يراد العالم، والجاهل، وأهل الحضر، والبادية، والسامع، ومن لم يسمع، والمسلم، والكافر . وهذه احتمالات عقلية، أو هى تأويلات وتعميم لمفهومه، فتأمل .

(١٢) **(وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى)** أى : حاجته، وروى : إبلاغ حاجته، وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب، والحث، وبيان لسبب الأمر .

(١٣) **(فإنه)** أى : الأمر والشأن .

(١٤) **(من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها)** قيل: يريد أن من أبلغ سلطاناً حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم، فكيف بمن بلغ رسول الله ؟! وإلا فهو أجل من أن يكون ملكاً أو سلطانا، وقد قال كما تقدم : «**لست بملك**» قلت: فيه نظر. وقد يقال: المراد بالسلطان هنا الإمام الأعظم خليفة الله، وقد أطلق الفقهاء ذلك عليه، كما بيناه فى حكمه، بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى، وهذا الحديث مستقل رواه الأصبهانى، وفى بعض ألفاظه اختلاف .

(١٥) **(ثبت الله قدميه يوم القيامة)** على الصراط يوم تزل الأقدام كما ورد مصرحا به فى رواية لابن أبى الدنيا، وذلك لأنه مشى بقدميه، وسعى لحاجة أخيه، فهو جزاء من جنس العمل، وهو كناية عن نجاته من أهوال الموقف .

(١٦) **(ولا يذكر عنده)** أى : لا يذكر فى مجلسه .

(١٧) **(إلا ذلك)** الإشارة لجميع ما تقدم من ذكره مصالحهم، وسؤاله عن الأمة، والأمر بالتبليغ والحث عليه، والترغيب فيه.

فى حديثِ سُفْيانَ بنِ وَكِيع[4] : يدْخُلُونَ[5].

رُوَّاداً[6] ولا يتفرَّقُونَ[7] ألا عَن ذَوَاق [8] وَيخْرُجُونَ[9] أدِلَّة، يعْنى : فُقَهَاء[10] قُلْتُ [11] : فأخبرنى عن مخرجه [12] كيف كان يصنع فيه [13]؟ قال : كان رسول اللهﷺ[14] يخزن لِسَانَهُ[15] الا مما يعنيهم [16]، ويولفهم، ولا يفرقهم [1]، يكرم كريم كل قوم[2]،

---

(١) (**ولا يقبل من أحد**) البناء للفاعل والمفعول .
(٢) (**غيره**) أى : لا يرضى كلاماً غير ما يكون من هذا القبيل .
(٣) (**وقال**) أى : على ﷺ عنه فى رواية .
(٤) (**فى حديث سفيان بن وكيع**) بن الجراح، أبو محمد الكوفى، وهو إمام حافظ، روى عنه الترمذى والدار قطنى وغيرهما، توفى سنة سبع وأربعين ومائتين، ووالده إمام جليل حافظ ـ رحمه الله تعالى .
(٥) (**يدخلون**) أى : أصحابه ـ رضى الله تعالى عنهم .
(٦) (**روادا**) بضم الراء المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة جمع رائد، وأصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ، فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم، وما يرشدهم، وقيل: يتحينون وقت الوصول إليه. وقال التلمسانى: إن رواد بكسر الراء وتخفيف الواو، ومصدره: رودير، ودويروى لواذا بلام وذال معجمة، أى : ملتجئين، لا ئذين به .
(٧) (**ولا يتفرقون**) عن مجلسه ﷺ .
(٨) (**إلا عن ذواق**) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة وألف وقاف، فعال من الذوق بمعنى: المذوق، وهو المأكول، فاستعير للعلم الذى يتعلمونه، ويتحمل أن يريد حقيقته، لأنه ﷺ كان عادته أن يطعم شيئا لمن يدخل بيته، وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين ، وحقيقة الذوق كما قاله الراغب : وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله، وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا «طراز المجالس» أى:لايتفرقون إلا عن علم وأدب هو غذاء لأرواحهم، وسبب لبقائهم .
(٩) (**ويخرجون**) من عنده ﷺ .
(١٠) (**أدلة، يعنى فقهاء**) عالمين بأمور الدين، أى : هداة مرشدين للناس، ويهتدى بهم غيرهم، فأدلة جمع دليل، بمعنى هادى، أو بمعناه المشهور، كما يقال : فلان حجة الاسلام والصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية، كما فى «تحرير ابن الهمام» .
(١١) (**قلت**) قائله الحسين لأبيه ـ رضى الله تعالى عنهما .
(١٢) (**فأخبرنى عن مخرجه**) أى : عن حاله ﷺ بعد خروجه من منزله .
(١٣) (**كيف كان يصنع فيه**) بعد خروجه من منزله .
(١٤) (**قال كان رسول اللهﷺ**) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام، والتلذذ، والتبرك بذكره.
(١٥) (**يخزن لسانه**) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون، أى : يصونه، ومنه الخزانة لأنه لا يجب كثرة الكلام، قال :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه يخزان

ولما فيه من المنع عداه بمن فقال :
(١٦) (إلا بما يعنيهم) وفى نسخة: إلا فيما، ويعنى بفتح المثناة التحتية، أى: يهمهم وينفعهم من جواهر

ويوليه عليهم [3] .

ويحترس منهم [4]، من غير أن يطوى [5] عن أحد بشره [6] وخلقه [7]، ويتفقد أصحابه [8]، يسأل الناس عما فى الناس [9] الْحَسَنَ وَيصَوّبه [10] وَيقَبّح القَبيحَ ويوُهّنُهُ [11]، معْتَدَلَ الأمْر [12] غَيرِ مُخْتَلِف [13]، لا يغْفُلُ [14] مَخَافَةَ اَنْ يغْفَلُوا [15] أوْ يملوا [16] لكَلِّ حَالٍ

كلمه، وزواجر حكمه.

(١) **(ويؤلفهم ولا يفرقهم)** أى : يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم، ولطفه بهم، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : 159] أو يجعل الله بينهم ألفة تحثهم على التحاب والمؤاخاة بينهم .

(٢) **(يكرم كريم كل قوم)** كما قال : «أكرموا عزيز كل قوم» لمعرفته ﷺ بمقادير الناس .

(٣) **(ويوليه عليهم)** أى : يجعله حاكما عليهم، فلا يولى أحدا من أصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم، ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لأهلية ذوى الولايات وتجنبا لإعلاء السافل ترغيبا فى الإسلام .

(٤) **(ويحذر الناس ويحترس منهم)** لأن من الحزم سوء الظن، وعدم الوثوق بكل أحد، وقال عمر - ﷺ: احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه، وليس المراد بالناس جميعهم، بل عوامهم بخلاف خواصهم، والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة، وقيل : الاحتراس : التحفظ، والاحتراز : التعوذ، والحذر : الخوف .

(٥) **(من غير أن يطوى)** أى : يخفى، ويمنع، استعارة من : طى الثياب .

(٦) **(عن أحد بشره)** أى : طلاق وجهه، وانبساطه معه تأنيسا له، وتأليفا لقلبه، وإذهابا لخوف مهابته .

(٧) **(وخلقه)** أى: حسن خلقه، ولم يذكر الحسن إشارة إلى أنه مجبول على الحسن فيه .

(٨) **(ويتفقد أصحابه)** أى : يسأل عمن لم يحضر عنده، وفقد من مجلسه، وقد يذهب ﷺ لمنزله إذا طالت غيبته، ويطلبه.

(٩) **(ويسأل الناس عما فى الناس)** من أحوالهم وأمورهم ليعلم أمرهم، فيتدارك ما ينبغى تداركه، وينصح من يلزم نصحه، وليس هذا من التجسس أو الغيبة المنهى عنه، بل من سؤال الطبيب ليشفى المريض، فإذا أخبره بحال حسن حمد الله على ذلك .

(١٠) **(يحسن الحسن، ويصوبه)** أى : يبين حسنه، وكونه صوابا، ويمدح فاعله ترغيبا له فيه .

(١١) **(ويقبح القبيح ويوهنه)** بضم أو لهما، وتشديد ثانيهما، والنون أو الياء التحتية، من الوهن بمعنى الوهن، وهو الضعيف، أى : يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا، وتحذيرا، ونصحا نافعا، والمراد : الحسن، والقبيح عادة أو شرعا، وفيه صنعة الطباق .

(١٢) **(معتدل الأمر)** أى : أموره ﷺ كلها معتدلة، فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره .

(١٣) **(غير مختلف)** أى : على سنن واحد فى جميع أوقاته .

(١٤) **(لانفعل)** عن شىء من أحوال الناس .

(١٥) **(مخافة أن يغفلوا)** عما يصلحهم، وهو بضم الفاء فيهما .

(١٦) **(أو يملوا)** أى : يحصل لهم فتور وكسل عن صالح أمرهم، اذا لم ينبههم عليه، ولو أرجع هذا لقوله معتدل الأمر لم يبعد، ويجمع هذا قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : 125] .

[1] عنْدَهُ عَتَاد[2]، لا يقَصَّرُ عَنِ الحَقِّ ولا يجَاوِزُهُ الى غَيرِهِ[3]، الِذينَ يلُونَهُ مِنَ النَّاسِ[4] خِيارُهُم[5]، وأفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ : أعَمُهُم نَصِيحةً[6]، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنزلة [7] : أحْسنَهُمْ مُوَاسَاةً[8] ومؤازرة [9] فسألتُهُ[10] عَنْ مَجْلِسِهِ [11] عَمَّا كَانَ يصنَعُ فيه؟ فقال : كانَ رسول الله ﷺ لا يجَلْس ولا يقُومُ [12] إلاّ على ذِكْرٍ [13]، ولا يوَطَّنُ[14] الأماكِنَ [15] وينَهْى عَن إيطانِها [16] .

---

(١) **(لكل حال)** من أحوال الناس .

(٢) **(عنده عتاد)** بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة، وهو كالعتيد: العدة، والحاضر المعد لإصلاحه، وتداركه إذا وقع، فهو متخلق بقوله : ﴿ مَّا يَلفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:18] وقيل : أصل العتاد عداد لأنه من العدة، فأبدلت داله تاء هربا من التكرار .

(٣) **(ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره)** فإذا رآه عمله، وإذا رأى منكرا أزاله من غير تأخير .

(٤) **(الذين يلونه من الناس)** أى : يقربون منه فى مجلسه ونحوه .

(٥) **(أخيارهم)** أى : أفضلهم وأشرفهم .

(٦) **(وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة)** أعم هنا بمعنى أكثر نصيحة، أو أكثر منصوحا، بأن ينصح فى= =كل أمر كل أحد بإرشاده لما هو خير له، ولذا قال ﷺ : «الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين» فنصيحة الله : إخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته، مخلصا لوجهه. ولكتابه : فهم معانيه، والعمل بما فيه . والنصيحة لرسول الله ﷺ : الإيمان به، واجتناب نواهيه، وامتثال أوامره . ولأئمة المسلمين : طاعتهم، وعدم الخروج عليهم، ونصيحته العامة : إرشادهم لمصالحهم، والنصح : إرادة الخير لمن ينصحه بإخلاص، وهى كلمة جامعة، يقال : نصحته، ونصحت له .

(٧) **(وأعظمهم عنده منزلة)** أى : رتبة وشرفا .

(٨) **(أحسنهم مواساة)** لكل أحد، لأن حذف المتعلق يفيد العموم، والمواساة: إعطاء من يريد ما يريد، وبذله له، يقال : آساه، وواساه بواو مبدلة من الهمزة : إذا جعله أسوة له .

(٩) **(ومؤازرة)** أى : إعانة لمن التجأ اليه. يقال: آزره، ووازره، إذا أعانه، وقواه، وساعده، من الأزر، وهو الظهر لأن قوة البدن به، أو من الوزر، وهو الملجأ، ومنه : الوزير، وفى الحديث : «ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر، واسانى بنفسه وماله» . وهذا يدل على أنه أفضل الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ قال الحسين ﷺ :

(١٠) **(فسألته)** يعنى : علياً والده ـ رضى الله عنهما .

(١١) **(عن مجلسه)** أى : عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس، ومعاملته لهم فيه، ولذا ردفه بقوله :

(١٢) **(ما كان يصنع فيه؟ فقال : كان لا يقوم)** من مجلسه .

(١٣) **(إلا على ذكر)** لله يجعله ﷺ ختام مجلسه، فكان إذا قام منه قال : «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت» فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة إذا أطلق أريد به ذكر الله تعالى، وإن كان عاما . وقال التلمسانى ـ رحمه الله تعالى : وقد تهمل ذاله قليلا، فقيل : إنها لثغة، وقيل : لغة، ولا دليل لقائله فى نحو :

﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : 17] فإنه مغالطة .

(١٤) **(ولا يوطن)** بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الظاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة، كما فى بعض الشروح، وفى بعضها: إنه بالكسر، من : أوطنه، ووطنه، إذا اتخذه وطنا .

(١٥) **(الأماكن)** جمع أمكن، أو أمكنة، جمع مكان، فهو جمع الجمع، ففى ميمه خلاف هل هى أصلية، أو زائدة .

(١٦) **(وينهى عن إيطانها)** أى : اتخاذها وطنا، والمراد : ملازمة محل بخصوصه فى غير بيته مما ليس

وإذَا انْتهَى [1] إلى قومْ[2] جَلَسَ حَيثُ ينْتُهى بِه الْمَجلْسِ[3]، وَيأْمُرُ [4] بِذلِكَ[5]، ويعْطى كلُّ[6] جُلَسِائه نصيبَهُ[7]، حَتّى لا يحْسِبُ[8] جَلِيسُهُ انّ أحّداً أكرمَ عَلَيه مْنُه[9]، مَنْ جَالسَهَ او قاوَمَهُ لِحاجَةِ[10]، سايَرُه[11] حَتَّى يكونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ [12]، مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةٍ لَمْ يرُدَّهُ إلاّ بِهَا[13]، أو بمِيسَوُرٍ مِنَ القَوْلِ[14]، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ[1]، بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ

بملك، كالمسجد، وغيره من الأماكن المباحة؛ لأن لكل أحد حقا فيه، والنهى الوارد عنه ﷺ إنما هو فى حق المسجد بأن يتخذ مصلى معينا منه، ولذا نص الفقهاء على كراهة إرسال السجادة للجامع، وفرشها فيه، وفى الحديث : نهى النبى ﷺ أن يوطن الرجل المكان بالمسجد، قيل : وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن ألف مكانا للإفتاء والتدريس، فله إيطانه، وإقامة غيره منه إذا كان من لا يعرفه يأتى لاستفتائه، فيعرفه فى مكانه، وقوله : إيطانها يؤيد أن يوطن مخفف ولا يعنيه، كما قيل، لأنه يجوز أن يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر، أو اسم فاعل، أو مفعول، واسم مكان وغيره من باب آخر، نحو ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل : 8] وقوله :

وداع دعـــا مـــن يجيـــب الى لنـــدا فلـــم يســـتجبه عنـــد ذاك مجيـــب

ويجوز فى نحو : أجراه مجراه ضمن الميم وفتحها، وقد تكون المغايرة أبلغ، وأكثر معنى، وهذا مما ينبغى التنبيه له .

(١) (**وإذا انتهى**) مشيه قاصداً .

(٢) (**إلى القوم**) الذين يريد الجلوس معهم .

(٣) (**جلس حيث ينتهى به المجلس**) أى : فى أى مكان خال منه، من غير تصدر على أصحابه ﷺ، وينتهى من النهاية؛ لأنه نهاية محل الجالسين فيه .

(٤) (**ويأمر**) أصحابه .

(٥) (**بذلك**) تشعريها وتأديبا، فعلم أن تحرى الصدر مكروه شرعا، لما فيه من الكبر والترفع على أصحابه، لا سيما اذا لم تطب أنفسهم بذلك، فيتأذون به، فإنه قد يحرم، كما يفعله علماء السوء فى زماننا .

(٦) (**ويعطى كل**) أحد من :

(٧) (**جلسائه نصيبه**) أى : ما يستحقه من ملاطفته، ومجاوبة سؤاله، وبشره ﷺ له .

(٨) (**حتى لا يحسب**) أى : يظن .

(٩) (**جليسه أن أحدا أكرم عليه منه**) أى : يظن أنه أكرم الناس، وأجلهم عنده، لما يرى من لطفه به، فهو كقولهم: ليس فى البلد أعلم منه، كما مر تحقيقه، فهو غاية لذلك الإعطاء .

(١٠) (**من جالسه او قاومه فى حاجة**) أى : من حادثه، أو قام مع قيامه لغرض حاجته، أو لغير ذلك، فهى مفاعلة من الجلوس والقيام .

(١١) (**صابره**) أى : صبر عليه، أو صبر مقدار صبره، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو، كل ذلك لاشتمامهم وتطييب قلوبهم، فلا يمل حتى يملوا .

(١٢) (**حتى يكون هو المنصرف عنه**) والحصر بتعريف الطرفين فى محزه هنا.

(١٣) (**من سأله حاجة لم يرده إلا بها**) أى : رده رسول الله ﷺ مقضى الحاجة غير خائب .

(١٤) (**أو بميسور من القول**) أى : أو رده بقول لين سهل لا غلظة فيه، كوعده، وقد تقدم بيانه .

[٢]، فَصَارَ لَهُمْ أباً[٣] وصاروا عندَهُ فى الحَقِّ مُتَقارِبين[٤]، مفُاَضَلِين فيه بالتَّقْوَى [٥]، وفى الرَّوَاية الأخرى: صَارُوا عَنْدُه فى الحقِّ سَواء[٦]، مَجْلِسهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ، وَحَياءٍ [٧]، وَصَبَر، وأمانةٍ، لا تُرْفَعُ فيهِ الأصواتُ[٨]، ولا تُؤبَنُ فيه الحُرَمُ[٩]، ولا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ[١٠] (وهذه الكلمة[١١] من غير الرَّوَايتين[١٢] يتَعَاطَفون بالَّتقوى[١]، مُتَوَاضعين[٢]، يوقِّرون

---

(١) (**قد وسع الناس**) بالنصب مفعول وسع .

(٢) (**بسطه وخلقه**) بإضافته لضميره، ورفعه على الفاعلية، أى : عمهم بسطه، أى : بسط يده ﷺ، وسماحته، أى : بشره،وطلاقة وجهه، وإبداء سروره، وحسن خلقه، فشبهه بمكان متسع رحب، وأثبت له السعة . والبسط بهذا المعنى مسموع، وليس لغة مولدة كما يتوهم، كما ذكره المصنف ـ رحمه الله ـ فى «المشارق» وتقدم فى الحديث عنه ﷺ : «فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها» .

(٣) (**فصار لهم أبا**) أى : بمنزلة الأب فى البر، والصلة، وقصد الخير، وفيه دليل على أنه يجوز أن يقال أنه ﷺ أبو المؤمنين، كما يقال لزوجاته ـ رضى الله عنهن ـ أمهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : 40] لأن نفى الحقيقة لا ينافى المجاز كما سيأتى .

(٤) (**وصاروا عنده فى الحقّ متقاربين**) أى : يقرب بعضهم من بعض إذا كانوا على الحق، أو فى أداء حقوقهم ، أى : فى أصل الحق، فلا ينافيه قوله :

(٥) (**متفاضلين فيه بالتقوى**) أى : بحسب مراتبهم فى تقوى الله، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : 13] وقال ﷺ :

(٦) (**أنزلوا الناس منازلهم**) وسيأتى فى الرواية الأخرى : وصاروا فى الحق سواء، فلا ينافيه هذه الرواية ولا أن بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث : «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإن تساووا هلكوا» وصاروا كأسنان المشط، ليس فيهم فضلاء أو تنافسوا فى الفضائل، فأنكروا فضل بعضهم على بعض. وما عبر الإنسان عن فضل نفسه كمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل : (وفى الرواية الأخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بيناه .

(٧) (**مجلسه مجلس حلم وحياء**) أى : يظهر فيه حلمه عليهم، وحلمه على غيرهم، بحيث لا يستفزه الغضب، وهم مظهرون للحياء، لا يرفعون رؤوسهم وأصواتهم، ولا يرتكبون ما لا ينبغى قولا وفعلا . قيل : ولو= قدم هذا ، وأدرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان أحسن . قلت ما بالعهد من قدم .

(٨) (**وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات**) احتراما له ﷺ، ولو قارهم، وأدبهم .

(٩) (**ولا تؤبن فيه الحرم**) كالكبر، جمع حرمة، وهى ما لا يحل، والمراد : النساء، لحرمة النظر لهن ونحوه، أى : لا تذكرن بسوء من ابنته، فابنته إذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن، وهى عقد فى القسى تعاب بها، أى : لا تذكر فيه النساء لأنها رفث من القول، أو لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة، وسيأتى تفسيره .

(١٠) (**ولا تنثى فلتاته**) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء، وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة، وهذا هو الموافق لما سيأتى، وروى ولا يثنى بتقديم المثلثة على النون، أى : لا تعاد . والفلتات، بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون، ويجوز تسكين لام فلتات، ويجوز ضم فاء فلتة، كما قاله التلمسانى، وهى : الزلة، أى : القبيح الذى يقع بغتة، والمراد : إنه لا فلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر، فيعاد ذكرها، فنفى الشىء بذكر لازمه، لأنها لو وقعت ذكرت، كقوله : ولا ترى الضب بها ينجحر .

(١١) (**وهذه الكلمة**) أى : قوله لا تنثى فلتاته .

(١٢) (**من غير الروايتين**) رواية الحسن عن خاله، ورواية الحسين عن أبيه، ويجوز أن يراد ظاهره، أى : أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر، بل تستر .

فيه[٣] الكَبير[٤]، وَيرحمُونَ الصَّغير[٥]وَيرْفِدُون[٦] ذا الحاجة[٧]، ويرحمونَ الغريب[٨] .فسألْتُهُ عن سيرته ﷺ فى جُلَسائِهِ؟ فقال : كانَ رسول الله ﷺ دائم البِشْرِ[٩]، سَهْلَ الخُلُقِ[١٠]، لين الجانِبَ[١١]، لَيسَ بِفَظٍّ[١٢] ولا غَلِيظٍ[١٣]ولا سَحابٍ[١٤]، ولا فَحَّاشٍ[١٥]، ولا عَيَّابٍ[١٦]، ولا مَدَّاحٍ[١٧]، يتَغَافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهى[١٨]، ولا يُؤْيسُ مِنْهُ[١٩]، قَد تَرَكَ نَفَسَهُ مِنْ

---

(١) (**يتعاطفون بالتقوى**) أى : يعطف يعطهم على بعض، ويشفق عليه، ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء ولا سمعة ولا خوفا، واتقاء شر، فالباء سببية، كقوله تعالى : ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : 29] .

(٢) (**متواضعين**) أى : يتواضع بعضهم لبعض، لا يتكبر أحد على أحد، فيخدمه، ويخفض جناحه له.

(٣) (**يوقرون فيه**) أى : فى المجلس .

(٤) (**الكبير**) سناً .

(٥) (**ويرحمون الصغير**) شققة عليه، ورأفة، وهو مفتوح الصاد، ويكسر فى لغة رديئة .

(٦) (**ويرفدون**) بفتح المثناة التحتية وضمها، أى : يعينون، ويواسون، يقال : رفده يرفده بالكسر،وأرفده بمعنى.

(٧) (**ذا الحاجة**) أى : كل من كانت له حاجة، ومسألة لهم أو له ﷺ أعانوه بقضائها، أو إبلاغها، أو الشفاعة، ويجوز أن يراد به الفقير المحتاج .

(٨) (**ويرحمون الغريب**) أى : يشفقون عليه، ويعطفون تأنيسا له، وإزالة لوحشة غربته، قال الحسين :

(٩) (**فسألته عن سيرته ﷺ فى جلسائه، فقال : كان ﷺ دائم البشر**) أى : طلاقة الوجه، وبشاشته، وإظهار السرور فى مجالسه العامة، وهذا لا ينافى ما مر من قوله : دائم الأحزان، كما مر، فتذكره .

(١٠) (**سهل الخلق**) أى : خلقه، وسجيته السهولة، وعدم الشدة فى أقواله وأفعاله، وقد جاء رسول الله ﷺ بالملة السمحة السهلة .

(١١) (**لين الجانب**) بتشديد الياء وسكونها، أى : لا غلظة فيه، ولا جفاء، متذللا، متواضعا .

(١٢) (**بفظ**) الفظ : سيئ الخلق .

(١٣) (**غليظ**) أى : شديد متوعد لأحد، ممسك عنه لطفه، ورفده .

(١٤) (**ولا صخاب**) بالصاد والسين، أى : لا يرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها .

(١٥) (**ولا فحاش**) أى : لا يتكلم بقبيح، كالشتم .

(١٦) (**ولا عياب**) أى : ذكر العيوب بالناس، ونقائصهم .

(١٧) (**ولا مداح**) أى : لا يكثر المدح لغيره، ويطريه بمبالغة قوة ما فيه، وإن كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر، وذكر هذه بصيغة المبالغة إشارة إلى أنه قد يصدر قليلها أحيانا منه ﷺ لمقتضى الحال، ومثله لايعاب، والمدح : إنما يذم إذا كان زيادة عن حده لأنه كذب ومداهنة، وأما مدح من يستحق المدح بما إذا لم يلزمه محذور فأمر حسن، ألاترى إلى قوله ﷺ : «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالم لرجح» وقوله لعمر ﷺ : «لو أبعث لبعثت أنت ياعمر» فأى مدح يزيد على هذا؟! لكنه صدق ناشئ عن بصيرة، ولا يورثهم ذلك إعجابا، ولا فتورا، وما من شىءإلا وهو ممدوح من وجه مذموم من آخر .

(١٨) (**يتغافل عما لا يشتهى**) أى : يتغافل عما ليس بمنكر شرعا، لكنه غير مستحسن عادة أو طبعا، إذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه، ولم يقر عليه، وهذا من مكارم الاخلاق، كما قال أبو فراس :

ليس الغبى بسيد فى قومه ... لكن سيد قومه المتغابى

(١٩) (**ولا يؤيس منه**) قال فى «المقتفى» : يؤيس بضم أوله وسكون الواو وهمزة مكسورة، وهى ترسم ياء، ويجوز فتحها على أنه مبنى للفاعل أو المفعول، وهو من اليأس، ضد الرجاء، يعنى : إذا سئل

ثَلاثٍ[1] : الريِّاء، والإكثارِ، وما لا يعنيه[2]، وتَركَ النَّاسِ مَن ثـلاثٍ[3] : كانَ لا يذُمُّ أحداً[4]، ولا يعَيرُه[5] ولا يطلبُ عَوْرَتَـه[6] ، ولا يـتكَلَّمُ إلا فيـما يرْجـو ثَوابُـه [7] إذا تكلَّـمَ أطْـرقَ جُلسَـاؤهُ[8]، كـأنَّما رُؤُوسـهِمُ الـطَّيرُ[9]، وإذا سـكَتَ : تَكَلَّمـوا[10]، لا يتَنـازَعون عِنْـدِه الحـديثَ[11] مـن تكَـــــــلَّم

رسول الله ﷺ عما لا يليق تغافل عنه، ولم يرد السائل حتى ييأس، أو يبين لـه أنـه سـأل مـا لا يليـق، فيخجل سائله .

(١) (**وقد ترك نفسه من ثلاث)** أى : نزهها عنه، ومنعها، وقيل فيه : قلب، أى ترك ثلاثا من نفسه .

(٢) **(الرياء والإكثار وما لا يعنيه)** بفتح المثناة التحتية، أى : يهمه، وهى بدل من ثلاث مبينة لها والريـاء: إظهار ما فيه من الصفات الحميدة والأفعال الجميلة للناس حتى يحمد بهـا، ويشـيع، وهـو الشـرك الأصغر، وهو ﷺ منزه عنه بلا شبهة . فإن قلت : كونه غير ثابت لـه أمـر ظـاهر الآنتفـاء عنـه، فـما الحاجة لذكره؟

قلت : كأنه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يحبه ، من غير أن يقنط راجيه، يعنـى : إنـه لم يقل أنا لا أحب هذا، فلذا لم أجبك عنه، حتى يتوهم أنه سيفعله لما فيه من الرياء، ولذا قال :

(٣) **(وترك الناس من ثلاث)** أى: أبعدهم عنها، أو ترك ذكر الناس، ونحوه مـن أجـل ثـلاث تضـمنها قوله :

(٤) **(كان لا يذم أحدا)** من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله .

(٥) **(ولا يعيره)** بعين مهملة، يقال: عيره كذا أو بكذا، أى : ذكر ما فيه بما هو عار عليـه وعيـب فيـه قـد سلف منه، فالفرق بينه وبين ما قبله أنه أخص منه، وليس عينه حتى لا تكون أمور النـاس المتروكـة أربعة، كما ذكره التلمسانى ـ رحمه الله تعالى .

(٦) **(ولا يطلب عورته)** أى : لا يتجسس عن معايب الناس، ويبحث عنها، كما كان ﷺ يفعل مع المؤلفـة قلوبهم، وأصل العورة : الخلل، وما يجب ستره، كما فى حـديث أبـى داود : «يـا معشرـ مـن أسـلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لاتؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عـوراتهم، فـإن مـن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته» . وهذا كما قيل فى المثل : كل من عيَّر ابتلى، وهذا إذا لم يلـزم إظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه، وقوله :

(٧) **(ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه)** صفة أخرى مرتبطة بما قبلها، وليست من الثلاث، وهـذا كنصـيحة الأمة، وإرشادهم، وتعليم الخير والتبليغ .

(٨) **(إذا تكلم أطرق جلساؤه)** أى : خفضوا رؤوسهم تأدبا وإنصاتا .

(٩) (**كأنما على رؤوسهم الطير)** أى: بسكون ووقار مـن غير طيـش وخفـة؛لأن الـطير لا تقـع إلا عـلى ساكن، وهذا مثل مشهور .

(١٠) **(واذا سكت تكلموا)** فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه ﷺ وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه، مراعاة لعظيم قدره.

(١١) **(لا يتنازعون عنده الحديث)** أى : إذا كانوا فى مجلسه ﷺ لا يديرون الحديث بينهم، فحدث بعضهم بعضا، كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد، وهذا بيان لقوله : تكلموا أو أن المراد يتكلمون مع النبىﷺ بسؤالهم له، ونحوه من مهماتهم؛ لأنهم يـديرون الحـديث بيـنهم، وهـذا هـو معنـى تنـازع الحديث فى كلامهم، ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب، لعدم مناسبته للمقـام، ولا يخفى أنه لا معنى لقولك : تخاصموا الحـديث، إلا بتأويـل، أى : تخاصـموا فى الحـديث، وهـو ركيك، قال امرؤ القيس :

فلـــما تنازعنـــا الحـــديث وآســـمحت هصرت بغصن ذى شـماريخ ميـال

قـال ابـن السـيد فى «شرح أدب الكاتـب» : تنازعنـا الحـديث، أى: تـداولناه، فحـدثتنى مـرة،

عِنْـــدَه [1] أنْصَتـــوا لـه، حتَّـى يفْـــرُغَ [2] مِـــنْ كلامَـهِ[3]، حَدِيثُهُم حدَيثُ أوَّلهم[4] يضْحَكُ [5] ممَّا يضْحَكُونَ مِنْهُ[6]، ويتَعَجَّبُ ممَّا يتَعَجَّبونَ مْنهُ[7] وَيصْبر للغْرَيب عـلى الجَفْـوة [8] فى المنطـق[9]،وَيقـولُ وَيقـولُ: [1] إذا رأَيـتم صَـاحَب

وحدثتها أخرى، وها هنا بحث، وهو أن سيبويه قال فى كتابه :لا تقول : تفاعلت إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا، ولا يجوز أن يتعدى لمفعول ينصبه، وفى تفاعلنا تلفظ بالعين الذى فى فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا، وقد يجيء تفاعلت على غير هذا كتقاضيته، انتهى . فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول إلا إذا كان لواحد لأن تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الإتراك، تقول : ضاربنى زيد، فتأتى بفاعل ومفعول، فإذا قلت : تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره، وليس تنازعنا كذلك؛ لأن نازع يتعدى لمفعولين، تقول : نازعته الحديث، فإذا قلت: تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى، لأن تنازع لم يتضمنه، كذا قاله ابن السيد فى «المقتضب شرح أدب الكاتب» .

أقول : فى كلام سيبويه حينئذ قصور؛ لأنه كان عليه أن يقول : إن باب تفاعل بمعناه الأصلى ينقص عن فاعل مفعولا، فإن كان متعديا لواحد كان لازما، وإن كان متعديا لاثنين تعدى كما= =ذكره بعض النحاة فإطلاقه لا ينبغى، وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين، فقال : قال ثعلب : يقال فلان متعهد ضيعته، ولا يقال متعاهدها، قال ابن درستويه: إنما أنكرها لأنها على وزن يتفاعل، وهو عند أصحابه لا يكون إلا من اثنين، ولا يكون عندهم متعديا لمفعول، مثل : تقاتلا، وتعاملا، وهو غلط؛ لأن تفاعل قد يكون لواحد، ويكون متعديا كقول امرئ القيس :

تجاوزت أحراساً وأهوال معشر ... على حراص لو يسرون مقتلى

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله: فلما تنازعنا الحديث...إلخ، قال الخليل : التعاهد والتعهد : الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين، انتهى. والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع، كقوله ﷺ لمن قرأ خلفه : «ما لى أنازع القرآن؟!» .

(١) **(من تكلم عنده)** أى : فى مجلسه ﷺ من الصحابة، أو غيرهم .

(٢) **(أنصتوا له حتى يفرغ)** من حديثه، وفى بعض النسخ .

(٣) **(من كلامه)** وأنصت يكون لازما بمعنى سكت، ومتعديا، يقال : أنصته، إذا أسكته .

(٤) **(حديثهم حديث أولهم)** مبتدأوخبر، أو حديثهم فاعل يتفرغ، فجمع الضمير، وهو من رعايته للمعنى، وحديث أولهم بدل منه، أى : لا يقطع كلام من تقدم بكلام آخر، ولا يخاصم، فهذا فى معنى لا يتنازعون، وهو مرتبط بما قبله، فإن كان مبتدأ بدليل رواية : من كلامه، فهو تشبيه، أى : حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله، يعنى : أنه لا حديث له معه يقطعه، كقوله ﷺ : «ذكاة الجنين ذكاة أمه»وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بأنصتوا .

(٥) **(ويضحك)** ﷺ .

(٦) **(مما يضحكون منه)** أى : الصحابة ـ رضى الله عنهم .

(٧) **(ويتعجب مما يتعجبون)** لأنه من حسن الصحبة أن يسرك ما يسره، ويرضيك ما يرضيه، وهم على نهج واحد، وطبائعهم سليمة، فلا يضحكون، ويعجبون من غير مقتض، فلا يقال : إنه يلزم من ضحك أحد وتعجبه فعل غيره مثله؛ لأنه أمر طبيعى، وهذا فى أحيان قليلة، فلا ينافى قوله السابق : «كأنما على رؤوسهم الطير» .

(٨) **(ويصبر للغريب على الجفوة)** أى : الغلظة، وتكلمه بما يؤلم .

(٩) **(فى المنطق)** أى: فى تكلمه مع النبى ﷺ كتحليف الأعرابى له ﷺ وقوله له : آلله أرسلك بهذا؟ وإنما

الحاجَةٍ يطلُبُها، فأرْفِدُوهُ[٢] ولا يطْلُب الثَّناءَ[٣] إلاَّ من مُكَافئ[٤]، ولا يقْطَعُ على أحدٍ حديثَهُ حَتَّى يتَجوَّزَه[٥]، فَيقْطَعَه بانتهاء[٦] أو قيامٍ[٧] هُنا انتهى حديث سُفْيان بن وَكِيع [٨]، وزادَ الآخرَ[٩] :

قُلتُ [١٠] : كيفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ؟ قال : كان سُكُوتُهُ عَلَى أرْبَعٍ : على الحِلْمِ، والحَذَرِ، والتَّقْديرِ، والتَّفكُر[١١]، فَأماتقديره[١٢] : فَفي تسويةِ النَّظر[١٣] والاستمتاعِ[١٤] بينَ الناس[١٥] . وأَمَّا تَفكرُهُ : ففيما يبْقى، ويفْنى[١٦] وجُمِعَ [١] لَهُ[٢]الحِلْمُ

قيل بالغريب لأنه معذور لا يعرف أحواله، وهذا من مكارمه ومعاملة كل أحد بما يليق به، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم .

(١) (**ويقول**) ﷺ لأصحابه .

(٢) (**إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه**) بوصل الهمزة وقطعها، من رفده، وأرفده، إذا أعانه، وأعطاه، لأن الرفد العطية، والإرفاد : الإعانة، وكل منهما قابل هنا .

(٣) (**ولا يطلب الثناء**) بمعنى : يقبله، كما ورد فى رواية، فهو مجاز مرسل، أو استعارة، والثناء : الذكر الحسن الجميل والمدح .

(٤) (**إلا من مكافئ**) بالهمزة، اختلف فى تقسيره، أى : ممن أثنى جزاء على نعمة وإحسان تقدم له منه، وقد صرح به فى بعض الروايات بقوله : عن يد، ولا يرد عليه أن النبى ﷺ رحمة عامة، مامن أحد إلا وله عنده يد ، فالصواب تفسيره بمسلم، أى : غير متجاوز فى المدح، مطر، لأن القرينة قائمة على أن المراد نعمة حادثة خاصة .

(٥) (**ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه**) أى : يخففه، يقال : تجوز فى الصلاة، إذا أسرع، وخفف .

(٦) (**فيقطعه بانتهاء**) أى : إتمام لحديثه، وبه ينقطع الكلام .

(٧) (**أو قيام**) من المجلس؛ لأنه انقطع كلامه . فمضى لشاته .

(٨) (**هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع**) السابق ذكره .

(٩) (**وزاد الأخرى**) أى : صاحب الرواية الأخرى .

(١٠) (**قلت**) القائل أحد السبطين ـ رضى الله عنهما ـ كما مر .

(١١) (**كيف كان سكوته ﷺ؟ قال : سكوته على أربع على الحلم والحذر، والتقدير والتفكر**) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما، وقد تقدم، لم يفسره، وقال :

(١٢) (**فأما تقديره**) أى : بم ينظر مقداره إذا صدر منه، أو من غيره ممن يقتدى به .

(١٣) (**ففي تسوية النظر**) فى الأمور، وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والأخروية .

(١٤) (**والاستمتاع**) أى : استمتاع الناس بهﷺ، أو بأمورهم فيما بينهم، ومعنى الاستمتاع : الانتفاع، وقوله :

(١٥) (**بين الناس**) متعلق بالتسوية، وهى جعلهم متساوين، وليس المراد تساويهم حقيقة، بل أن يكون لكل أحد مقادر يليق به .

(١٦) (**وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى**) أى : فى أمور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة .
فإن قلت : كيف يعلم هذا وهو أمر مضمر فى نفسه ﷺ لا يطلع عليه إلا الله؟
قلت : هذا بطريق الاستدلال العقلى والفراسة الصادقة، الشاهد لها ما يظهر من آثاره، ويتعلق به

ﷺ (فى الصَّبْر[٣]، فكانَ لا يغْضبُه شَىءٌ [٤] يسْتَفَّزة[٥]، وَجُمِعَ لَهُ فى الحَذَرِ[٦] أرْبَعٌ [٧]: أخْذُهُ بِالحَسَنِ [٨] لُيقْتَدَى به [٩]، وَتَرْكُهُ القبيحَ [١٠] لينتهَى عَنه[١١]، واجتهادُ الرَّأى [١٢] بما أصلَحَ أُمتَّهَ[١٣]، والقِيام لَهُمْ[١٤] بمَا جَمَعَ لَهُمْ أمرَ الُدنْيا والآخِرَة[١٥] . انتهى الوصف بِحمدِ الله وعونه .

16ـ تعويد الطفل عدم التقدم على النبى ﷺ لا بالقول ولا بالفعل :

روى البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان مع رسول الله ﷺ فى سفر، فكان على بكر (أى : جمل) صعب، وكان يتقدم النبى ﷺ، فيقول له أبوه : لا يتقدم النبى ﷺ أحد، فقال له النبى ﷺ : «بعنيه» فقال عمر : هو لك يارسول الله!،

إذا تكلم، فإن الظاهر عنوان الباطل .

(١) (**وجمع**) بالبناء للفعول، أى : جمع الله .

(٢) (**له**) وكذا ما سيأتى بعده الحلم باللام، أى : جمع له سائر جزئيات الحلم، المختص كل حليم ببعض منه، وفى بعض النسخ : الحكم بالكاف، وله وجه .

(٣) (**فى الصبر**) أى : مع الصبر على أمور الناس والأمة، فكان رسول الله ﷺ مع حلمه صابرا لا يضجر، ولا يقلق، كما أشار إليه بقوله :

(٤) (**فكان لا يغضبه شىء**) مما يتعلق به فى نفسه، وإن كان قد يغضب لله .

(٥) (**ولا يستفزه**) بكسر الفاء وتشديد الزاى المعجمة، أى : يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمور الدنيا والأعداء .

(٦) (**وجمع له فى الحذر**) أى : فى حال حذره، واحتراسه من الناس، أو مع ذلك .

(٧) (**أربع**) نائب الفاعل .

(٨) (**أخذه بالحسن**) وفى بعض النسخ : ترك قوله: أربع، وهو مرفوع نائب الفاعل، أو منصوب مفعول لأجله، أى : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(٩) (**ليقتدى به**) ويتبعه الناس .

(١٠) (**وتركه القبيح**) شرعا، وخلاف الأولى .

(١١) (**لينتهى عنه**) علة للترك، أى : لينتهى الناس عنه .

(١٢) (**واجتهاد الرأى**) أى : اجتهاده ﷺ فيما يراه رأيا .

(١٣) (**بما أصلح أمته**) أى : فيما يصلحهم، أو بسببه .

(١٤) (**والقيام لهم**) أى : الأمة .

(١٥) (**بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة**) فى المعاش والمعاد، ومعنى القيام : التعهد،والالتزام، والاجتهاد، وبذل ما فى وسعه وطاقته من إصلاحهم، أو هو بمعناه المصطلح، بناء على جواز اجتهاده ﷺ،وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصوال، قال الأبى فى «شرح مسلم» نقلا عن المصنف : لا خلاف أنه ﷺ كان يجتهد فى أمور الدنيا، ويرجع إلى رأى غيره فى ذلك، كما فعل فى تلقيح النخل، واختلف فى أنهﷺ : هل له أن يجتهد فى الشرعيات، وهل هو معصوم فى اجتهاده أم لا؟ الصواب : أنه له ذلك معصوم وتفصيله فى أصول الفقه فلا حاجة للتطويل به .

فقال النبى ﷺ : «هو لك ياعبد الله بن عمر!، فاصنع به ما شئت» .

فمن واجب بالأب أن يعلم أبناءه الاحترام والتوقير لرسول الله ﷺ فى كل شىء، فلا يرفع الابن صوته عندما يسمع حديث رسول الله ﷺ يتلى ويقرأ فى المجلس أو الدرس أو البيت، ويعلم الابن كذلك الطهارة لقراءة أو سماع حديث رسول الله ﷺ أدبا معه ﷺ . ويتعلم أن يقول : سمعا وطاعة لرسول الله ﷺ . فإذا فعل الطفل ذلك بشر بحب رسول الله ﷺ له، وإذا كان رسول الله ﷺ قد كافأ عبد الله بن عمر الجمل، فإن مكافأة رسول الله ﷺ لمن يلتزم محبته وتوقيره من الأطفال يوم القيامة الشفاعة والقرب منه ﷺ .

17ـ تعليم الطفل الاستجابة للأذان ثم الصلاة على النبى ﷺ عقب الأذان ثم دعاء الوسيلة :

روى مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود والإمام أحمد كلهم عن الصحابى الصغير عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» .

18ـ تعليم الطفل التشهد فى الصلاة والصلوات الإبراهيمية :

روى مسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول : التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله وفى رواية كما يعلمنا

القرآن . ورواه الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد .

الأساس العقدى الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم :

القرآن الكريم مصدر العقيدة الإسلامية، على مدار الزمان وإلى يوم القيامة، وكتب العقيدة بحثت فى أمور عقدية حسب المشاكل التى تثار فى كل عصر، ولهذا فإن ربط قلب الطفل بالقرآن وتغذيته به، يعنى ربطه بالكلام المعجز، مما يزيده قوة عقدية، وقوة فكرية، والقرآن تنقسم معانيه لموضوعين اثنين :

1 ـ **العقيدة** : هى كل ما أخبر القرآن فيه عن الغيب : الإيمان بالله تعالى وصفاته، واليوم الآخر، والملائكة، والجن، والقبر، وقصص الأنبياء والرسل السابقين، فكل الإخبارات القرآنية هى عقيدة إسلامية .

2 ـ وهى كل أمر ونهى ورد فى القرآن ، فإنما يمثل تشريعا، وهذا التشريع الذى دليله القرآن يعتبر من العقيدة لأن الآمر والناهى فيه هو الله تعالى، وأما استنباط الحكم الشرعى من الأمر والنهى، فهو تشريع .

فترسيخ معانى القرآن فى الطفل، وربطه بالقرآن، تبنى فى نفسه العقيدة الإسلامية، وتعليم الطفل التحاكم إلى القرآن يبنى فيه العقلية الإسلامية، التى تساعده على معرفة الحق من الباطل، والكفر من الإيمان .

فمثلا : نظرية دارون أن أصل الإنسان قرد، تعاكس ما جاء فى القرآن أن الله تعالى خلق آدم فى الجنة، ثم أهبطه إلى الأرض، فالإيمان بما أخبر القرآن يمثل عقيدة، ومحاكمة نظرية دارون القرآن يمثل بناء العقلية الإسلامية فى الطفل .

و«ينبغى لولى الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن، منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى وتسرى روح القرآن فى قلوبهم، ونوره فى أفكارهم، ومداركهم، وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ

الصغر، وأن ينشآ ويشبا على محبة القرآن ، والتعليق به، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه .

قال الحافظ السيوطى : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال[1] .

وأكد ابن خلدون[2] هذا المفهوم بقوله : تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم، الذى ينبنى عليه، ما يحصل بعد من الملكات .

كذلك قال ابن سينا[3]: «فإذا تهيأ الصبى للتلقين، ووعى سمعه، أخذ فى تعليم القرآن، وصورت له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين» .

1ـ ما ورد فى تعليم الأطفال القرآن الكريم :

أخرج الطبرانى وابن النجار عن على ـ كرم الله وجهه ـ أن النبى ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه» [4] .

وروى الحاكم ـ بسند ضعيف[5] ـ عن أبى ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله ختم سورة البقرة بآيتين، أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش، فتعلموهن، وعلموهن نساءكم، وأبناءكم، فإنها صلاة وقرآن ودعاء**» .

وذكر الحافظ ابن عساكر واسنده ـ كما فى تفسير ابن كثير ـ إلى أبى ظبية قال :

---

(١) نقلا عن : (تلاوة القرآن المجيد) للشيخ عبد الله سراج الدين .
(٢) فى مقدمته (ص397) .
(٣) فى كتاب : (السياسة) باب: سياسة الرجل ولده .
(٤) ورمز السيوطى لضعفه فى الجامع الصغى . انظر : فيض القدير للمناوى (1/ 25) .
(٥) انظر : ضعيف الجامع (1601) .

مرض عبد الله (بن مسعود) ﷺ مرضه الذى توفى فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكى؟ قال : ذنوبى، قال : فما تشتهى؟ قال : رحمة ربى، قال : لا آمر لك بطبيب؟ قال : الطبيب أمرضنى، قال : ألا آمر لك بعطاء؟ قال : لا حاجة لى فيه، قال : يكون لبناتك من بعدك، قال : أتخشى على بناتى الفقر؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»[1]. وقال ابن كثير فى تفسيره : وكذا رواه أبو يعلى .

وكان من حرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى توجيه أبنائهم دقة الملاحظة فى مراقبة أفعال أطفالهم مع القرآن، وحكاية ذلك للنبى ﷺ، للتعرف على ما ينفع أطفالهم :

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا جاء بابن له فقال : يارسول الله، إن ابنى يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت الليل، فقال رسول الله ﷺ : «ما تنقم أن ابنك يظل ذاكرًا، ويبيت سالماً»[2] .

بل إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى للكبير والصغير، والذكر والأنثى :

فعن أبى بن كعب ﷺ قال : لقى رسول الله ﷺ جبريل، فقال : «يا جبريل، إنى بعثت إلى أمة أميين، فيهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط» قال : «يا محمد، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» . رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

فبين الرسول ﷺ أنه بعث للصغير كما بعث للكبير، فمما يسره الله ـ تعالى ـ على العرب أن أنزل كتابه على سبعة أحرف ولهجات عربية، وذلك حتى لا يصعب على الصغير تعلمه، ولا يجد الكبير حرجا فى قراءته، وما ذلك إلا رحمة من الله ـ تعالى، وتيسيرًا لعباده .

(١)رواة ابن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (685) وأبو عبيد فى كتاب فضائل القرآن ص 257.
(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (2/ 270) : وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام .

وانطلق الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعلمون ابناءهم القرآن، استجابة لتوجيهات النبى ﷺ : فعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما ـ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «خياركم من تعلم القرآن وعلمه» . قال : وأخذ بيدى فأقعدنى مقعدى هذا أقرأ . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 136) بسند ضعيف، إلا أن متن الحديث صحيح، رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى .

ونرى نصح الصحابة للناس بهذا القرآن، وتنشئة أطفالهم على حبه وتلاوته، فقد ذكر ابن كثير فى تفسيره : أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال لرجل :ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال : بلى، اقرأ «تبارك الذى بيده الملك» وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة، تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ : «لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى» [1].

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : عليكم بالقرآن، فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل [2].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : «جردوا القرآن ، ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة»[3] .

وشرحه الزمخشرى فى كتابه الفائق بقوله : «أى : خصوا القرآن بأن ينشأ على

(١) وروى أبو الشيخ باسناد حسن مرفوعا: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر» وفى رواية الترمذى، وقال : حديث حسن صحيح : «هى المانعة، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1140) .

(٢) رواه أبو عبيد بن سلام بسنده فى كتابه (فضائل القرآن) تحقيق : مروان العطية ورفيقيه، طبع دار ابن كثير، ص(53) .

(٣) المصدر السابق ص(76) .

تعلمه صغاركم، وبألا يتباعد عن تلاوته وتدبره كباركم، فإن الشيطان لا يقر فى مكان يقرأ فيه» [1] .

فإن شاهد الطفل والديه يقرؤون القرآن اقترب منهم، وأراد أن يشاركهم، وإذا رآهم ينصتون للقرآن بخشوع خشع معهم، وإذا شاهدهم يحفظون القرآن ويتذاكرانه، حفظ معهم، وهكذا يشب الطفل مع والديه، وقد طبع فى نفسه ما رآه فى البيت .

ومن شدة حرص الصحابة على ارتباط اطفالهم بالقرآن، وحصول بركة القرآن لأولادهم : تحين أوقات نزول هذه البركات القرآنية، ليحضرها أطفالهم . روى الطبرانى عن انس بن مالك ﷺ أنه كان إذا ختم القرآن، جمع أهله، وولده، فدعا لهم [2] .

وهذا ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يتفاخر أنه قرأ المحكم على عهد رسول اللهﷺ، وهو طفل صغير، فقد ذكر ابن كثير فى فضائل القرآن، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم .

وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ فقالت : يابنى، والله لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب ورواه الثمانية .

بل إن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يسأل عن الجهاد فى سبيل الله، فيجيب السائل : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد : تبنى مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبى ﷺ والفقه فى الدين [3] .

فتعليم القرآن للأطفال قاعدة إيمانية أسس عليها النبى ﷺ أطفال الصحابة رضوان الله عليهم، وتابعه على ذلك صحابته الكرام والتابعون إلى يومنا هذا ، ولله

---

(١) المصدر السابق ص(76) هامش التحقيق .
(٢) ورجال الحديث ثقات، قاله الهيثمى فى المجمع (7/ 172) .
(٣) انظر : جامع العلم وفضله لابن عبد البر(1/ 62) .

الحمد، والفضل، والمنة .

وإن قراءة الأطفال للقرآن سبب فى رفع البلاء والعذاب عن الأسرة، والمجتمع، فعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب، حكما مقضيا، فيقرأ الصبى من صبيانهم فى المكتب : «الحمد لله رب العالمين»، فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة»[1] .

وأما السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا الطريق نفسه، فقد جاء فى مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : أن القاضى الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته .. قال عياض : فإذا كان بعد العصر ـ دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التى نالت من العلم درجة كبيرة[2] .

وتعلم الطفل القرآن وهو صغير يؤهله لأن يكون مبدعا فى سن مبكرة على التأليف، والتصنيف، والابتكار، ونفع الأمة بعلومه، فهذا الإمام الحافظ ابن الجزرى يقول فى كتابه : «النشر فى القراءات العشر» (1/ 209) وهو يتحدث عن كتابه «التمهيد فى التجويد» يقول عنه : «وهو (أى : كتاب التمهيد) مما ألفناه حال اشتغالنا بهذا العلم فى سن البلوغ» .

وإذا كانت شهادة الدكتوراه ينالها الطالب فى عصرنا الحاضر وعمره يقترب من الثلاثين فى أحسن الأحوال، فإن علماء الأمة السابقين تصدروا للتدريس والتأليف وهم دون سن العشرين، وانظر إلى ترجماتهم فى كتب الترجمة، فإنك ستجد صدق ما ندعيه، وما ذلك إلا لتلقيهم القرآن حفظا، وفهما مما ساعدهم على قوة الاستذكار، وتوسيع ذاكرتهم، وقوة نضجها ، وسرعة التقاطها للمعلومات .

---

(١) التفسير الكبير للرازى(1/ 178) . ورواه الدارمى فى سننه، باب تعاهد القرآن، عن ثابت بن عجلان الانصارى قال : «كان يقال : إن الله ليريد العذاب بأهل الارض، فاذا سمع تعليم الصبيان الحكمة، صرف ذلك عنهم» قال مروان شيخ الدارمى : يعنى بالحكمة : القرآن .

(٢) من تربية الأولاد (2/ 167) .

وفى أثناء تعليم الطفل القرآن لابد للأب أو المدرس أن يلتزم بتوجيهات القرآن، وذلك ادعى للتاثير فى الطفل، وأقوى على ربط المعلومة بالواقع التنفيذى :

روى مسلم عن إبراهيم بن يزيد التيمى قال : كنت أقرأ على أبى القرآن فى السدة (وهى المواضع التى حول المسجد وليست منه)، فإذا قرأت السجدة، سجد، فقلت له : يا أبت، أتسجد فى الطريق؟ قال : إنى سمعت أبا ذر ﷺ يقول : سالت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض؟ قال : «المسجد الحرام» قلت : ثم أى؟ قال : «المسجد الأقصى»، قلت : كم بينهما؟ قال : «أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصل» .

2 ـ أقوال السلف الصالح بتعليم الأولاد القرآن الكريم (١) :

عن عبد الرحمن بن زبيد، عن اليامى، عن أبيه، قال : إن لله شيئا يعرف به الملائكة غضبه، فإذا غضب ارتج العرش كهيئة الدخان، فربما كان ذلك، وربما سكن، فإذا سكن، قالت الملائكة ـ بعضها لبعض : هذا بتعليم الولدان القرآن فى المساجد .

وعن عبد الله بن عيسى قال : لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانها القرآن . وعن ثابت بن العجلان قال : إن الله عز وجل ليريد أهل الارض بالعذاب، فإذا سمع أصوات الصبيان يتعلمون الحكمة صرفه عنهم، قال مروان : الحكمة : القرآن .

وعن الضحاك بن قيس قال : أيها الناس، علموا أهاليكم القرآن، فإنه من كتب الله عز وجل له من مسلم أن يدخل الجنة من ذكر أو أنثى أتاه ملكان فاكتنفاه فقالا له : أقرأ، وارتق فى درج الجنة حتى ينزلاه حى بلغ علمه من القرآن .

(١) نورد هنا من كتاب العيال لابن أبى الدنيا (1/ 478) باب : تعليم الأصاغر القرآن . تحقيق : د . نجم خلف .

وقال سعيد بن العاص ﷺ كان عمره عند وفاة النبى ﷺ تسع سنين : إذا علمت ولدى القرآن، وحججته وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقى حقى عليه .

وعن زبيد قال : كان احب الناس إلى النبى ﷺ من تعلم القرآن وعلمه . وعن عبد الجبار أبى خبيب الكرابيسى قال : معنا ابن لأيوب السختيانى فى الكتاب، فحذق الصبى، فأتينا منزلهم، فوضع له منبر، فخطب عليه، ونهبوا علينا الجوز، وأيوب قائم على الباب، يقول لنا : ادخلوا . وهو خاص لنا (أى : ادخلهم خصوصية أصدقاء ابنه فى الكتاب) .

وعن يونس قال : حذق ابن لعبد الله بن الحسن بن أبى الحسن (على كرم الله وجهه) فقال عبد الله : إن فلانا قد حذق، فقال الحسن بن على ـ رضى الله عنهما : كان الغلام إذا حذق قبل اليوم، نحروا جزورا، وصنعوا طعاما للناس .

وما ذلك إلا لشدة فرحهم بحذق ولدهم للقرآن .

وأما عن إكرام الصحابة لمعلم ولدهم القرآن :

فقد قال الحسن بن واصل بن الحسن : كان المهاجرون يعرفون حق معلمى أبنائهم .

3 ـ أجر الوالدين فى تعليم الطفل القرآن الكريم :

روى الحاكم من رواية بريدة قوله ﷺ : «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور، ضوؤه مثل الشمس، ويكسى والداه حلتين، لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان : بم كسينا هذا؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن»[1] . واخرج أبو داود عن سهل بن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من قرأ القرآن، وعمل به،

(١) ورواه أبو عبيد بن سلام فى فضائل القرآن ص (85) وقال محققو الكتاب : ورواه أحمد (5/ 348) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (7/ 159) : رجال أحمد رجال الصحيح .

ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس»[1]. وروى الدارمى فى سننه ـ بسند حسن ـ عن وهب الذمارى قال : «فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الذين كانوا يتلون كتابى، لم يلههم اتباع الأنعام، فيعطى الخلد والنعيم، فإن كان أبواه ماتا على الطاعة جعل على رؤوسهما تاج الملك فيقولان : ربنا ما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقول : بلى، إن ابنكما كان يتلو كتابى» . وفقنى الله وإياك إلى الحرص على التاج ولبسه يوم القيامة، وإلباسه لوالدينا .

3 ـ فهم الطفل للقرآن الكريم :

لابد للمربى ـ أو الوالدين ـ أن يهتما أثناء تلاوة الطفل بشرح موجز بسيط للقرآن، حتى تفتح معانى القرآن قلب وعقل الصغير، ولا يظن أحد أن الطفل صغير، فهذا الطفل الذى يعده كثير من الناس لا يستحق الشرح لصغره، ولا يستحق الاهتمام بعقله لطفولته، هذا الطفل العجيب يستطيع أن يخزن من المعلومات ما يخزنه حاسب آلى عصرى، وإليك الدليل على ذلك :

أخرج الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : سلونى عن سورة النساء، فإنى قرأت وأنا صغير، ثم قال : هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وروى ابن جرير، وأسنده : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير قال : أخبرنا يا أباعبد الله كيف هذا الحرف؟ فإنى إذا أتيت عليه، تمنيت ألا أقرأهذه السورة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف:110] قال : نعم، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا[2] .

(١) رواه أأحمد (3/ 440) من طريق حسن، ورواه أبو يعلى (3/ 65) بسند ضعيف ورواه ابو عبيد بن سلام فى فضائل القرآن (ص85) وقال محققو الكتاب : ورواه أحمد (5/ 348) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (7/ 159) : رجال أحمد رجال الصحيح .
(٢) تفسير ابن كثير (2 / 497) .

وهذه عائشة ـ رضى الله عنها ـ تشرح لابن أختها عروة بن الزبير معنى الآية السابقة .

أورد ابن كثير فى التفسير فيما أخرجه البخارى وأسنده عن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها : أنها قالت له، وهو يسألها عن قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ [يوسف : 110] قالت : أكذبوا أم كذبوا؟ قالت عائشة : كذبوا، قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هم بالظن، قالت لعمرى لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها : ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾[يوسف:110] قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت : فما هذه الاية؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ [يوسف : 110] ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك .

وهذا موقف آخر لعروة مع خالته عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى تشرح له معانى القرآن، وتزيل من نفسه وعقله أى التباس :

روى الإمام مالك فى الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه : أنه قال : قلت لعائشة ـ رضى الله عنها ـ أم المؤمنين، وأنا يومئذ حديث السن : أرأيت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : 158] فما على الرجل شىء ألا يطوف بهما؟ قالت عائشة ـ رضى الله عنها : كلا، لو كان كما تقول، لكانت : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية فى الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الاسلام، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل إله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية .

وهكذا تتضافر الأسرة المسلمة بالخالة والعمة والخال والعم فى تنشئة وتربية وتعليم الطفل القرآن، وأحكام الدين . وهذا من مميزات وخصائص المجتمع الإسلامى والأسرة المسلمة، فالكل مسؤول عن الطفل المسلم . وتختلف نسبة

المسؤولية فى القرب والبعد عن الطفل المسلم قرابة وموقعا، وأينما وجد زمانا ومكانا .

وإذا أشكل على الطفل شيء من معانى القرآن، وأغلق عليه فإنه يعود التسليم لله تعالى فى مراده، وهذا شأن العلماء الراسخين، وهذا ما علمه الرسول ﷺ لأصحابه، وشهده أطفال الصحابة، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه (محمد) عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : جليت أنا وأخى مجلسا ما أحب أن لى به حمر النعم[1]، أقبلت أنا وأخى، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة (أى فى ناحية منفردين)، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها ، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضبا ، قد أحمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول :

«مهلا يا قوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، وإنما نزل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه» . رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه والبغوى[2] .

وروى ابن عبد البر [3]عن معاوية ﷺ قال : إن أغوى الضلالة لرجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه، فيعمله الصبى، والعبد، والمراة، والأمة، فيجادلون به أهل العلم[4] .

وروى أبو يعلى فى مسنده (2/ 62) بسند حسن عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما : قال : «قلت لأبى : يا أبتاه! أرايت قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : 5] أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال : ليس ذاك، إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتى يضيع الوقت» .

(١) حمر النعم : الإبل الحمراء اللون يضرب بها المثل لارتفاع سعرها، وندرة وجودها .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية تحقيق التركى وأرناؤوط (1/ 230) .
(٣) جامع العلوم والحكم (2 / 194). ورواه أبو عبيد بن سلام بلفظ : إن اغرالضلالة . انظر : كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (213) ط دار ابن كثير .
(٤) عن حياة الصحابة (3 / 206) .

وروى أبو عبيد بن سلام قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : قلت لأبى : أخبرك سعيد بن جبير أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «بسم الله الرحمن الرحيم » آية من القرآن؟ قال : نعم [1] .

وعن أهمية إعراب وفهم القرآن عامة نقتطف هذه الآثار عن كتاب فضائل القرآن للمحدث اللغوى أبى عبيد القاسم بن سلام الهروى رواها بسنده [2]:

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أعربوا القرآن»، قال محققو الكتاب : ورواه الحاكم وذكره الهيثمى فى المجمع (7/ 163) وكنز العمال (1/ 607) وغيرهم .

وقال أبو بكر الصديق ﷺ : لإن أعرب آية من القرآن أحب إلى من أن أحفظ آية .

قال عمر ﷺ : تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه والوالدان والمربون مدعوون لتوريث الأطفال الرجوع إلى التفسير من كتب التفسير، والقراءة أمامهم منها، وتوريثهم عدم الخوض فى معانى القرآن بلا علم، فعن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبى يتأول آية من كتاب الله قط [3] .

فلا التابعى لاحظ على أبيه الصحابى أو والده أنه يقول بالقرآن برأيه، ولذلك ورث ذلك عملا وحالا، وهذا هو المنهج السديد .

وإليك نموذجا عن دقة فهم الأطفال للقرآن، وحرصهم على فهمه، فيما روى أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير على أستاذه الكسائى، وكان من عادة الكسائى أن يطرق إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظرا إليه، فيرجع إلى الصواب، فقرأ يوما المأمون سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف : 2] فرفع الكسائى رأسه، فنظر المأمون إليه،

(١) انظر كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (218و222) ط . دار ابن كثير .
(٢) المصدر السابق ص (348) .
(٣)انظر كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (378) .

وكرر الآية، وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة، فمضى فى قراءته . ولما انصرف الكسائى، دخل المأمون على أبيه قائلا : هل وعدت الكسائى بشىء؟ قال : كيف علمت بذلك يا بنى؟ فأخبره بالامر، فسر الرشيد لفطنة ابنه، وشدة ذكائه .

5 ـ كيف يؤثر القرآن فى نفس الطفل؟ :

للقرآن تأثير كبير على النفس البشرية عامة، يهزها، ويجذبها، ويضرب على أوتارها، وكلما اشتدت النفس صفاء، كلما ازدادت تأثرا، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته مازالت نقية، والشيطان مازال فى كبوته تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية، وجدناها قصيرة، تتناسب مع نفسه القصير، بالإضافة إلى قصار السور، التى تقدم للطفل موضوعا متكاملا بكلمات قليلة، سهلة الحفظ قوية التأثير، والكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ فصل هذا البيان بشكل أوسع فقال[1] : إن لهذه السور القصار لأمرًا، وإن لها فى القرآن لحكمة، هى من أعجب ما ينتهى إليه التأمل، حتى لا يقع من النفس إلا موقع الأدلة الإلهية المعجزة، فهى لم تنزل متتابعة فى نسق على هذا الترتيب، الذى تراه فى المصحف إذ لم يكن أول ما نزل من القرآن ولا آخره ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : 1] ثم هى بجملتها، وعلى إحصائها، لا تبلغ من القرآن أكثر من جزء واحد، والقرآن كله ثلاثون جزءا، وهو يتسع من بعدها قليلا وكثيرا، حتى ينتهى الى الطول، فقط علم الله أن كتابه سيثبت الدهر على هذا الترتيب المتداول للحفظ، بأسباب أظهرها فى المنفعة، وأولها فى المنزلة، هذه السور القصار التى تخرج من الكلمات المعدودة، إلى الآيات القليلة، والتى هى مع ذلك أكثر ما تجىء آياتها على فاصلة قليلة، مع قصر ما بين الفاصلة والفاصلة، فكل آية فى وصفها، كأنها سورة من كلمات قليلة :

ـ لا يضيق بها نفس الطفل الصغير .

(١) فى كتابه : تاريخ آداب العرب (2/ 206) .

ـ وهى تتماثل فى ذاكرته، بهذه الفواصل، التى تأتى على حرف واحد ، أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة .

ـ فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور، حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه، ويثبت أثره فى نفسه، فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مرًا .

ـ وهو كلما تقدم، وجده أسهل عليه، ووجد له خصائص، تعينه على الحفظ، وعلى إثبات ما يحفظ، فهذا المعنى من قوله تعالى :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء] .

وهى لعمر الله رحمة وأى رحمة، وإذا أردت أن تبلغ عجبا من هذا المعنى، فتأمل سورة فى القرآن، وأول ما يحفظه الأطفال وهى سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : 1] وانظر كيف جاءت فى نظمها :

كيف تكررت الفاصلة، وهى لفظة الناس؟!

وكيف لا ترى فى فواصلها إلا هذا الحرف : السين؟! الذى هو أشد الحروف صفيرا، وأطربها موقعا من سمع الطفل الصغير، وأبعثها لنشاطه واجتماعه .

وكيف تناسبت مقاطع السورة، عند النطق بها، مع تردد النفس فى أصغر طفل، يقوى على الكلام، حتى كأنها تجرى معه، وكأنها فصلت على مقداره؟!

وكيف تطابق الأمر كله، من جميع جهاته، فى أحرفها، ونظمها، ومعانيها؟!

ثم انظر، كيف يجىء ما فوقها على الوجه الذى أشرنا اليه؟!

وكيف تمت الحكمة فى هذ الترتيب العجيب؟! كل ذلك يحصل للطفل . وأكثر من ذلك، ومن تعامل مع الأطفال عند حفظهم لقصار السور، يرى ذلك بنفسه، ويلمس ذلك بيديه .

وهذا نموذج عملى من تأثر الأطفال بالقرآن :

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما أنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم : 6] تلاها رسول الله ﷺ على أصحابة ذات ليلة أو قال يوم ، فخر فتى مغشيًا عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك فقال : «يا فتى، قل لا إله إلا الله » فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه : يا رسول الله، أمن بيننا؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما سمعتم قول الله عز وجل : «﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : 14] رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 351) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

ومن تأثيرات القرآن فى نفس الطفل، حينما يعايشه، ترتيلاً، وفهمًا، يستطيع هذا الطفل أن يحل كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوم سلوكه، وأن يهدئ من انفعالاته العصبية، وأن يوسع من ذاكرته . وعلى سبيل الذكر نذكر هذه القصة اللطيفة فى بابها للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمة الله [1] فقال :

كان صورة ما وقع لى وأنا صغير، أنى تفكرت يومًا فى الله عز وجل، فقسته على ما أتعقله، ثم صرفته : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11] .

وإن القرآن ليؤثر كذلك فى نفوس أطفال المشركين والكفار فضلاً عن كبارهم :

أخرج البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أبا بكر ﷺ ابتنى مسجدًا بفناء داره (أى : فى مكة)، وكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش، وطلبوا من ابن الدغنة أن يرد عليه جواره ، أو لا يستعلن بقراءته ....

(١) فى كتابه : المنن الكبرى .

هكذا تؤثر تلاوة القرآن وقراءة الصادقين مع الله ورسوله ﷺ، وتتفاعل معها القلوب، وقلوب الأعداء صغارهم ونساؤهم، اللهم وفقنا لذلك . واجعلنا أهلاً لنصرة كتابك وسنة نبيك ﷺ .

6 ـ نماذج من حفظة القرآن من الأطفال :

هذه نماذج نضعها بيدى الوالدين، لتكون وسيلة فى استنهاض الهمم، وشحن النفوس، نحو الاهتمام بحفظ كتاب الله، ولتكون أداة فعالة فى تنشيط العقول، وتحريكها للتغذى بهذا المنهل العذب [1] .

1ـ يقول الشافعى ـ رحمة الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر[2] .

2ـ ويقول سهل بن عبد الله التسترى : فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين [3] .

3 ـ أما ابن سينا، فلما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز[4].

4 ـ وأما الإمام النووى ـ رحمة الله ـ فيقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشى عنه :

رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكى لإكراههم، ويقرأ القرآن فى تلك الحال، فوقع فى قلبى محبته، وكان قد جعله أبوه فى دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه، فوصيته به، وقلت له : إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه،

(١) للاستزادة راجع : الإهداء فى التصوير الفنى فى القرآن، ومشاهد القيامة فى القرآن، للشهيد سيد قطب، رحمه الله .
(٢) طبقات الحفاظ للسيوطى (ص 154) .
(٣) الإحياء للإمام الغزالى (3/ 72) .
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان، نقلاً عن : صفحات من صبر العلماء (1/ 152) .

وأزهدهم، وينتفع به الناس، فقال لى : أمنجم أنت؟ فقلت : لا،وإنما أنطقنى الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن، وقد ناهز الحلم [1].

5 ـ والآن مع ابن سبعة عشر عامًا حفظ القراءات السبع : ذكر الدكتور عبد الحى الفرماوى فى مقدمة تحقيقه لكتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تأليف محمد بن الجزرى، عنه حياة المؤلف فقال :

يحدثنا التاريخ أن أباه كان تاجرًا، وقد حرص بعد أن استجاب الله لدعائه، على تربية ابنه تربية دينية، وعلى تنشئته نشأة صالحة، ولذا نشأ ابن الجزرى فى بيت يقدر العلم، وأهله، مما ساعده على أن يتم حفظ القرآن، وله من العمر ثلاثة عشر ـ عامًا، وأن يسمع الحديث، ويفرد القراءات، بل يجمع قراءات الأئمة السبعة، وأيضًا يجمع القراءات على أعلم بلاد الشام بالقراءات، وهو الشيخ ابن اللبان، كان ذلك وهو لم يزل فى عامه السابع عشر [2] !

وفى عصرنا الحاضر يحدثنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوى ـ رحمة الله ـ ابن محمد يحيى الكاندهلوى الذى ذكر عن والده فيقول : كان رحمة الله تعالى حفظ ربع الجزء الثلاثين من القرآن الكريم عند فطامه، وحفظ سائر القرآن إذ كان عمره سبع سنين، وكان والده ـ قدس سره ـ قد أمره أمره بعد فراغه من حفظ القرآن قبل شروعه فى الكتب العربية أن يقرأ كل يوم القرآن المجيد مرة واحدة، فكان يبدئ من بعد الفجر ويختم قبل الظهر، وتسلسل عمله ذاك إلى ستة أشهر»[3].

«وهذا نموذج آخر فى طلب الأطفال للقراءات من العلماء المتأخرين، فيقول الشيخ محمد علاء الدين عابدين ـ رحمه الله ـ عن حياة والده الشيخ الجليل محمد

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكى (8/ 396) .
(٢) طبقات القراء (2/ 247) .
(٣) انظر كتاب : (لامع الدرارى على جامع البخارى) فى نهاية المقدمة (1/ 152) الطبعة الهندية الحجرية .

أمين الشهير بابن عابدين ـ صاحب الحاشية فى الفقه الحنفى :

وحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، وهو صغير جدًا، وجلس فى محل تجارة والده؛ ليألف التجارة، ويتعلم البيع والشراء، فجلس مرة يقرأ القرآن العظيم، فمر رجل لا يعرفه، فسمعة وهو يقرأ، فزجره، وأنكر قراءته وقال له : لايجوز لك أن تقرأ هذه القراءة .

أولاً : لأن هذا المحل محل التجارة، والناس لا يستمعون قراءتك، فيرتكبون الإثم بسببك، وأنت أيضًا آثم .

وثانيًا : قراءتك ملحونة، فقام من ساعته، وسأل عن أقرأ أهل العصر فى زمنه، فدله واحد على شيخ القراء فى عصره، وهو الشيخ سعيد الحموى، فذهب لحجرته، وطلب منه أن يعلمه أحكام القراءة والتجويد، وكان وقتئذ لم يبلغ الحلم، فحفظ الميدانية، والجزرية، والشاطبية، وقرأها قراءة إتقان، وإمعان، حتى أتقن فن القراءة بطرقها، وأوجهها»[1] .

7 ـ طفولة عجيبة فى حفظ القرآن الكريم :

قال إبراهيم بن سعيد الجوهرى : رأيت صبيًا ابن أربع سنين قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، ونظر فى الرأى، غير أنه إذا جاع يبكى[2] .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهانى[3] : حفظت القرآن ولى خمس سنين، وحملت إلى أبى بكر المقرئ لأسمع، ولى أربع سنين، فقال بعض الحاضرين : لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لى ابن المقرئ : اقرأ سورة التكوير، فقرأتها، فقال لى غيره : اقرأ سورة والمرسلات فقرأتها ولم أغلط فيها، فقال ابن المقرئ :

(١) حاشية ابن عابدين (ط2) (ص7) .
(٢) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى (ص116ـ 117) طبع مصر .
(٣، 4) المصدر السابق .

اسمعوا له، والعهدة على .

8 ـ متى يبدأ الطفل بتعلم القرآن الكريم :

قال أبو عاصم [1] : ذهبت بابنى إلى ابن جريج، وهو ابن أقل من ثلاث سنين، يحدثه بهذا الحديث، والقرآن وقال أبو عاصم : لا بأس أن يعلم الصبى الحديث، والقرآن، وهو فى هذه السن، ونحوه .

9 ـ مكافأة للمقرئ والطفل :

حين حذق حماد بن أبى حنيفة ﷺ سورة الفاتحة، وهب أبو حنيفة خمسمائة درهم ـ وكان الكبش يشترى بدرهم ـ واستكثر المعلم هذا السخاء؛ إذ لم يعلمه إلا الفاتحة، فقال أبو حنيفة : لا تستحقر ما علمت ولدى، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك، تعظيماً للقرآن [2] .

أما مكافأة الطفل فهذا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبى ـ رحمه الله تعالى ـ وهو فى خضم المعركة ، يتجول فى المعسكر فيجتاز على صغير بين أبيه، وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعته[3] .

10ـ أثر تلاوة الأطفال للقرآن على إيمان الكبار والتأثير فيهم :

روى أبو نعيم فى الدلائل عن رجل بنى سلمة قال : «لما أسلم فتيان بنى سلمة، وأسلم ولد عمرو بن الجموح، قالت امرأة عمرو له : هل لك أن تسمع من ابنك روى له؟ فقال : أخبرنى ما سمعت من كلام هذا الرجل (أى : الرسول ﷺ)، فقرأ عليه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(٢) فتح باب العناية (ص 19) .
(٣) النوادر السلطانية (ص 9) .

نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [الفاتحة] .

فقال : ما أحسن هذا وأجمله! وكل كلامه مثل هذا فقال : يا أبتاه! وأحسن من هذا، وذلك قبل الهجرة»[1] .

وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : إن أم الفضل سمعته، وهو يقرأ : «والمرسلات عرفاً» فقال : يا بنى، والله لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة . إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب» . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأحمد ومالك والدا رمى .

11 ـ كيف يحفظ الأطفال القرآن الكريم؟ :

يتساءل كثير من المهتمين بتحفيظ القرآن عن أفضل الطرق لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم، وما هى طريقة السلف الصالح بتحفيظ أطفالهم القرآن الكريم؟ حتى كثر حفظته بينهم، وقل بيننا ؟!

والجواب على ذلك : أن القرآن نزل منجمًا، أى : مفرقًا، فكان ينزل آية أو بعض آية[2]، أو آيتين أو ثلاث آيات أو أربع آيات أو خمس آيات، أو عشر آيات وقد استقر عمل الصحابة فى تعليم القرآن وتحفيظه على أن يكون كل يوم خمس آيات .

أخرج ابن عساكر من طريق أبى نضرة قال : كان أبو سعيد الخدرى ﷺ يعلمنا القرآن، خمس آيات بالغداه، وخمس آيات بالعشى، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات .

وأخرج البيهقى فى الشعب من طريق أبى خلدة عن عمر ﷺ قال : تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل القرآن على النبى ﷺ خمسًا خمسًا .

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطى (1/ 10) .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن (1/ 137) طبع دار ابن كثير الدمشقية، تحقيق : د . مصطفى البغا.

ومن طريق ضعيف عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال: أنزل القرآن خمساً خمساً ، إلا سورة الأنعام ، ومن حفظ خمساً خمساً لم ينسه[1] . ومعنى ذلك كما قال السيوطى ـ رحمه الله ـ فى كتاب (الإتقان فى علوم القرآن)[2] :

إن معناه (أى قول الصحابة نزل خمسًا خمسًا) إن صح : إلقاؤه إلى النبى ﷺ بهذا القدر حتى يحفظه، ثم يلقى إليه الباقى، لا إنزاله بهذا القدر خاصة، ويوضح ذلك : ما أخرجه البيهقى أيضاً عن خالد بن دينار قال : قال لنا أبو العالية : تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن النبى ﷺ كان يأخذه من جبريل خمسًا خمسًا . انتهى[3] .

وقد انتشرت فى عصرنا الحاضر آلات التسجيل، وأصوات المقرئين، والحاسب الآلى، وأصبح فى متناول الجميع سهولة تحفيظ الطفل القرآن الكريم، وبزيادة عناية الوالدين، وزيادة رعايتهم، وصدق توجههم، فإن الله تعالى يبارك فى تحفيظ أولادهم، رزقنى الله ذلك وإياك إن شاء الله تعالى .

12 - تخيير الطفل وقت القراءة :

روى أبو عبيد بن سلام بسنده[4] أن الحسن بن على كان يقرأ ورده اليومى من القرآن من أول الليل ، وأن حسيناً كان يقرؤه من آخر الليل .

13 ـ تعليم أطفال غير المسلمين القرآن الكريم :

روى أبو عبيد بن سلام قال : حدثنا عباد بن العوام، قال : حدثنا عمر بن حفص من أهل واسط قال ـ وكان أبواه مجوسيين ـ فدفعه أبوه إلى معلم يقال له صالح، من جلساء الحسن، فقال : علمه القرآن، فذهب به صالح إلى الحسن فسأله

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن (1/ 137) طبع دار ابن كثير الدمشقية، تحقيق : د . مصطفى البغا، وقد أفادنى شيخنا محمد خواجه شريف ـ شيخ الحديث بالجامعة النظامية فى حيدر آباد الدكن فى الهند ـ أنه استخدم هذه الطريقة مع ابنته فحفظت القرآن كله، تحفظ كل يوم خمس آيات، علماً بأنها لا تعرف اللغة العربية !

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : كتاب فضائل القرآن ص (186) .

عن ذلك، فقال : علمه فإنه عسى .

قال عباد : فسألت أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ عن ذلك، فقال : لا بأس أن تعلمه القرآن صغيرًا أو كبيرًا .

وروى أيضًا حدثنا يزيد عن حماد بن سلمة عن حبيب المعلم قال : سألت الحسن، قلت : أعلم أولاد أهل الذمة القرآن ؟ فقال : نعم، أو ليس يقرؤون التوراه والإنجيل وهما من القرآن، أو قال : وهما من كتاب الله عزوجل .

14ـ حفظ الطفل أسباب النزول :

روى أبو عبيد قال : حدثنا حجاج عن ابن جريح قال : أخبرنى يوسف بن ماهك قال : إنى لعند عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ إذ جاء أعرابى فقال : يا أم المؤمنين، أرينى مصحفك، فقالت : لم؟ قال : لعلى أؤلف القرآن عليه، فإنا نقرؤه غير مؤلف، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما أنزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا : لا ندع الزنا، ولقد نزل على محمد ﷺ، وإنى لجارية بمكة ألعب:﴿ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ ﴾ [القمر] ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ، قال : فأخرج المصحف ، فأمليت عليه أنا السور[1] .

15 ـ المدارس القرآنية فى البلاد الإسلامية :

أ ـ إقبال الأطفال على المدارس القرآنية :

«ضاقت المساجد بالصبيان، حتى اضطر الضحاك بن مزاحم ـ معلم الصبيان ومؤدبهم ـ إلى أن يطوف على حمار، ليشرف على طلاب مكتبة، الذين بلغ عددهم

(١) المصدر السابق ص (365) قال محققوه : رواه البخارى فى فضائل القرآن (9/ 36) .

ثلاثة آلاف صبى، وكان لا يأخذ أجراً على عمله»[1] .

ب ـ هل يتعلم الطفل علماً آخر مع القرآن؟

اختلفت مذاهب الأمصار الإسلامية فى ذلك، كما يقول ابـن خلـدون [2]،فمـن البلاد من تشارك فى تعليم القرآن علماً آخر، ومنهم من يشارك، على اعتبـار العلـوم الأخرى فرعية، ومنهم من يشارك بالتساوى، فيقول عن كل بلد :

1ـ **أهل المغرب** : فمذهبهم فى الولدان، الاقتصار على تعليم القرآن فقـط، مـع العناية برسمه، واختلاف حملة القرآن فيـه، ولا يخلطـون ذلـك بسـواه فى ومجـالس تعليمهم، لا من حديث، و لا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب .

2 ـ **أهل إفريقية** : يخلطون فى تعليمهم للولـدان القـرآن بالحـديث فى الغالـب، ومدارسة قوانين العلوم ـ أى العلوم الدينية ـ وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم عـلى اخـتلاف رواياتـه، وقراءتـه أكثـر، وعنايتهم بالخط تبع لذلك .

3 ـ **أهل الأندلس** : مذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هـو، وهـذا هـو الذى يراعونه فى التعليم،فلا يقتصرون على القرآن،بل يخلطون فى تعليمهم للولـدان رواية الشـعر، والترسـل، وأخـذهم بقـوانين العربيـة، وتجويـد الخـط، ولا تخـتص عنايتهم فى التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها .

4 ـ **أهل المشرق** : يخلطون فى التعليم كذلك .

وإذا تأملنا واقعنا الحالى الذى نعيشه الآن نرى ـ والله أعلـم ـ أنـه لا بـأس بجمع تعليم القرآن والعلوم الأخرى، إذ الذاكرة العقلية تتلقح مـن جميـع العلـوم،

(١) عن أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص145) .
(٢) فى مقدمته (ص397) . وانظر تاريخ التربية للدكتور شلبى .

فتساعد على التفتح، والتركيز، والفهم، وهذا لطالب العلوم غير الشرعية، أما طالب العلم الشرعى، فأول ما يبدأ بحفظه كتاب الله تعالى، ليكون مغذياً لروحه، وعقله، وبصيرته، والله أعلم .

الأساس العقدى الخامس : تربية الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها :

العقيدة تعلو بالتضحية لها، وكلما اتسعت دائرة التضحية، كلما قويت النفس على الثبات، ودل ذلك على الصدق، وهو عين الاستقامة .

والطفل المسلم اليوم، فى مواجهته للتحديات المعاصرة الكثيرة، وللخطط والمؤامرات، والدراسات التى تدبر ضده، لكى تحرفه عن دين الله ومنهجه، يحتاج فى مواجهة ذلك إلى التضحية فى سبيل الله، والثبات على منهجه، فعند ذلك يتذوق حلاوة الإيمان، وترتفع درجة قوته فى النفس، ويتعرف على تضحية المؤمنين من القرآن ومن سيرة رسول الله ﷺ،حتى إذا وصلت التضحية إليه بذل نفسه فى سبيل الله، كما تعلم ذلك من القرآن وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

الطفل المسلم اليوم فيما قصة له الرسول ﷺ عن طفولة المؤمنين وتضحيتهم لدين الله أسوة وقدوة، ولما بذله أطفال الصحابة قدوة، يسير على درب الإيمان، لا يخاف فى الله لومه لائم .

1ـ غلام الأخدود قدوة للأطفال :

روى مسلم عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال الملك : إنى قد كبرت، فابعث إلى غلاما، أعلمه السحر، فبعث إليه، وسمع كلامه، فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مر إلى راهب، فقال : إذا خشيت الساحر، فقل :حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل :حبسنى

الساحر، فبينما هو على ذلك، إذ أتى على دابة عظيمة [1] قد حبست الناس، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة، حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها،ومضى ـ الناس[2]، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت، فلا تدل على .

وكان الغلام يبرئ الأكمة ـ من ولد أعمى ـ والأبرص ـ من بجسمه بياض ـ ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك، وكان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال : ما ها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتنى، فقال : إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى، فأتى الملك، فجلس إليه، كما كان يجلس، فقال له الملك : من رد عليك بصرك؟

قال : ربى،قال : أولك رب غيرى؟ قال : ربى وربك الله، فأخذه، فلم يزل يعذبه،حتى دل على الغلام، فجئ بالغلام، فقال له الملك : أى بنى، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه، والأبرص، وتفعل وتفعل! فقال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله تعالى، فأخذه، فلم يزل يعذبه، حتى دل على الراهب، فجئ بالراهب، فقيل له : ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فى مفرق رأسه، حتى وقع شقاه .

ثم جئ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك، ثم جئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال :اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف الجبل، فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك فقال :

---

(١) فى عبد الرازق : أسد .

(٢) فى رواية عبد الرازق : فقال الناس : قد علم هذا الغلام علمًا لم يعلمه أحد .

كفيناهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال : اذهبوا به، فاحملوه فى قُرقُور، وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال : ما فعل أصحابك؟ فقال له : كفانيهم الله، فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهما من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل، بسم الله، رب هذا الغلام ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى .

فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهم من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال : بسم الله رب الغلام ،ثم رماه ، فوقع السهم فى صدغه ـ أى ما بين العين إلى شحمه الأذن ـ فمات، فقال الناس : آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ـ الطرق ـ فخدّت ـ شقت ـ وأضرم فيها النيران، وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوه .

حتى جاءت امرأة، ومعها صبى لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام : يا أماه اصبرى، فإنك على الحق [1]. وفى رواية عبد الرازق قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ..... بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج] قال : فأما الغلام فإنه دفن . قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب ،وأصبعه على صدغه، كما كان وضعها .

2ـ نماذج من تضحية وجهاد أطفال الصحابة والسلف الصالح :

1ـ الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد :

(١) علق لى على موقف الأم هذه فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ القراء ـ رحمه الله تعالى، عندما قدمت إليه البحث لينظر فيه، فوضع على الهامش : (تقديم أمر الله على رحمة الولد) . قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقاً على مصنف عبد الرازق : وأخرجه الترمذى وأحمد ومسلم .

روى ابن أبى شيبه عن الشعبى : أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله فشدته على ساعده بنسعة[1]، ثم أتت به النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله، هذا ابنى يقاتل عنك، فقال النبى ﷺ : (أى بنى، احمل ها هنا، أى بنى احمل ها هنا) فأصابته جراحة، فصرع، فأتى به النبى ﷺ فقال : (أى بنى لعلك جزعت) قال : لا يا رسول الله! . كذا فى كنز العمال (5/ 277) .

2 ـ الأمهات يفرحن باستشهاد أطفالهن :

أخرج أحمد والبخارى عن أنس ﷺ أن حارثة بن ا لربيع، جاء يوم بدر نظارًا، وكان غلامًا، فجاء سهم غرب، فوقع فى ثغرة نحره، فقتله، فجاءت أمه الربيع فقالت : يا رسول الله، قد علمت مكانة حارثه منى، فإن كان من أهل الجنة فسأصبر، وإلا فسيرى الله ما أصنع، فقال : (يا أم حارثة ، إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة ، وإنه فى الفردوس الأعلى) [2].

3 ـ الأطفال يقتلون الطغاة أعداء رسول الله ﷺ :

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال : إنى لواقف يوم بدر فى الصف، نظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين، حديثة أسنانهما، من الأنصار، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزنى أحدهما، فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال : نعم وما حاجتك إليه يا بن أخى؟ قال : إنى خبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذى نفسى بيده لو رأيته لا يفارق سوادى سواده، حتى يموت الأعجل، قال : فتعجبت من ذلك، فغمزنى الآخر، فقال لى مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس، فقلت لهما : ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، فابتدراه، فضرباه بسيفيهما، حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال : (أيكما قتله؟) قال كل واحد منهما : أنا قتلته ، قال : (مسحتما سيفيكما؟) قالا : لا، فنظر فى

(١) سير أو حبل عريض طويل ، تشد به الرحال .
(٢) رواه ابن سعد وابن خزيمة والطبرانى انظر : صحيح الجامع رقم (7853) .

السيفين، قال (كلاكما قتله) فقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح، واسم الآخر معاذ بن عفراء .

رواه البخارى ومسلم وأبو يعلى فى مسنده (2/ 170) بسند صحيح .

4ـ الأطفال يبكون ويتوارون حتى يخرجوا للجهاد :

روى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال :

رد رسول الله ﷺ عمير بن أبى وقاص عن مخرجه إلى بدر، واستصغره ، فبكى عمير ﷺ فأجازه، قال سعد : فعقدت عليه حماله سيفه ولقد شهدت بدراً، وما فى وجهى إلا شعرة واحده أمسحها بيدى[1] .

وروى ابن سعد عن سعد ﷺ قال :

رأيت أخى عمير بن أبى وقاص ﷺ قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت : ما لك يا أخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى، فيردنى وأنا أحب الخروج، لعل الله أن يرزقنى الشهادة، فكان سعدﷺ يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشره سنه[2] .

وعن زيد بن حارثه ﷺ أن رسول الله ﷺ استصغر ناساً يوم أحد منهم : زيد بن حارثة ـ يعنى نفسه ـ يعنى نفسهوالبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم وسعد وأبوسعيد الخدرى، وعبد الله بن عمر، وذكر جابر بن عبد الله .

رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 59) وقال : صحيح الإسناد، وأقره الذهبى .

وهذا الرد لم يمنعهم من الاستمرار فى الخروج للجهاد حتى يأذن لهم رسول الله .

فهذا سعد بن عتبة يرده النبى ﷺ يوم أحد، ويراه يوم الخندق وهو يقاتل قتالاً

(١)كنز العمال (5/ 270) والحاكم (3/ 88) .
(٢) الإصابة (135) .

شديداً مع حداثة سنة، فدعاه رسول الله وقال له : «من أنت؟» فقال : سعد بن عتبه، فقال : (أسعد الله جدك) ومسح على رأسه . كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان (6/ 398) .

5 ـ الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد :

أخرج مسلم وأبو داود عن أنس ﷺ أن فتى من أسلم قال : يا رسول الله ﷺ إنى أريد الغزو، وليس معى ما أتجهز به؟ قال : «ائت فلاناً قد كان تجهز فمرض» فأتاه، فقال : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول : أعطنى الذى تجهزت به، فقال : يا فلانه، أعطيه الذى تجهزت به، ولا تحبسى منه شيئًا، فوالله لا تحبسين شيئاً فيبارك لنا فيه .

وعن سمرة بن جندب قال : «كان رسول الله ﷺ يعرض علينا من الأنصار، فيلحق من أدرك منهم فعرضت عاماً، فألحق غلاماً وردنى، فقلت : يا رسول الله لقد ألحقته ورددتنى، ولو صارعته لصرعته، قال : فصارعته فصرعته فألحقنى» رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد[1] .

6 ـ الآباء يصحبون أطفالهم فى المعارك :

أخرج البخارى عن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ قال : كانت فى الزبير ثلاث ضربات إحداهن فى عاتقه، إن كنت لأوغل أصابعى فيها، ألعب بها وأنا صغير، قال له أصحاب رسول الله ﷺ يوم اليرموك : ألا تشد فنشد معك؟ قال : إن شددت كذبتم، قالوا : لا نفعل، فحمل عليهم، حتى شق صفوفهم، فجاوزهم، وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً ـ فأخذ بلجامه ـ فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة : وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك وهو ابن عشر

(١) انظر : عقود الجواهر المنيفة (2/ 97) .

سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً .

وروى ابن جرير فى تهذيب الآثار (1/ 94) بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : كنت أنا وعمر بن أبى سلمه فى الأطم يوم الخندق، فكان يطأطئ فأنظر إلى القتال، وأطأطئ له فينظر إلى القتال . فرأيت أبى يجول فى السبخة، يكر على هؤلاء مره، فقلت له : يا أبت ، قد رأيتك تكر فى السبخة على هؤلاء مرة وعلى هؤلاء مرة، فقال : قد جمع لى رسول الله ﷺ اليوم أبويه[1] . وزاد البخارى : «فقال : فداك أبى وأمى» .

وفى رواية له : قال : هل رأيتنى أى بنى؟! قال : نعم، قال : كان رسول الله ﷺ يجمع حينئذ لأبيك أبويه يقول : «احمل، أبى وأمى» .

بمثل هذا الجهاد ربى الصحابة أطفالهم، لا يعرفون تكاسلاً ولا تثاقلاً إلى الأرض، وإنما يستخدمون شتى الأساليب لكيلا يستصغرهم النبى ﷺ فيردهم، فتارة يبكون وأخرى يتوارون، وثالثة يقفون على رؤوس أصابعهم، كل ذلك ليخرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله، وينالوا شهادة أخروية، لايعدلها أى شهادة فى الدنيا على الإطلاق، وبنوا مستقبلاً حقيقيًا زاهرًا مشرفًا خالدًا أبديًا فى جنات عرضها السموات والأرض .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

7 ـ تدريب الأطفال على طاعة الله تعالى بإزالة المنكرات، وتنفيذ حدود الله تعالى :

روى مالك فى الموطأ عن أنس بن مالك ﷺ قال : كنت أسقى أبا عبيدة بن الجراح، وأبا طلحة الأنصارى وأبى بن كعب شرابًا من فضيخ وتمر، قال : فجاءهم آت، فقال : «إن الخمر قد حرمت»، فقال أبو طلحة : يا أنس، قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال : فقمت إلى مهراس لنا، فضربتها بأسفله حتى تكسرت . وأمر

(١) البخارى ، فضائل باب (13) ومسلم (4/ 1880) ومسند أحمد (1/ 164) مع اختلاف فى اللفظ، وانظر : طبقات ابن سعد (3/ 106) والبداية (4/ 107) . ورواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 35) بسند صحيح .

رسول الله ﷺ أنيسًا أن يغدو على امرأة رجل ذكر أنها زنت، فقال النبى ﷺ لأنس : «اذهب إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها » فاعترفت فرجمها . عن رسالة الشافعى (1/ 25) .

8 ـ قيام أطفال الصحابة رضوان الله عليهم بواجب الدعوة إلى الله :

ليس من طبيعة هذا الدين أن يكون حكرًا على الذين آمنوا به فحسب، فيضربون عليه سورًا يمنعون الناس من الدخول إليه، وإنما دعوة ربانية عالمية، من حق كل إنسان أن يتعرف عليه، ويتأمل فيه، ويعتنقه ويصبح فى لحظة نطقه بالشهادتين أول الركب فى الدعوة إلى الله وليس من طبيعة هذا الدين الجمود والتوقف عن كسب الأفراد الجدد من يوم أعلن سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ رسالته أمام الملأ، عندما وقف على جبل الصفا إيذاناً بالرسالة والدعوة إلى توحيد الله ، فمنذ ذلك اليوم ، وقافلة الدعوة تسير فى اطراد والناس يدخلون فى دين الله أفواجًا، تاره ، وأفراداً تاره أخرى ، ودولاً ومجتمعات تارة ثالثة .

إن من خصائص الإسلام السامقة أنه نور الله فى الأرض، يراه كل من يبحث عنه، ويحس به كل من يسعى إليه، ويشعر به كل من يتحرك نحوه، فقوته فى ذاته، وذاته فى نوره، ونوره مستمد من منور السموات والأرض؛ لذلك لم يكلف أبناءه فوق طاقتهم فإذا بذل المؤمنون طاقتهم فقد أعذروا أنفسهم أمام ربهم، وتقديم نور الإسلام يبدد ظلمات الأفكار الأرضية، ودعايتها الزائفة، وبهرجتها الخادعة، لقد بذل المؤمنون منذ أول شهيدة فى الإسلام سمية أم عمار بن ياسر ـ رضى الله عنهم ـ وإلى قيام الساعة ما فى وسعهم، حتى إن المرء ليأخذه العجب عندما يرى مثل قبر قثم بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ مدفونًا فى سمرقند بجانب قبر البخارى فى بخارى، فمن حرك ذلك المؤمن إلى تلك البلاد، سوى حب الدعوة إلى دين الله عز وجل .

نعم، لقد فهم الصحابة وأطفالهم ـ رضوان الله عليهم ـ طبيعة هذا الدين

الدعوية، فتحركوا به إلى الناس كافة يبتغون رضوان الله فى هداية الناس .

وتختلف الظروف المحيطة بالداعية بين القسوة والرخاء، وبين الشدة عليه واللين به، وتتبدل مواقف الأعداء ـ بفضل من الله وبلاء من عنده ـ تجاه هذا الدين، ولكن الداعية الصادق، يبقى موقفه واحدًا لا يتغير ألا وهو الدعوة إلى الله، حتى وهو ساكت، فسكوته وكلامه، ومشيه ووقوفه، وذهابه وإيابه، وسفره وحضره، وهجرته ودعوته، إلى وطنه، له موقف واحد هو الدعوة إلى الله تنطق به كل ذرة فى خلجات جسمه وكل ذرة فى خلاياه . فإذا كان كذلك، تحرك كل شىء فيه فأصبح دعوة إلى الله، ينشر الله تعالى رضاه عليه فى الأرض، ويوضع له القبول فى السماء قبل الأرض . فهذا على ـ كرم الله وجهه ـ وهو فى مكة قد تربى على يد أفضل المربين بل سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، يتحرك فى دعوة أبى ذرالغفارى بطريقة أمنية عجيبة ، فى ظروف سرية قاسية وخطيرة ،وفى دقة وتخطيط يقظين : روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال أبو ذر ﷺ : كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبى، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتنى بخبره، فانطلق فلقية ثم رجع، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له، لم تشفنى من الخبر فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكون فى المسجد (أى الكعبة) قال : فمر بى على ﷺ وكرم وجهه ـ فقال : كأن الرجل غريب؟! قال : قلت : نعم، فقال : فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه، لا يسألنى عن شىء، ولا أسأله ولا أخبره، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرنى عنه بشىء، قال فمر بى على ﷺ وكرم وجهه فقال : أما آن للرجل يعرف منزله بعد؟ قال : قلت : لا، قال : فانطلق معى، قال : فقال : ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال : قلت له : بلغنا أنه قد خرج ها هنا

رجل يزعم أنه نبى الله، فأرسلت أخى يكلمه، فرجع ولم يشفنى من الخبر، فأردت أن ألقاه . فقال له : أما إنك قد رشدت . هذا وجهى إليه، أدخل حيث أدخل، فإنى إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى، وامض أنت، فمضى ومضيت معه، حتى دخل ودخلت معه على النبى ﷺ ،فقلت له : اعرض على الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكانى، فقال لى :

«يا أباذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل» فقلت : والذى بعثك بالحق، لأصرخن بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد وقريش فيه، فقلت : يا معشر قريش، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا : قوموا إلى هذ الصابئ، فقاموا، فضربت لأموت، فأدركنى العباس، فأكب على، ثم أقبل عليهم، فقال : ويلكم! أتقتلون رجلاً من غفار؟! ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عنى، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بى ما صنع بالأمس، فأدركنى العباس، فأكب على، وقال مثل مقالته بالأمس» .

9 ـ أطفال الصحابة يعلنون الإيمان فى أحلك الظروف وحتى الممات :

«كان إياس بن معاذ ﷺ غلامًا حدثًا من سكان يثرب، قدم فى وفد من الأوس، جاؤوا يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، وذلك قبيل حرب بعاث فى أوائل سنة (11) من النبوة، إذ كانت نيران العداوة متقدة فى يثرب بين القبيلتين، وكان الأوس أقل من الخزرج، فلما علم رسول الله ﷺ بمقدمهم جاءهم فجلس إليهم، وقال لهم : هل لكم من خير مما جئتم له؟ فقالوا : وما ذاك؟ قال : «أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد، أدعوهم أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل على الكتاب» ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ : أى قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع ـ رجل كان فى

الوفد ـ حفنة من تراب البطحاء، فرمى بها وجه إياس، وقال : دعنا عنك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة من غير أن ينجحوا فى عقد حلف مع قريش .

وبعد رجوعهم إلى يثرب، لم يلبث إياس أن هلك، وكان يهلل، ويكبر، ويحمد، ويسبح عند موته ، فلا يشكون أنه مات مسلمًا»[1] .

وهكذا رأينا أن الطفل عندما يؤمن بالعقيدة، فإن قلبه لا يعرف النفاق، ولا حب الدنيا، وإنما يخلص للعقيدة، ويسعى لتنفيذها وتطبيقها، ويذكر الله تعالى وتطيب نفسه بذكره، ويسبح ويهلل كل ذلك يفعله بلذة عارمة وفرح شديد ، وتجاوب مع فطرته التى فطره الله عليها من الإيمان، فالأطفال هم الطريق لاستئناف حياة إسلامية راشدة خالدة، وهم المعنيون بآيات التهديد للكبار ـ والله أعلم ـ باستخلاف غيرهم فى الآيات الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

[المائدة] .

فإذا استكبر الكبار عن الدعوة إلى الله، وتبليغ شرعه، فإن الله تعالى ينشئ من الصغار جيلاً مؤمناً صفاتهم : ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍ ﴾ فلا يخافون لوم اللائم كائنًا ما كان ذلك اللائم، وأيا كان نوعه وشكله، ومهما كان مصدره .

والأطفال هم المعنيون فى مثل قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد] .

(١) الرحيق المختوم (ص 129) .

فهذا الاستبدال من الكبار الذين لا يستجيبون لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، فإذا توقفت الدعوة مع الكبار، وتجمدت معهم، فإن فى إنشاء الأجيال الطفولية خير معين، وخير رافد للدعوة . وهم بصفائهم أكثر قبولاً وهم بفطرتهم الإيمانية أسرع تنفيذاً لأمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ وهم بصدقهم أكثر حمية وغيرة على شرع الله تعالى، وهم بعاطفتهم أسرع تحركاً وتحريكاً للمجتمع، وهم بحبهم ينشرون الدعوة بين الكبار أكثر تأثيرًا ونفوذًا إلى نفوس الكبار المتبلدة المنشغلة بالدنيا، الناسية للآخرة . فهل نصحو؟ وهل نعيد ترتيب البيت الدعوى وأولوياته الدعوية؟ وهل نتبطأ ونتثاقل كتثاقلنا مع الكبار؟!

اللهم إليك أشكو ضعفى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين .

10ـ هجرة الصغار فى سبيل الله تعالى :

هجرة الصغير مع أهله وعشيرته من الوطن فى سبيل الله تعالى، تتكرر صورها وأشكالها، وأسبابها ومسبباتها، وأصبحت فى هذا العصر سمة ظاهرة فى كثير من بقاع العالم الإسلامى، نتيجة تسلط الأعداء عليهم .

وقد بدأت هجرة الصغار منذ عهد رسول الله ﷺ فقد روى البخارى عن أبى موسى رضي الله عنه قال : بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لى، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال : فى بضع، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى ، فركبنا سفينة ألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال : فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم . ورواه مسلم كاملاً والترمذى وأبو

داود .

الأساس العقدى السادس : تعليم الطفل حرمة دم المسلم وماله وعرضه :

شدد الرسول ﷺ فى خطبة الوداع، وهو يودع الأمة للقاء الله تعالى، على حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وكان من بين الحاضرين الكبار والصغار، والرجال والنساء، فقال ﷺ : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا،فى شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال : «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت ؟» قلنا : نعم ، قال : «اللهم اشهد» . متفق عليه .

ودليل وجود الأطفال وسماعهم خطبة حجة الوداع وجود الفضل بن العباس وهو صغير، وغيره من الأطفال :

عن أبى أمامة ﷺ قال : لما كان فى حجة الوداع قام رسول الله ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال : «يا أيها الناس، خذوا من العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع ...» الحديث رواه أحمد والطبرانى وابن ماجه طرف منه .

ويبين الرسول ﷺ خطورة الوقوع فى دم المسلم فقال ﷺ : «لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ، ما لم يصب دماً حراماً » رواه البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما .

وبعد حصول الفتنة الكبرى بين الصحابيين الجليلين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ والتى كان من حكمتها التى ظهرت، أن ظهر (فقه البغاة) وطريقة التعامل معهم، وحث الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين والسلف الصالح على الاعتقاد الحسن بالطائفتين، وأنهما من

المؤمنين، وغدا فى عهد عمر بن عبد العزيز تعليم الصبيان هذا الموضوع، يقول الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ فى رسالته [1] إلى عالم البصرة عثمان البتى ـ رحمه الله :

(وإنى أقول فيما مضى من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان بينهم : الله أعلم، ولا أظن هذا إلا رأيك فى أهل القبلة، لأنه أمر أصحاب رسول الله ﷺ وأمر حملة السنة والفقه .

زعم [2] أخوك عطاء بن أبى رباح، ونحن نصف له هذا : إن هذا أمر أصحاب رسول الله ﷺ وزعم أخوك نافع هذا، وأنه فارق ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ على هذا .

وزعم سالم عن سعيد بن جبير : هذا أمر أصحاب محمد ﷺ وزعم ذلك أيضًا عبد الكريم عن طاوس عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أن هذا أمره قد بلغنا عن على بن أبى طالب ﷺ حين كتب القضية أنه يسمى الطائفتين مؤمنين جميعًا .

وزعم ذلك أيضًا عمر بن عبد العزيز كما رواه من لقينى من إخوانك فيما بلغنى عنك، ثم قال : ضعوا لى فى هذا كتابًا، ثم أنشأ يعلمه ولده، ويأمركم بتعليمه .

علمه جلسائك رحمك الله تعالى، فكان بمكان من المسلمين .

واعلم أن أفضل ما علمتم، وما تعلمون الناس السنة، وأنت ينبغى لك أن تعرف أهلها الذين ينبغى أن يتعلموها» .

فانظر رعاك الله إلى فقه الإمام أبى حنيفة فى أصحاب رسول الله ﷺ وانظر توريث حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وعدم الوقوف فيه، كيف كان يورثه عمر ابن عبد العزيز الخليفة العادل إلى أبنائه، ويأمر المسلمين فى وضع كتاب بذلك،

(١) سيتم إن شاء الله تعالى نشر رسائل أبى حنيفة فى العقيدة، وهى خمس رسائل .
(٢) الزعم هنا بمعنى القول الحق بقرينة المقام وهو من الأضداد، فكل هؤلاء لا يرون نفى الإيمان عن مرتكب الكبيرة . قاله الكوثرى ـ رحمة الله ـ على تعليقه للرسالة .

وتدريسه للناس ،وخاصة طلاب العلم صغيرهم وكبيرهم .

وإن توريث الحماس الدينى فى الأطفال والفتيان والشباب شىء مهم، ولكن الأهم منه هو توريثهم الحماس مع حسن الاعتقاد بحرمة دم المسلم وماله وعرضه، وأن مرتكب الكبيرة يبقى من المسلمين، ولا ينتفى عنه صفة الإيمان ،وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث

تهذيب الدافع الجنسي للطفل

تمهيد :

أسس تهذيب الدافع الجنسي للطفل .

الأساس التهذيبي الأول : استئذان الطفل في الدخول .

الأساس التهذيبي الثاني : تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة.

الأساس التهذيبي الثالث : التفريق قي المضاجع بين الأطفال .

الأساس التهذيبي الرابع : نوم الطفل علي شقه الأيمن .

الأساس التهذيبي الخامس : ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية .

الأساس التهذيبي السادس : تعلم الطفل المميز فروط الغسل، وسننه .

الأساس التهذيبي السابع : شرح مقدمة سورة النور للطفل المميز.

الأساس التهذيبي الثامن : المصارحة الجنسية للطفل المميز، والتحذير من الفاحشة .

الأساس التهذيبي التاسع : الزواج المبكر .

خاتمة : علامات البلوغ .

تهذيب الدافع الجنسى للطفل [1]

تمهيد :

حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكوينا منسجما مع طبيعته التى خلقها الله، ومع فطرته التى فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن فى الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط .

والدافع الجنسى خلقه الله تعالى فى النفس البشرية ليكون سببا فى استمرار الكائنات الحية جميعها، ومن بينها الإنسان، وقد خص الله تعالى زمنا معينا لتفجير هذه الطاقة فى الإنسان؛ ليصبح قادرًا على الإنجاب... وسمى الشرع الحنيف هذا السن بسن التكليف، أي : بدخول الطفل هذا السن يصبح مسؤولا عن تصرفاته، محاسبا على أعماله .

ولكى يسير الدافع الجنسى فى نفس الطفل بشكل هادىء، بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الانحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواه؛ وذلك لكى يتهذب الدافع الجنسي، ويبقى متوازنا طاهرا بلا انحراف، نقيًا بلا تلوث .

فما هى الأسس والقواعد الضابطة التى خصها رسول الله ﷺ فى تهذيب الطفل جنسيًّا؛ وذلك ليقوم الوالدان باتباعها، فيحفظوا بها طفلهم من الانحراف الجنسي، وتبقى فطرته نظيفة طاهرة عفيفة، لم تخدشها الجاهلية بمستنقعها الآسن؟

(١) أمور الجنس بحاجة لتهذيب وليس إلى بناء لأنها موجود فى النفس بشكل قوي، فالحاجة إلى تهذيبها هو العملية التربوية، بخلاف غير المسلمين الذين يبيحون الجنس فى كل مراحل العمر بالاتصال المحرم .

الأساس التهذيبى الأول : استئذان الطفل فى الدخول :

الطفل يعيش فى منزله كثيرا، ويتنقل سريعا فى أرجاء البيت، والاستئذان بالنسبة له أمر صعب وشاق فى كل لحظة، وفى كل آن، لذلك وجدنا القران الكريم يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية، والتوجيه، وذلك بأسلوب تدريجى رائع، فحددها له أولا، وهو طفل صغير أن يستأذن فى ثلاث أوقات حساسة : من قبل صلاة الفجر... ووقت الظهيرة عند القيلولة .. وبعد صلاة العشاء .

ونلاحظ أن هذه الاوقات هى أوقات نوم الوالدين، وقد دخلا فى غرفة النوم، حتى إذا قرب من سن الاحتلام وجب عليه الاستئذان فى البيت فى الدخول على والديه فى كل آن، وكلما وجد أمامه الباب مغلقا فى وجهه ، ووالداه فى الغرفة .

فلنعش لحظات مع التوجيه القرآنى الذى يخص هذا الأمر بالتفصيل، والبيان دون غيره، لما له من أهمية كبيرة فى ميزان الشرع .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩ ﴾ [النور] .

«ففى هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم وأن يستأذن الصغار المميزون، الذين لم يبلغوا الحلم، كيلا تقع أنظارهم على عورات أهليهم .

وهو أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية،

والعصبية، والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة !

وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم ـ بعد تقدم العلوم النفسية ـ أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية، وعصبية، يصعب شفاؤهم منها» [1] .

فهل تريدان أيها الوالدان أن يمرض طفلكما ؟ وبأى مرض؟ إنه بالأمراض النفسية، والعصبية، التى يصعب شفاء الطفل منها .

وما هو السبب يا ترى؟ إنه تهاون الوالدين فى تعويد طفلهما الاستئذان للدخول فى الأوقات الثلاثة، التى تكون فيها عورات الوالدين منكشفة، لهذا نجد النبى ﷺ يعلم أن الاستئذان كما روى البخارى فى الأدب المفرد [2] .

عن أنس قال : كنت قادمًا للنبى ﷺ، فكنت ادخل بغير استئذان، فجئت يوما فقال : كما أنت يا بنى، فإنه قد حدث بعدك أمر: «لا تدخلن إلا بإذن» .

ومن هنا وجب أيضا على الوالدين أن يسترا عوراتهما فى كل آن أمام طفلهما، لكى يساعداه على سير غريزته الجنسية بشكل طبيعي، دون تسرع بالمهيجات، فلنتجنب .. ولننتبه .. ولنستجب لنداء الله تعالى ورسوله لما يحيينا .

حكم الطفل غير المميز :

إن الطفل الصغير الذى لا يميز محاسن وقبح النساء، وكذلك البنت التى لم تبدأ معالم البلوغ عندها، لهما حكم خاص بهما نصت الآية عليه :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

(١) فى ظلال القران (18/ 123) .
(٢) من الحديث (807) .

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور].

وهذه عائشة ـ رضى الله عنها ـ يأتيها الصبيان والصغار، ويرون لباسها، قال عطاء : كنت آتى عائشة أنا وعبيد بن عمير، وهى مجاورة فى جوف ثبير، قلت : فما حجابها حينئذ؟ قال : فى قبة لها تركية، عليها غشاء لها، بيننا وبينها، قال : ولكن قد رأيت عليها درعا معصفرا، وأنا صبي [1].

الأساس التهذيبى الثانى : تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة :

أن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبع فى ذهنه، ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة ... فإذا تعود غض بصره عن العورات كافة المنزلية والخارجية، مستعينا بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الطفل الصالح عبدالله التسترى، الذى كان يردد ورده القلبى قبل أن ينام : «الله شاهدي .. الله ناظري .. الله معى» فإن ذلك يورث حلاوة الإيمان، التى يجدها الطفل فى نفسه .

وقد يتهاون الطفل أحيانا، وينسى أخرى، ويغلبه هواه فى لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموطن؟

أخرى البخارى والترمذى وأبو داود عن عبد الله بن عباس قال :

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (5/ 67) قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقا : وأخرجه البخارى دون قوله : «وأنا صبي» (3/ 311) .

«كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»[1].

وروى أحمد عن الفضل بن عباس قال: كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع إلى مني، فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابى مردفا ابنه له جميلة، وكان يسايره، قال: فكنت أنظر إليها، فنظر إلى النبى ﷺ فقلب وجهى عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهى عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثا، وأنا لا انتهى، فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة[2].

وروى زنجويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان الفضل بن عباس رديف النبى ﷺ يصرف وجهه بيده ويقول: «ابن أخى، إن هذا يوم من غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غفر له»[3].

وفى رواية ابن جرير فى «تهذيب الآثار» أن العباس قال للنبى ﷺ:

رأيتك تصرف وجه ابن عمك! فقال رسول الله ﷺ: «رأيت جارية حدثة، وغلاما حدثا، فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

وعن ابن عباس رضي الله عنه ما قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ قال: فأنت رسول الله ﷺ امرأة من خثعم تستفتيه، قال: فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، قال: فجعل يصرف وجه الفضل بيده إلى الشق الآخر، قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم».

---

(١) الكنز (5/ 188و204) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 261).
(٢) المسند (1/ 211).
(٣) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 260) وأبو يعلى فى مسنده (1/ 264).

رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 343) ورواه البخارى ومسلم .

فإذا لا بد من تعويد الطفل غض البصر عن العورات فى كل مكان، حتى لاتتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر، السريع الشاذ، الذى قد يسبب اضرارا، وأخطارا ذاتية، وجسمية، ونفسية، واجتماعية، وخلقية .

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله تعالى ـ فى إحدى خطبه قول أحد علماء الألمان حول أهمية غض البصر، وأنه العلاج الوحيد للجنس قوله :

لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس، فلم أجد دواء انجح، وانجع من القول فى الكتاب الذى نزل على محمد ﷺ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: 30] .

أما ستر العورة فإن الطفل يتعودها مع بداية أمره بالصلاة، حيث لا بد أن يكون لباسه ساترا لعورته، وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره، وبالتالى ينشأ على حب ستر العورة، صبيا كان أم بنتا، فالصبى يلبس ما يستر عورته، والبنت كذلك، وتزيد عليه أن تتعود الحجاب، فتبدأ بحجاب الصلاة، وهكذا ينشأ الطفل مستقيما صالحا مهذبة نفسه، قويمة أخلاقه، قويا فى إيمانه .

الأساس التهذيبى الثالث : التفريق فى المضاجع بين الأطفال :

وهو ركن أساسى فى تهذيب الطفل جنسيا، وعدم إثارة غريزته بشكل سىء، وهذا لا نظير له فى العالم كله من تشريعات ... إنها نظرة النبوة، والدقة النبوية فى تهذيب الطفل، والاهتمام به، فروى أبو داود بسند حسن عن النبى ﷺ :

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع» .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (1/ 201) وقال : صحيح على شرط مسلم

وأقره الذهبي: «إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم، وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة» . ورواه الدارقطنى (1/ 230) .

إذا هذا التفريق يبدأ فى سن العاشرة، حيث تكون الغريزة فى طريقها للنمو، ولكن كيف يتم التفريق فى المضجع؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان فى سرير واحد، إما على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج . وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل .

قال العلامة شاه ولى الله الدهلوي :

«وإنما أمر بتفريق المضاجع، لأن الأيام أيام مراهقة، فلا يبعد أن تفضى المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه» [1] .

لذلك فان النوم فى فراش تحت لحاف واحد، يؤدى بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وان تتأجج فلا تجد طريقا لإنقاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسي . وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببا فى دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم، فوضعوهم فى مخالفة أوامر النبى ﷺ !

ورسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٢ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم] يقدم لنا أمرا صريحا : «وفرقوا» فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه «بينهم فى المضاجع» . فأين التربية الغربية والشرقية من التوجيه النبوى الرائع؟!

الأساس التهذيبى الرابع : نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه :

اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان ...

(١) حجة الله البالغة (1/ 186) .

فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدى ذلك إلى كثرة حـك أعضـائه التناسـلية التـى تثـير شهوته فى هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل فى هذه الحالة نائما غيرا مـن حالتـه، وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضـلا عـن أن النوم على الصدر يورث كثيرا من الأمراض الجسمية ... والأطبـاء جميعـا بـدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن .

الأساس التهذيبى الخامس : ابتعاد الطفل عن الاختلاط، والمهيجات الجنسية :

انطلاقا من القاعدة القائلة : «وبضدها تتميز الأشياء»، سنعرض بين يـديك التجربة الأوروبية فى الاختلاط، وما نتج عنه بين الأطفال ذكورا وإناثا، الأمر الذى تشمئز منه النفوس الطاهرة العفيفة، فقد أورد الشيخ وهبى سليمان الغـاوجى عـن التجربة الغربية، وأننا إذ نقدم هذه التجربة الفاشـلة للآبـاء والمـربين؛ لأن النفـوس المسلمة الضعيفة تعودت أن تأخذ التجربة الأوروبية محل اعتبـار وتقـدير، وتتثاقـل مسامعها مـن وعـظ الـواعظين فى المسـاجد والخطـب، وهـم يحـذرونهم مـن وبـاء الاختلاط، فإليك هذه الطائفة من الحوادث، إن فى ذلك لذكرى لمـن ألقـى السـمع وهو شهيد، فقال :

«حدثنى الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سـنين فى رحلـة علمية إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك، وهى تقوم بجولات فى مدارسـها، جميع طلابها بنات، فسأل المديرة : لماذا لا تخلطون البنين مع البنات فى هذه المرحلـة؟ قالت : قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى فى سن المرحلة الابتدائية» .

وإن لم تصدق هذا الكلام، فإليك الأرقام لتتكلم معك :

«قال القاضى لندسى فى كتابه «تمرد النشء الجديد» : إن الصـبية فى أمريكـا قـد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جدا يشتد فيهم الشعور الجنسي» .

ويحدث هذا القاضى عن أحوال (312) صبية على سبيل النموذج فيقول :إن (255) صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سنى أعمارهن، فيهن من أمارات الشهوة الجنسية، والمطالب الجنسية ما لا يكون عادة إلا فى بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سنا .

ويقول الدكتور أديت هو كر فى كتابه «القوانين الجنسية» :

«إنه ليس من الغريب الشاذ، حتى فى الطبقات المثقفة : أن بنات سبع، وثمانى سنين منهن يخادن لداتهن مع الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة .

بنت فى السابعة من عمرها من بيت عريق فى الشرف والمجد، ارتكبت الفحشاء مع أخيها، وعدد من أصدقائه . ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاورين، متقاربى البيوت، وجدوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضا، وكان أكبر أولئك سنا ابن عشر سنين، وبنت أخرى فى التاسعة كانت فى ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة، وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوى عدد!!

«وقد جاء فى تقرير طبيب من مدينة بالتيمور : إنه رفع إلى المحاكم فى تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة فى مدة سنة واحدة، كلها فى ارتكاب الفاحشة مع الصبايا دون الثانية عشرة من العمر» .

«يخمن القاضى لندسى الأمريكى أن (45٪) من فتيات المدارس تدنسن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيرا فى مراحل التعليم العالية، فيكتب : أن الطالب فى المدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابا، فالصبية هى التى تتقدم أبدا، وتأمر، وما يفعل الصبى إلا أن يتبع ويأتمر»[1].

(١) المرأة المسلمة (ص 243) .

ومن المؤسف، والمؤلم، والمحزن أن كثيرا من البلدان الإسلامية بدأت تسير على هذا النهج فى اختلاط الصبيان مع البنات ... وهذا تأمر على الفساد المجتمع، وتوهين بنية الأجيال .

الأساس التهذيبى السادس : تعلم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه :

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبي، والبنت على السواء، عند ذلك وجب عليهم تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر ـ الجنابة ـ وسننه، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه، وعن طبيعة المادة التى تخرج، ولونها، أي : يقدمان لهم درسا فى فقه الغسل من كتب الفقه، ولأن يحدثهم الآباء حديثا هادئا عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدى السوء لتنتشلهم، ويقدمون لهم السم الزعاف، وعمر بن الخطاب ﷺ يقول : «ينقض عرى الإسلام عروة من نشأ فى الإسلام ولم يعرف الجاهلية» .

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثا وأحاديث عن فقه الإسلام فى هذه المادة، التى تخرج من جسم الإنسان، وماذا يفعله الإنسان فى مقابل ذلك، وما يعنى خروج هذه المادة بالنسبة للشرع؟

إنه يعنى دخول سن التكليف فى الحياة ... إنه بدء الفرائض على الإنسان، والنواهى الربانية له ... وبذلك أصبح الإنسان محاسبا على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله، وأن الملكين رقيبا وعتيدا، بدا كل منهما مهمته فى تسجيل الحسنات والسيئات إلى غيره ذلك من مواعظ هادئة، تنبه الطفل نحو العمل الصالح، وكراهية العمل الطالح .

الأساس التهذيبى السابع : شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرق فى مضجعه عن أخوته، فهذا يعنى أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويدا رويدا .

ففى هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيمانية فى نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم فى غريزته، وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله تعالي، فكان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يقدمون لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهتمون بتحفيظها فى سن المراهقة قبل البلوغ وخاصة البنات .

روى مجاهد عن النبى ﷺ أنه قال : «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نسائكم سورة النور» رواه سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى فى شعب الإيمان ورمز السيوطى لضعفه [1] .

وقد أوضح الجاحظ : «بأن المعلمين كانوا يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور» [2] .

وكان أمير المومنين عمر بن الخطاب ﷺ يكتب فى الآفاق :

«لا تدخلن امرأة مسلمه الحمام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور» [3].

الأساس التهذيبى الثامن : المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاحشة :

قلنا: إن الطفل يعلم، ويحفظ سورة النور، التى تتضمن البناء الخلقي، والتهذيب الجنسى للطفل، وتحذره من الوقوع فى الفاحشة .

وبعد تعلمه فرائض الغسل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيرا شديدا من الوقوع فى الفاحشة، ويشرح له وذلك حسب البلد الذى يعيش فيه الطفل، هل فى بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا؟ أم فى بلد إسلامى محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التى بلغ فيها ذلك الطفل، هل هى إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب أن يشرح

(١) انظر : الجامع الصغير (4/ 328) .
(٢) البيان والتبين (2 / 92) .
(٣) رواه عبد الرزاق فى مصنفه (1/ 295) .

للطفل المسلم البالغ ما هو الزنا، حتى يجتنبه، ويبتعد عنه، وذلك من أجل ألا يقع فى الزنا، ثم يقول : أنا لا أدرى كيف هو؟ وما حكمه؟

ويروى له حديث رسول الله ﷺ التالى :

روى أحمد والطيرانى عن أبى أمامة أن فتى من قريش أتى النبى ﷺ فقال :

يا رسول الله، ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا : مه .. مه..

فقال : «ادنه»، فدنا منه قريبا، فقال :

«أتحبه لأمك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» .

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال :لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال «ولا الناس يحبونه لبناتهم» .

قال : «أتحبه لأختك» قال، لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» .

قال : «أتحبه لعمتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لعماتهم» .

قال : «أتحبه لخالتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» .

قال : فوضع يده عليه، وقال : «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» . قال : فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شىء .

ويعرف كذلك بعقوبة الزنا، وإقامة الحد :

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى أنهما قالا فى الإعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما : إن ابنى هذا كان عسيفا ـ يعنى : أجيرا ـ على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابنى منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم

فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة والغنم رد عليك، وعلى ابنك مئة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» .

الأساس التهذيبى التاسع : الزواج المبكر :

مهما قيل فى الزواج المبكر من مساوى فى العصر الحاضر، فان محاسنه

تفوقه، وخاصة اذا صحبه تامين الحياة المادية، سواء من مساعدة الوالدين، او من كسب الفتى الناشئ وما امراض الامة النفسية والاجتماعية، والحوادث الجنائية الانتيجة طبيعية لتاخير الزواج، ولن نناقش هذا الامر كثيرا، فحسبنا ان نقدم من حياة السلف الصالح هذه النماذج التى قدمها الامام الراوى عبد الرزاق المتوفى سنة (211هـ) فى مصنفه، باب: نكاح الصغيرين المجلد السادس صفحة(163):

1. عن عروة قال: نكح النبى ﷺ عائشة وهى بنت ست، واهديت اليه وهى بنت تسع، ولعبها معها، ومات عنها وهى بنت ثمانى عشرة. (1)

2. وعن ابى جعفر قال: خطب عمر الى على ابنته فقال: انها صغيرة، فقيل لعمر: انما يريد بذلك منعها، قال: فبعث بها اليك، فان رضيت فهى امراتك، قال: فبعث بها اليه، قال:فذهب عمر، فكشف عن ساقها، فقالت: ارسل، فلولا انك امير المؤمنين لصككت عنقك.

وقد علل عمر زواجه من بنت علي، وهى صغيرة، بقوله:

عن عكرمة قال: تزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت على بن ابى طالب،

وهى جارية تلعب مع الجواري، فجاء الى اصحابه، فدعوا له بالبركة، فقال

(1) قال المحقق حبيب الرحمن الا عظمي: وأخرجه مسلم، وفيه: «لعبتها» ورواه ابو داود فى النكاح.

لم اتزواج من نشاط بي، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الاسببى ونسبي» فاحببت ان يكون بينى وبين نبى الله ﷺ سبب ونسب.

3. وعن الحسن، والزهري، وقتادة، قالوا: اذا انكح الصغار اباؤهم جاز نكاحهم. قال عبد الرزاق: وبه ناخذ.

4. وعن ابن طاووس عن ابيه قال: اذا انكح الصغيرين ابوهما، فهما بالخيار اذا كبرا.

5. وعن الزهري: ان عروة بن الزبير انكح ابنه صغيرا ابنة لمصعب صغيرة.

6. وعن هشام بن عروة قال: زوج ابى ابنه صغيرا هذا ابن خمس، وهذا ابن ست، فمات فورثته اربعة الاف دينار، او نحو ذلك.

يكفى ان تعلم فنوى قيادة التابعى إذ يقول: كان بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه فأصاب فاحشة إثم الأب. رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 333).

وقال ابن عباس ﷺ ما: من رزقه الله ولدا فليحسن اسمه وتأديبه، فاذا بلغ فليزوجه.

وقال عبد الله بن ابى حسين المكي: كانوا اذا أدرك لهم ابن عرضوا عليه النكاح، فان قبله، والااعطوه ما ينكح به، وقالوا: انت اعلم باريك. رواهما ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال(1/ 335-334).

قال الإمام الشيرازى الشافعى فى المهذب:

« ويجوز لولى الصبى ان يزوجه اذا راى ذلك، لما روى ان عمر ﷺ زوج ابنا له صغيرا، ولانه يحتاج اليه اذا زوجه الف حفظ الفرج.

وهل له ان يزوجه باكثر من امراة؟ فيوجهان: احدهما: لايجوز، لان حفظ الفرج يحصل بامراة، والثاني:يجوز ان يزوجه باربع، لانه قد يكون له فيه حفظ.

وقال الشافعي- رحمه الله: له ان يزوجه بزوجة واثنتين وثلاث واربع، كالبالغ[1].

فزواج الصغير والصغيرة سنة السلف الصالح، حتى افرد له الفقهاء ابحاثا كما وجدت، بل يرون تعدد الزوجات للصغير، وانها من نفائس الفقه الاسلامى المحافظ على العفه والطهارة والنسب.

ان غير المسلمين يرتكبون الفاحشة صغارا وكبارا، وبنى جلدتنا عندما يسمعون احكام الشريعة يتذمرون منها، ويرفعوا اصوتهم، ولست ادرى اللعفة يدعون؟! ام جهنم ينتظرون؟!

ان الزواج هو الطهارة، وهو الفطرة، وهو المجتمع، وهو الدولة، ومتى انهار سوق الزواج، راج سوق الفاحشة، فانهار الانسان، وانهار المجتمع، وانهارت الدولة حتى لو كانت تملك السلاح النووي، واكبر المصانع، لان الذى يديرهما هو الانسان، ومتى انهار الانسان تبعه شتى انواع الانهيارات الا خري.

وان الصبية المتوفى عنها زوجها لتجلس فى عدتها، روى البحارى عن االزهرى قال: لا ارى ان تقرب الصبية المتوفى عنها: الطيب، لان عليها العدة.

وان العالم -ألان- تقض مضاجعه القنوات الفضائية الفاجرة، وصيحات المخلصين المصلحين لاتحد لها إذنا صاغية، لان تيار العنف الجنسى جازف للكبار والصغار، فما على المسلمين الغيورين على دينهم ودين ابنائهم سوء فى التبكير فى الزواج، فلئن صلح الولد فى البيت، فان خطر الرفقاء السوء فى المدرسة والمختمع اصبح قريبا جدا، لقرب القنوات الفضائية الفاجرة من اولئك الفسقة الفجرة، لذا فان عودة المسلمين الى سنة السلف الصالح فى تبكير سن الزواج لهو الجير والبركة، خير لان فيه عصمة من انحراف الولد صبيا اوبنتا نجو الرذيلة والخنا،

(١) انظر: المهذب، تحقيق د. محمد الزحليى 4/ 134 مع حاشيته، ورجع القول الثاني.

وبركة لان فيه انجاب الذرية المسلمة المباركة، وتكثير عدد المسلمين الصالحين فإلى الغيورين والمصلحين والمفكرين اقدم هذا الراى والله الموفق وهو الهادى للصواب.

سؤال فقهي: ماهو سن زواج الصغيرة؟

قال مالك والشافعى وابو حنيفة: حد ذلك ان تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس فى حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك فى سن اطاقته قبل تسع، ولا الاذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعا[1].

خاتمة: علامات البلوغ:

هناك علامتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف ، وهما الاحتلام، او ظهور شعر العانة تحت السرة .

1 - **لاحتلام:**

فقد نصت الاية: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[النور: 24/ 59].

وروى ابو دواد عن علي- كرم الله وجهه-قال: حفظت عن رسول الله ﷺ :

« لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم الى الليل».

2 - **ظهور شعر العانة:**

عن عطية قال: «عرضنا على النبى ﷺ يوم قريظة، فكان من انبتت عانته قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت ممن لم ينبت فخلى سبيلي». رواه الخمسة، وصححه الترمذي.

وفى لفظ: «فمن كان محتلما او انبتت عانته قتل ومن لا ترك»رواه احمد والنسائي[2].

(١) انظر: بذل المجهود فى حل ابى داود (10/ 145) طبع دار الكتب العلمية- بيروت.

(٢) ورآه الحاكم فى مستدركه(4/ 390) بلفظ: «كتب غلاما يوما حكم سعد بن معاذ فى بنى قرية ان تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذررتهم، فشكوا فى فلم يجدونى انبت الشعر، فها انا ذا بين أظهركم».

وعن سهرة بن جندب ان النبى ﷺ قال: «اقتلـوا شـيوخ المشرـكين، واسـتحيوا شرخهم». والشرخ: الغلمان الذين لم ينبتوا. رواه الترمذي، وصححه.

3- **الصبى اذا بلغ خمس عشرة اقيمت عليه الحدود:**

رواه البيه قى فى «الخلافيان» عن انس.

الفصل الخامس

بناء سلوك الطفل الإسلامي

المبحث الأول : البناء الأخلاقى للطفل

المبحث الثانى : البناء الجسمى للطفل

المبحث الثالث : البناء الاجتماعى للطفل

تمهيد :

يتشكل سلوك الانسان حسب مفاهيمه التى يحملها، وهذه المفاهيم تتشكل حسب عقلية الانسان ونفسيته، فاذا اتحدت القاعدة التى شكلت العقلية والنفسية أنتجا سلوكا مطابقا لهما. وبالتالى جاء سلوكه متزنا مع أفكاره ومشاعره.

فاذا أردنا تصحيح سلوك الطفل دائما، فلا بد من تصحيح عقليته ونفسيته كما سبق بياته. واذا لم يتم تصحيح ذلك، فانه عند ذلك يستجيب استجابة بغائية، سرعان ما تزول، لأنه لم يتم تصحيح عقليته ونفسيته، أى لم يصحح مفهومه عن السلوك الخاطب والسلوك الصحيح، لان تعميق بناء العقيدة والتحافكم اليها فى كل شيء، سواء الأفكار او الميول، ينتج عنه غالبا سلوك صحيح، منسجم مع فطرته وعقليته ونفسيته.

وسلوك الطفل الإسلامى يرتكز على ثلاثة أمور:

الأول : بناء الأخلاق ليتم سلوكه الأخلاقي.

الثانى : بناء جسمه ليتم اكتساب الثقة فى الحركة الاجتماعية

الثالث : البناء الاجتماعي، ليكتسب الطفل سلوكا اجتماعيا سليما صحيحا فى الأسرة والمدرسة والمجتمع.

وكل من الأمور الثلاثة مركب تسلسلي، أي: بمعنى ان الطفل تربى اخلاقه وجسمه حتى ينتج عنه سلوك اجتماعى صحيح، فالطفل غير الأخلاقى سينتج عنه سلوك اجتماعى خاط، كما ان الطفل صاحب الجسم الهزيل او المريض، لن يكتسب الثقة للتفاعل الاجتماعي.

المبحث الأول

البناء الأخلاقى للطفل

تمهيد :

- **الأساس الأول**: خلق الأدب
- **الأساس الثاني**:خلق الصدق.
- **الأساس الثالث**: خلق كتم الأسرار.
- **الأساس الرابع**:خلق الأمانة.
- **الأساس الخامس**:خلق سلامة الصدر من الأحقاد.
- **الأساس السادس**:خلق حسن الوفاء بالعهد.

خاتمة : مثال عملى من خلق الرسول ﷺ مع الأطفال.

- ((من أحسن أدب ولده أرغم أنف عدوه))(١)

((كاد الادب يكون ثلثى الدين))

الأمام عبد الله بن المبارك(٢)

((من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يوقع عنده باطلا، فيوقع فى قلبه شبهة))

ابو على الزقاق رحمة الله(٣)

---

(١) نصيحة الملوك (ص172).
(٢) مقدمة كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك تحقيق الشيخ حبيب الرحمن العظمي- رحمه الله.
(٣)انظر: معيد النعم ومبيد النقم للإمام ألسبكى - رحمه الله- (ص69).

●الأساس الأول: خلق الادب:

- مادو رد فى غرس الادب فى الاطفال.
- نماذج من حياة السلف الصالح.
- أنواع الآداب النبوية للأطفال.

1-الادب مع الوالدين.

-أدب خطاب الوالدين وندائهما.

-أدب النظر الى الوالدين.

2- الادب مع العلماء.

- متورد فى الادب مع العلماء.

- نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء.

3- أدب الاحترام والتوقير.

4- أدب الأخوة.

5- أدب الجار.

6-أدب لاستئذان.

7- أدب الطعام.

8- أدب مظهر الطفل (أدب الشعر والحلاقة - ادن اللباس)

9- أدب استماع القران.

البناء الأخلاقى للطفل

تمهيد :

الخلق بضم اللام وسكونها: السجية والطبع، كذا فى الصحاح، وذكر القرط بى فى تفسيره: الخلق فى اللغة: هو ما اخذ الانسان به نفسه من الأدب، لأنه يصير كالخليقة فيه، فأما ما طبع عليه من الأدب فهو الختم، وهو بالكسر: السجية، والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخلق: الطبع المتكلف، والختم: الطبع الغريزى [1] .

وبناء على تعريف القطبى للخلق، فان الطفل يحتاج لهذا البناء الأخلاقي، وذلك لتكون حركة الطفل الاجتماعية- السابق ذكرها فى الباب الثالث- سليمة، وهذا الجهد لابد منه، لان عملية الانتقال من الطبع المتكلف، الى الطبع الغريزى صعبة، وزمنها يمتد حتى عمر الانسان، وهو يقوم اخلاقه، وبالتالى فان جهد الوالدين والمربين يكون لازما فى هذه المرحلة التطفلية، التى ذكرنا انها تتميز بالفطرية، والصفاء، وسرعة التلقي، والاستجابة.

وقد أشار الى هذا المعنى كبار العلماء، منهم ابو حامد الغزالى كما تقدم ذكره فى بداية الكتاب، ومنهم ابن القيم فى كتابه- أحكام المولد- حيث قال:

«ومما يحتاج اليه الطفل، اشد الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه، فانه ينشا على ما عوده المربى فى صغره: من جرد[2] غضب، ولحاج، وعجلة، وخفة مع هواه، وطيش، وحدة، صفات، وهيئات، راسخة له، فان لم يتحرز منها، غاية التحرر، فضحته لابد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التى نشا عليها».

وقد حض العلامة الشيخ محمد الخضر حسين - شيخ الأزهر سابقا- رحمة الله

(١)عن : فتح الغفار بشرح المنار لابن نجين الحنفي، وهو كتاب أصول فقه فى المذهب الحنفي(1/ 7).
(2) الحر: لاعتزل والتنحي، يقال: جرد يجرد حدودا: اذا غضب، فهو: حار، وحدود، وحران.

على اهمية استغلال فترة الطفولة فى غرس الأدب، والخلق الحسن، فقال:

«ان الصبى يولد على الفطرة الخالصة، والطبع البسيط، فاذا قوبلت نفسه الساذجة، بخلق من الأخلاق، نقشت صورته فى لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة، تمتد شيئا فشيئا الى ان تأخذ بجميع إطراف النفس، وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا انا اذا رأينا فى الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذب الألمعية، لنرتاب فى دعوى، انه ممن أنبته الله فى البيوت الفاضلة، نباتا حسنا» [1] .

وبقى السؤال: ما هى عناصر البناء الأخلاقى للأطفال؟ وما هى أركان هذا البناء الشامخ؟ من خلال التصفح فى الأحاديث النبوية، وتصنيفها، نجد انها ترتكز على خمسة أركان نأتى عليها بالتفصيل.

الأساس الخلقى الأول: خلق الأدب:

قال الحافظ ابن حجر: والأدب: استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر عنه: بأخذ مكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل: انه مأخوذ من المأدبة، وهى الدعوة الى الطعام، سمى بذلك لأنه يدعى اليه [2] .

وقد سئل الجني- رحمه الله تعالي- عن الأدب[3] فقال: «انه حسن العشرة». لذا تبرز اهمية الأدب فى المعاملة والعشرة حتى انه المظهر الخارجى الذى يعبر عن الصغير والكبير، لذلك حمل الطفل عليه، وقصره على ارتداء ثوب الأدب، كان من اولويات التربية الخلقية.

---

(١) فى كتابه: السعادة العظمي(ص 60).
(٢)فتح البارى (13/ 3).
(٣)عن: تنبيه المغير للإمام الشعرانى (ص41).

وكما قال الشاعر صالح بن عبد القدوس: [1]

وان من أدبته فى زمن الصبا	كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا	بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك اخلاقه	حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا أرعوي، عاد الى جهله	كذا الضما عاد الى نكسه

1 – ما ورد فى غرس الأدب فى الاطفال:

تتجلى اهمية الأدب وغرسه، ونحله للطفل، أكثر فأكثر، عندما نرى ان الرسول ﷺ أعطاه اهمية عظمي، فى البناء الأخلاقي، حتى جعل غرسه فى الطفل، وتعويده عليه، ليصبح طبيعة من طبائعه الخلقية، وسجية من سجايا الطبيعية، افضل من عملية الصدقة التى تطفئ الخطيئة، مع ما فى الصدقة من اهمية فى الاسلام. روى الترمذى عن جابر بن ثمرة ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ « لان يؤدب الرجل ولده، خير من ان يتصدق بصاع» [2].

وان رسول الله ﷺ يبين للولدين ان اظم هدية للطفل هى الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن:

ذروى الترمذى عن سعيد بن العاص– رحمه الله– ان رسول الله ﷺ قال: « ما نحل والدا من نحل، افضل من أدب حسن» [3]، لذلك كان على المديني– رحمة الله–

(١)عن: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(1/ 86).

(٢)ضعيف انظر: ضعيف الجامع رقم(4645) والأحاديث الضعيفة(1887) للألباني. وهو عند الترمذى برقم (1952) فى البر والصلة، وقال: هذا حديث غريب، وناصح بن علاء الكوفى احد رواته ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث الا هذا الوجه. انظر جامعا الأصول (1/ 416)ت. الارناؤوط.

(٣)فى سنده مجهول وضعيف، وصححه الحاكم، ورده الذهبى عليه بقوله:بل مرسل ضعيف، وقال الترمذي: غريب مرسل، أي: لان عمرو بن سعيد بن العاص لم يدرك النبى ﷺ فهو تابعي. انظر جامعا الأصول (1/ 416)ت. الارناؤوط ورواه الإمام احمد بسند حسن فى مسند المكيين والمدنيين. وفي مسند البصريين: «بنصف صاع».

يقول: « توريث الاولاد الأدب، خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال، والجاه، والمحبة للإخوان، ويجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة» [1] .

ولعل البعض يغفل عن اهمية الأدب، ويعده من الأمور البسيطة، يمكن التساهل فيها، او يجوز تناسيها، وما يدرى هذا انه يهيئ ولدة للعقوق، وما علم هذا المسكين ان غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب:

روى ابن ماجه عن ابن عباس- ﷺ ما- عن النبى ﷺ انه قال: « أكرموا اولادكم، وأحسنوا أدبهم». وفى رواية ابن ابى الدنيا: «أحبوا اولادكم، وأكرموا أدبهم». وفى سنده ضعف، كذا قال د. نجم محقق كتاب (العيال).

ووعى السلف الصالح اهمية الأدب، ومقداره، وسمو رفعته، فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن عمر- ﷺ ما[2]- يوجه نداءه للوالدين، بخطاب رقيق، يضع لهم معادلة رياضية، ومساواة حسابية، فيقول:«أدب ابنك فانك مسئول عنه، ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسئول عن برك، وطواغيته لك».

اما لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بالأدب، وان يصبح سجية طبيعية فى نفس الطفل فلأنه:

« **يكتسب من الأدب الصالح** العقل النافذ، ومن العقل النافذ حسن العادة، ومن حسن العادة الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح، ومن العمل الصالح رضا الرب، ومن رضا الرب الملك الدائم. ويكتسب من الأدب السوء فساد العقل سوء العادة، ومن العادة السيئة رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، ومن العمل السيئ سوء ألقالق وغضب الله، ومن غضب الله وسخطه

(١) عن: تنبيه المغيرين للإمام الشعراني(ص41).
(٢)عن: أحكام المولود (ص225).

الذل الدائم»[1].

وهكذا سار السلف الصالح يوجهون أطفالهم الى اهمية الأدب، ويورثونه لهم، فإلى حياة هؤلاء، هلم سويا، نصغى ونستمع ونتعلم.

ولكى نتعرف الى اهمية خلق الأدب، ان نرى صورة قلة الأدب وخطورتها، وأنها السبيل احيانا للمروق من الدين والخروج عنه، وان الاستهانة بخلق الأدب يؤدى الى المهالك فى الدنيا قبل الآخرة، وخاصة عندما تكون قلة الأدب مع الله او رسوله، فأنة تكون الفتنة والضلالة وقد يكون الكفر بعينه، فلننظر ولنعتبر ولنتأدب:

رأى مسلم[2] وابو داود واللفظ له عن ابى سعيد ألخدري- ﷺ - قال: قسم رسول الله ﷺ قسما، قال: فاقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، مملوك، فقال: اتق الله يا محمدا قال: فلما ولى عنه، قال النبي: «ان من ضئضئ هذا وفى عقب هكذا، قوم يقرؤون القران لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام مروق السهم من الذمية» .

.قال الإمام الخطابى فى شرحه « معالم السنن» (4/ 307).

« الضئضئ: الأصل، يريد انه يخرج من نسله الذى هو أصلهم، او يخرج من أصحابه وإتباعه، الذين يقتدون به، ويبنون رأيهم، ومذهبهم، على اصل قوله».

لقد قال ذلك الأحمق كلثته على سبيل التكبير والانتقاص من رسول الله، وعلى سبيل الاستعلاء على رسول الله، واتهمه بالخطاب فى القسمة وعدم العدل، وهو فى هيئة منفرة ومنظر قبيح يدل على عدم الاحترام والتوفير لمجلس رسول الله، فنال جزاءه بما يساوى من استكباره.

(١)نصيحة الملوك للما وردي(ص173).
(2)انظر روايات الحديث: شرح صحيح مسلم للنووى باب: إعطاء المؤلفة.(7/ 161)

والويل كل الويل للأصوات التى تخرج بين الفينة وال اخرى منجحة واعلى صوتها وتقول: ان رسول الله ﷺ أخطا فى كذا وكذا، فهذا الرجل قال للرسول ﷺ اقل من ذلك، وكانت عاقبة امره خسرا.

وصدق ابو على الزقاق- رحمه الله- عندما قال: «من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض، قيض الله له مبتدعا، يوقع عنده باطلا، فيوقع فى قلبه شبهة».

وأما قلقة أدب أهل أخر الزمان والتى بدأت تظهر بشكل أكثر عند من لا خلاق لهم، فقد حددهم الحديث النبوى الأتي:

روى مسلم عن علي-رضي الله عنه وكرم وجهه- قال: اذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلان أخر من السماء أحب الى من ان أقول عليه ماله يقل، واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فان الحرب خدعة[1]، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« سيخرج فى أخر الزمان قوم، إحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القران ليجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم، فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

قوله: (إحداث الأسنان سفهاء الأحلام): معناه: صغار الأسنان صغار العقول. (يقولون من خير قول البرية) معناه فى ظاهر الامر كقولهم: لا حكم الا الله، ونظائره من دعائهم الى كتاب الله تعالى والله اعلم، (فاذا لقيتموهم فاقتلوهم، فان فى قتلهم أجرا) هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة، وهو إجماع العلماء[2] .

ولنا وقفة مع (قوم إحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون: من خير قول

(١) بفتح الخاء وإسكان الدال هو الأفصح، ويقال: بضم الخاء ويقال:بضم الخاء وفتح الدال ثلاث لغات مشهورات، قاله النووى فى شرح صحيح مسلم(7/ 166).
(٢) المصدر السابق.

البرية، يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم.

فهم قوم وليسوا أفرادا، وهم إحداث الأسنان: صغار فى العمر وليسوا كبارا، سفهاء الأحلام: صغيرى العقل، وخفيفى العقل، يقرؤون القران ليجاوز حناجرهم: أى لا يتفاعلون مع القران تطبيقا وعملا، وانما يعتمدون على الرياء فى تلاوة القران.

الحديث صحيح وهو من نبوءات ومعجزات سيدنا محمد، ولكن كيف وصلوا الى هذا الانحراف؟ وما هى أسبابه؟.

فى تقديري- والله اعلم- ان السبب الرئيسى عدم أخذهم العلم عن أهله، والقران عن القراء، مما حدا بهم ان يفهموا النصوص حسب أهوائهم، بلا ضابط فهم. وبالتالى أدى بهم الى الاستخفاف النصوص والاستكبار على العلماء، مما أدى الى قلة أدبهم معهم، وخروجهم عن فهم العلماء الراسخين، والفقهاء العاملين، فادى بهم الى هذا المنزلق الخطير، بان خرجوا من الدين بسرعة كالسهم الذى من شدة سرعته يخرق مكان الهدف المرمى نحوه.

لذا الحذر من الاستخفاف بفهم العلماء والتابعين والصحابة للنصوص القرآنية والنبوية، لان عاقبة ذلك خسرا .

والأدب الأدب غانة الزينة التى يتحلى المرء بها فى كل ألاماكن، ذكرا كان او أنثي، كبيرا كان ام صغيرا، وجيها كان ام وضيعا.

2- نماذج من حياة السلف الصالح فى توريث الأدب لأولادهم:

قال رو يم بن احمد البغدادى لابنه: «يابني، اجعل عملك ملجما، وأدبك دقيقا، أي: استكثر من الأدب، حتى تكون نسبته فى سلوكك، من حيث الكثرة كنسبة الدقيق الى الملح، الذى يوضع فيه، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح،

خير من كثير من العمل مع قلة الأدب». ذكره الإمام القوافى فى كتابه الفروق (3/ 96)[1].

قال إبراهيم بن الحبيب بن الشهيد قال لى ابي: ائت الفقهاء، والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، وأخلاقهم، وهديهم، فان ذاك أحب الى من كثير من الحديث[2]. وذلك حتى يتعلم الابن الأدب مع الحديث، قبل ان يتعلم الحديث بلا أدب، فيؤدى به الى عدم التأدب مع حديث الرسول ﷺ مما يورث فى قلبه الضلال.

قال بعض السلف لابنه: « يابني، لان تتعلم بابا من الأدب، أحب الى من ان تتعلم سبعين بابا من أبواب العلم »، وقال ابو زكريا العنبري[3]: «علم بلا أدب كنار بر حطب، وأدب بلا علم، كروح بلا جسم».

وروى ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 486) عن محمد بن عمران الضبى قال: سمعت ابى يحكى قال: مر سفيان الثورى بزياد بن كثير، وهو يصف الصبيان للصلاة، ويقول: استووا، اعتدلوا، سووا مناكبكم وأقدامكم، اتكئ على رجلك أليسري، وانصب اليمني، وضع يدك على ركبتيك، ولا تسلم حتى يسلم الإمام من كلا الجانبين.

فقام سيفان ينظر، ثم قال: بلغنى ان الأدب يطفئ غضب الرب[4].

تلك كانت وصايا السلف الصالح فى توجيه أبنائهم نحو التحلى بخلق الأدب لأنه مفتاح كل شأ: مفتاح للعلم، ومفتاح للخلق الإسلامي، ومفتاح العبادة، ومفتاح العقيدة، ومفتاح السلوك، ومفتاح الحياة، لذلك كانت عناية رسول الله ﷺ به كبيرة، واهتمام صحابته والتابعين والعلماء العاملين الى يوم الدين.

(١)عن:رسالة المسترشدين للمحاسبي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح ابى غدة(ص31) (ط2).
(٢)الجامع لأخلاق الراوى وأدب السامع للخطيب البغدادي(1/ 17).
(٣) عن: أدب الإملاء والاستملاء للإمام لسمعاني، وكتاب الجامع للخطيب البغدادي(1/ 17).
(٤) وانظر: حلية الأولياء (7/ 79).

ولكن ما هى أهم الصفات الأدبية التى خصها رسول الله ﷺ فى توجيه الاطفال نحوها، وغرسها فيهم، ونحلهم لياها؟ من خلال الاستقراء فى الأحاديث الشريفة، تم الحصول على تسعة آداب وهي:

3- أنواع الآداب النبوية للأطفال[1]:

1- الأدب الأول : مع الوالدين:

أورد النووي- رحمه الله- فى الأذكار، باب: نهى الولد والمتعلم والتلميذ ان ينادى أباه ومعلمه وشيخه باسمه:

رؤيتنا فى كتاب ابن السنى عن ابى هريرة-رضي الله عنه - ان النبى ﷺ رأى رجلا معه غلام، فقال للغلام: «من هذا؟» قال: ابي، قال: «فلا تمش امامه، ولاتستسب له» أي: لانفعل فعلا يتعرض فيه لان يسبك أبوك زاجرا لك، وتأديبا على فعلك القبيح- وهذا شرح النووى - ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه.

وفى مجمع الزائد (8/ 136) أورد ابن حجر الهيثم قصة مشابهة لهذا الحديث، لكنها موقوفة على ابى هريرة، فيها فوائد طيبة نذكرها للفائدة:

فعن ابى غسان الضبى قال: خرجت امشى مع ابي، بظهر الحرة، فلقينى ابو هريرة-رضي الله عنه - فقال: من هذا؟ قلت: ابي، قال: لأتمش بين يدى أبيك، ولكن امش خلفه، او الى جانبه، ولا تدع أحدا يحول بينك وبيه، ولا تمش فوق اجأر- أي: سطح- أبيك تخفه، ولا تأكل عرقا- بسكون الراء: العظم اذا اخذ عنه معظم اللحم- قد نظر أبوك اليه لعله قد اشتهاه.

أ- أدب خطاب الوالدين:

أورد القرط بى فى تعسيره: قال ابو البدا لتجيبى : قلت لسعيد بن المسي: كل ما

(١) يذكر الإمام النووي- رحمه الله- فى كتابه- رياض الصالحين- فصلا خاصا سماه: كتاب الادب، فيذكر آدابا كثيرة بحاجة اليها الفرد المسلم، ونظرا لكون بحثنا عن الاطفال وتوجيهات الرسول ﷺ لهم، اقتصرت على ما ورد بشأنهم، ليكون هو الأساس فى هذه المرحلة.

فى القران من بر الوالدين قـد عرفتـه، الا قولـه: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (الإسراء:17/ 23) ما هذا القول الكريم.؟ قال ابن المسبب: قـول العبـد المـذنب، للسيد الفظ، الغليظ[1]. وقد فسر عمر بن الخطاب القول الكريم، فقال: هو ان يقول له: ياابتاه، ياماه[2].

وقال تاج الدين ألسبكي: كنت جالسـا بـدهليز درأنـا فاقبـل كلـب، فقلـت: أخسا، كلب بن كلب، فزجرنى الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب ابـن كلب؟ قال: شرط الجواز، عدم التحقير، فقلت: هذه فائدة [3].

فليكن شعار الأبناء عندما يتعلمون شيئا من الوالدين، او يستفيدون مـنهم، ان يقولوا- هذه فائدة- لإدخال المسرـة الى قلـوبهم، وتعويـد الـنفس عـلى التواضـع، وفقنى الله وإياك لذلك.

ب-أدب النظر الى الوالدين:

روى ألطيرانى ايضا عن ابن عباس- ﷺ ما- قال: قـال رسـول الله ﷺ: « اذا نظر الوالد الى ولده فسره، كـان للولـد عتـق نسـمة» قيـل: يارسـول الله، وان نظـر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: «الله اكبر» [4].

وأورد المناوب فى (فيض القدير) عن ابن عباس- ﷺ ما- قال « ما منت لرجل ينظر الى وجه والديه نظر رحمة، الكتب الله له بها حجة، مقبولة مبرورة ».

وأخيرا: نوجه هذا النداء لأحد العلماء الصالحين، وهو يضع طريقـة واضـحة، لإكساب الطفل معانى الادب، وهو سلوك الوالدين الأدبى معه:

---

(١)تفسير القطبى (10/ 343)(ط3) وتفسير الرازي(20/ 190).
(٢)تفسير الرازي(20/ 190).
(٣)عن: رسالة المسترشدين (ص125) (ط2) تحقيق الشيخ عبد الفتاح ابى غدة- رحمه الله تعالي. انظر التحقيق .
(٤)إسناده حسن، قاله الهيثم(8/ 156).

فقد روى البخارى فى الادب المفرد[1] عن الوليد بن نمير انه سمع أباه يقول : «كانوا يقولون: الصلاح من الله، والأدب من الإباء».

ولكى يزداد الطفل ورفعة، فانه سبق ان ذكرنا نصيحة الإباء فى توصية أطفالهم، بالتزام العلماء الصالحين، واكتساب الادب منهم، قبل تلقى العلم عنهم، فحطى تتم الفائدة بشكل جيد، يحتاج الطفل ان يتعلم الادب مع العلماء.

2-الادب الثاني: مع العلماء:

ذكرنا استنتاج الإمام النووي- رحمه الله- للحديث الذى رواه ابن السني، حيث عنون له فى كتاب الأذكار: «باب نهى الولد والمتعلم والتلميذ ان ينادى أباه ومعلمه وشيخه باسمه» فقال: «وان مما ذكرناه عن الادب مع الوالدين، يماثله الادب مع العلماء، بل ويزيد، لان العلماء ورثة الأنبياء، فاحترامهم، وتوقيرهم ، وخفض الجناح لهم ، والمسارعة فى خدمتهم، وعدم رفع الصوت فى مجالسهم، واللطف فى معاشرتهم، ولين الجانب لهم، كل ذلك يحتاج لان بتعوده الطفل».

وأورد الإمام الغزالي[2]- رحمة الله تعالي- قول يحيى بن معاذ فى فضل العلماء: «العلماء ارحم بأمة محمد ﷺ من إبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال : لان إبائهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة».

وهكذا تجد اهمية الادب فى حضرة العلماء وتوقيرهم، وقد الفت كتب بهذا الشأن، منها- أدب الإملاء والاستملاء- للإمام المعاني، ومنها: أدب العالم والمتعلم لابن كتيبة، وغيراهما كثير.

أ- ما ورد فى الادب مع العلماء:

روى الطبرانى عن ابى إمامة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ان لقمان قال

(١) (1/ 731).
(٢) الأحياء (1/ 11).

لابنه: يابني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فان الله يحيى القلب الميت، بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر. وروى الإمام احمد والطبرانى عن عبادة بن الصدامات ان رسول الله ﷺ أل: «ليس من أمتى من لم يجل كنيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

وروى الطبرانى عن ابى إمامة عن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة لا يستخف بهم الا منافق: ذو الشيبة فى الاسلام، وذو العلم، وأمام مقسط».

ومن الادب مع العلماء تقبيل أيديهم وخدمتهم:

فعن جميلة ام انس بن مالك- ﷺ ما- قالت: كان ثابت «أى ثابت ألبنانى التلميذ المقرب لأنس» اذا أتى إنسا، قال «أى انس»: يا جارية، هات لى طيبا امسح يدي، فان ثابتا لا يرضى حتى يقبل يدي. رواه ابو يعلي، ورجاله موثوق ون، قاله السم هودى فى جواهر العقدين[1] .

واخرج ابن عساكر عن عمار بن ابى عمار ان زيد بن ثابت ركب يوما فاخذ ابن عباس-ﷺ ما- بركابه، فقال: تنج بابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا امرنا ان نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: ارنى بك، فاخرج يده، فقبلها، وقال: هكذا امرنا ان نفعل بال بيت نبينا ﷺ[2] .

أورده كنز العمال فى مناقب زيد بهذا اللفظ، وأورد لفظا أخر :

عن ابن النجار اخرج عن ابن عباس- ﷺ ما- انه اخذ بركاب زيد ابن ثابت، ثم قال: انا امرنا ان نأخذ بركاب معلمينا، وذوى أسنانا.

---

(١)انظر: الترتيب الإدارية(2/ 436).

(٢)وروى ابو داود: قال زارع- وكان فى وفد عبد القيس: ((فجعلنا تتبادر بين رواحلنا، فتقبل يد رسول الله ﷺ ورجله)). وعن تميم بن سامة قال: لما قدم عمر- رضى الله عنه- الشام استقبله ابو عبيدة بن الجراح، فاخذ بيده فقبلها، قال تميم: كانوا يرون انها سنة)) انظر شرح السنة للغوى 6/ 355-356فهذه هى السنة لمن يجب التزامها. اللهم وفقنا لذلك.

قال الشيخ عبد الحى الكتاني- رحمه الله- فى كتابه (الترتيب الإدارية) (2/ 437)معلقا:

قال شيخ بعض شيوخنا محدث الحجاز ومسنده الشيخ محمد عابد ألسندى فى رسالته فى تقبيل اليد: قول زيد هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا، يؤخذ منه ان تقبيل يد ذى الشرف مأمور به من النبى ﷺ، لان قول الصحابي: «امرنا» له حكم الرفع، اذليس له امر غير النبى ﷺ، كما حققه: ابن الصلاح، والحافظ ابن حجر، وكلما كان مأمورا به من النبى ﷺ اذا لم يفعله كان إثما، فكل من لم يقبل يد ذى الشرف كان إثما، مخالفا لأمر النبى ﷺ، قال تعالي:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 24/ 63)، فاذا كانت هذه الحالة لمن لم يقبل، فما ظنك بمن أنكر التقبيل رأسا كان أثمه اكبر، وزره أوفر.اهـ.

ثم قال الكتاني: «وقد افرد الحافظ ابو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرى جزءا فى تقبيل اليد، وما ورد فيه، ولى رسالة فرادتها فيمن قبل يد النبى ﷺ، وللشيخ محمد عابد ألسندى الأنصارى فى الباب رسالة نفيسة وهى عندي». انتهى كلام الكتاني.

وقد سمعت كلاما مزعجا فبتعليم الطفل تقبيل يد الوالدين والأعمام والعمات والجد والجدات والأقرباء والعلماء، مفاده: انه تعليم الذل والهوان للطفل فى تعويده ذلك التقبيل.

أقول وبالله التوفيق: ان من يعرف اهمية الادب يعرف قيمة وأهمية التقبيل، لأومن لا يعرف فان الشيطان ينفخ نفثه فيه، فيستكبر عند ذلك، ويرى نفسه فوق ذلك، واذا كان أدب التقبيل لليد يكسب الطفل التواضع فقط فذلك من افضل الأخلاق الإسلامية، فما بالك وهو يكسبه رحمة وعطف الكبير، ودعاءه له بالخير والبركات، ويؤلف بين القلوب

المتنافرة فكيف بالقلوب المحبة، كما يتعرف الصغير لمكانته انه صغير، فلا يتعرض فى مجالس الكبار بكلمات مزعجة، او بعيدة عن الادب.

وعن نافع قال: خدمت ابن عمر ﷺ ما- ثلاثين سنة، فأعطى ابن عمر فى ثلاثين ألفا، فقال: إنى أخاف ان تفتنى الدراهم، فاعتقني[1].

ويسرى حال الخدمة من نافع الى أحفاده وأسباطه سلوكا وعملا وأدبا:

روى ابن ابى شبة فى مصنفة (9/ 105) عن عناية بن رفاعة قال: وضأت ابن عمر ﷺ ما- فقمت عن يمينه افرغ عليه الماء، فلما فرغ صعد فى بصره، فقال: من أين أخذت هذا الادب؟! فقلت: من جدى نافع، قال: هنالك الرجل.

ب - نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء:

كان سعيد بن المسبب يركع ركعتين ثم يجلس، فيجتمع اليه ابناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فلا يجترئ احد منهم انيساله شيئا، الا ان يبتدئهم بحديث، او يجيئه سائل فيستمعون [2]. وقد تقدم حديث ابن عمر وسكوته فى مجلس رسول الله ﷺ عندما وجه الرسول ﷺ سؤالا، فلم يجب، لحضور ابى بكر وعمر ﷺ م.

وهذا نموذج لحير الأمة ابن عباس- ﷺ ما- كيف كان أدبه فى طفولته، عندما طلب العلم من الصحابة: روى ابن كثير عن البيه قى بسنده الى عكرمة، قال: قال ابن عباس: لما قبض رسول الله ﷺ [3] قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسال أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: يتعجبا لك بابن عباس! أترى الناس يفتقرون أليك، وفى الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك

(١) التعليق الممجد على موطا محمد للكنغوي- رحمه الله (1/ 239).
(٢)أدب الإملاء والاستملاء (ص36).
(٣)تقدم قول ابن عباس بان عمره عشر سنين لما قبض رسول الله ﷺ.

ذاك، وأقبلت انا اسأل أصحاب رسول الله، فان كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فأتى بابه، وهو قائل[1]، فأتوسد ردائى على بابه، يصفى الريح على من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: بابن عم رسول اللهأ ما جاء بك؟ هلا أرسلت الى فأتيك، فأقول: لا، انا أحق ان أتيك، قال: فأساله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري، حتى راني، وقد اجتمع حولى الناس يسألونني، فيقول: هذا الفتى كان اعقل مني» [2].

وهذا الحسن البصرى ﷺ يوجه ابنه لأدب مجالس العلماء، فيقول: «يابني، اذا جالست العلماء، فكن على ان تسمع احرص منك على ان تقول، وتعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على احد حديثا، وان طال حتى يمسك».

وفى ختام المطاف نورد أدب الطفل الصحابى ثمرة بن جندب فبحضرة رسول الله ﷺ ودأبه فى مجلسه: اخرج البخارى ومسلم عن ابى سعيد ثمرة بن جندب-ﷺ - قال: « لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما، فكنت احفظ عنه، فما يمنعنى من الأول، الا ان ها هنا رجالا، هم أسن مني».

«ومن التطبيقات العلمية على توريث الطفل العلم مع الادب، وتأدب الطفل مع أستاذه، ما ذكر فى طبقات الأدباء[3]ان ألكسائى كان يؤدب الرشيد، واليزيدى النحوى كان يودى المأمون، والفراء كان يؤدب ولدى المأمون، وقيل انه نهض يوما لبعض حوائجه، فابتدرا الى نعله ليقدماها له، فتنازعا بهما يقدمها، ثم اصطلحا على ان يقدم كل مهما واحدة، ورفع ذلك الى المأمون، فاستدعاه فلما دخل عليه، قال له: من اعز الناس؟ قال: لا اعرف أحدا اعز من أمير المؤمنين! فقال المأمون: بل من اذا

(١)أي: نائم بنومة القيلولة بين الظهر والعصر.
(٢) صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح ابو غدة- رحمه الله تعالى (ط2) (ص37).
(٣) نقلا عن تاريخ الادب العربى لمصطفى صادق ألرافعي- رحمه الله- 1/ 39.

نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل واحد متهما ان يقدم له فردا! فقال: يامير المؤمنين، لقد اردت منعتهما عن ذلك، ولكن خشيت ان ادفعنهما عن مكرمة سبقا اليها، او اكسر نفسيها عن شريفة حرصا عليها.. الخ ».

وأورد المناوى فى شرحه على فيض القدير 1/ 25 قصة لطيفة فى كيفية إلزام العلماء طلاب العلم الادب، وان الادب مفتاح العلم والفهم والصلاح فقال: حكى عن الشمس الجوهرى انه لما شرع فى الاشتغال بالعلم طاف على أكابر علماء بلده، فلم يعجبه منهم احد، لحدة فهمه، حتى اذا جاء الى شيخ الاسلام يحيى المناوى فجلس بين يديه، وفى ظنه انه يلحقه بمن تقدم، فشرع فى القراءة، فتأمل الشيخ، فوجد إصبعا من أصابع رجله مكشوفا، فانتهره وقال له:

بحال انت قليل الادب، لا يجئ منك فى الطلب، غط إصبعك، واستعمل الادب، فحم لوقته، وزال عنه ما كان يجده من الاستخفاف بالناس، ولزم دروسه، حتى صار رأسا عظيما فى العلم.اهـ.

3 - **الادب الثالث: أدب الاحترام والتوقير:**

اخرج الترمذى عن انس بن مالك ﷺ قال: جاء شيخ يريد النبى ﷺ فإبطا القوم ان يوسعوا له، فقال النبى ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كنيرنا»[1].

وفى رواية احمد والترمذى والحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعا: «ليس منا من لم يجل كنيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف شرف كنيرنا» [2].

وفى رواية احمد والترمذى عن عبادة بن الصامت مرفوعا: « ليس منا من لم يجل كنيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»(٣).

(١) صحيح انظر: الجامع رقم (5445) ورواه احمد والطبرانى عن ابن عباس.
(٢) صحيح انظر: صحيح الجامع رقم (5444).
(٣) صحيح انظر: صحيح الجامع رقم (5443).

وروى ابو داود عن ابى موسىﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ان من إجلال الله تعالى أكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القران غير المغالى فيه، والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المسقط».

وعن ابن عمرﷺ ما- ان النبى ﷺ قال: « أرانى فى المنام، أتسوك بسواك، فجاءنى رجلان، احديهما اكبر من الاخر، فناولت السواك الأصغر، فقيل لي: كبر، فدفعته الى الأكبر من هما». رواه مسلم مسندا والبخارى تعليقا، وروى الشيخان عن ابى يحيى الأنصارى قال: انطلق عبد الله بن سهل، ومحيصة بن مسعود الى خبير وهى يومئذ صلح، فتفرقا، فأتى محيصة الى عبد الله، وهو تشحط فى دمه قتيلا، ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل وحريصة ابنا مسعود الى النبى ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال عليه الصرة والسلام. : «كبر». أي: ليتكلم الأكبر سنا، وهو لحدث القوم، أي: عبد الرحمن.

وهكذا وجدنا- اخى ويا أختي- اهمية أدب الاحترام والتوقير، للكبار وللعلماء، وتقديم الكبير للكلام، الا اذا طلب من الصغير الكلام، او كان المقام سؤال.

4- الادب الرابع: أدب الإخوة:

تقدم أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره، ورحمة الكبير للصغير، وهذا رسول الله ﷺ لا يسمح لأى أخ، سواء كان صغيرا ام كبيرا، ان يشهر أى نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب فى قلبه:

اخرج مسلم عن ابى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار الى أخيه بحديدة، فان الملائكة تلعنه، حتى يدعه، وان كان أخاه لأبيه وأمه».

ويؤكد ﷺ للأبناء ان الأخ الكبير له منزلة خصوصية فى الاسلام، وما ذاك الا

لتحمله أعباء الأسرة، ومؤ ولية تربية أخوته الصغار، ورعايته لهم:

روى الطبرانى عن كليب الجهنمي ﷺ وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: « الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب »[1]، فاذا ما غرسا فى نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير، فانه بذلك تسير الأسرة سيرا متوازنا، كل يعرف واجبه نحو الاخر، قبل ان يعرف حقه عليه.

5-الادب الخامس: أدب الجار:

الجار له حقوق كبيرة فى الشريعة الإسلامية، وما ذلك الا لتقوية روابط المجتمع المسلم، وقد كان للطفل آداب مع أطفال جيرانه، ندب اليها الرسول ﷺ الإباء، لتعويد أطفالهم عليها، من حسن التحسس بآلامه، وعدم إيذائه بأى طريقة من طرق الإيذاء، وفى مقدمتها عدم خروج الطفل وبيده شيء من الطعام يأكل منه، او فاكهة يتأولها، ليغيظ بها ولد الجار، الذى قد لا يملك والداه ان يشتريا له، او ان يكون الجار فى ضائقة مالية، لا تمكنه من الشراء الفوري، وبذلك يتعود الطفل الا يأكل فى الطريق، وانما بالبيت، ليكون ذلك ادعى الى الالتزام بالآداب العامة، فمما رواه ألخرائطى والطبرانى عن عمرو بن شعيب قوله ﷺ: « وان اشتريت فاكهة فاهد له، فان لم تفعل، فادخلها سرا، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده». فعدم إغاظة الطفل لجيرانه من الاطفال مطلب نبوى لكل طفل مسلم يحب رسول الله ﷺ، ولكل أب وأم فى ان يغرسا ذلك فى قلوب أطفالهم.

ما أعظم الأعظم الاسلام بهذه الادب، عندما يلتزم بها المسلمون، ويتعاملون بها، وفقنى الله وإياك لذلك. ومن عظمة هذه التوجيهات النبوية فى معاملة الجيران، ما اخبرنى به احد الشباب الذين اسلموا عن سبب إسلامه قوله لي: معاملة جيراننا المسلمين لنا، المعاملة الحسنة الكريمة، وكأننى واحد من أسرتهم، عشت مع أطفالهم

(١)قال الهيثم: رواه الطبراني، وفيه الواقي، وهو ضعيف. انظر المجمع (8/ 149).

اثناء طفولتي، مما شجعنى على اعتناق الاسلام.

6-الادب السادس: أدب الاستذان:

أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة فى التشريع الإسلامى حتى خصه الله تعالى بآيات تتلى على مر الأجيال، وتعاقب الزمان، وله اهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية والأسرية، لذلك كان يعرفه صغار الإصابة مثل ابى سعيد ألخدرى فضلا عن كبارهم- ﷺ م.

روى التجارى فى الادب المفرد عن عبيد بن عمير ان أبا موسى الأشعرى استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له، وكأنه (أى عمر) كان مشغولا، فرجع ابو موسي، ففرغ عمر فقال: الم اسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تاتينيعلى ذلك بالبينة، فانطلق الى مجلس الأنصاري، فسألهم فقالوا: لا يشهد لك على هذا الا أصغرنا ابو سعيد ألخدري، فذهب بابى سعيد، فقال عمر: اخفى على من امر رسول الله، ألهانى الصفق بالأسواق، يعنى الخروج الى التجارة.

فنسى عمر أمير المؤمنين انه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول، فعليه الرجوع من حيث أتي، دون غضب او سخط، فكان الشاهد المذكر على سنة رسول الله ﷺ ابو سعيد ألخدري- ﷺ م أجمعين.

وقد درب القران الكريم الطفل على الاستئذان، فأمر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرج فى أحكام الاستئذان، فقبل الاحتلام: يستاذن الطفل فى ثلاث اوقات حرجة فى حياة الوالدين الزوجية، وهي: قبل الفجر، وعند الظهيرة، وبعد العشاء، أي: فى الاوقات التى يخلو فيها الوالدان الى النوم، حيث يكون كل من الوالدين فى لباس خاص فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ

مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (النور: 24/ 58) حتى اذا بلغ الطفل الحلم، وقرب منه، ودخل سن التكليف، امر بالاستئذان فى كل ان، فى البيت وغيره، وكلما وجد امامه الباب مغلقا، والى هذا أشارت الاية ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (النور: 24/ 59).

1. كيف كان رسول الله ﷺ يستاذن؟

يتساءل المرء: ناهى وضعية الانسان عندما يدق باب الآخرين يستاذن عليهم، هل يواجه الباب يوجهه، ام بظهره، ام بنصفه؟

وللإجابة على هذا السؤال، نورد الحديث التالي: اخرج الإمام احمد وابو داود عن عبد الله بن يسر ان النبى ﷺ اذا أتى بابا يريد يستاذن لم يستقبله، جاء يمينا وشمالا، فان أذن له وألا انصرف. وفى رواية لأحمد: كان رسول الله ﷺ اذا أتى بيت قوم أتاه مما يلى جداره، ولا يأتيه مستقبلا بابه.

وروى ابن ماجه بسند ضعيف عن ابى أيوب الأنصاري- ﷺ - قال: قلنا يارسول الله، هذا السلام، فما الاستئذان؟ قال: «يتكلم الرجل: تسبيح، وتكبيرة، وبحميدة، ويتنحنح، ويؤذن أهل البيت».

وقد استأذن النبى ﷺ عندما كان صبيا من أمه حليمة للخروج من البيت، والذهاب الى اللعب مع أخوته، كما تقدم معنا.

وعلى هذا سار السلف الصالح، يعلمون أبناءهم الاستئذان فى كل شيء حتى اللعب:

روى ابو نعيم فى الحلية (2/ 115) ان الربيع بن خيم جاءته ابنته، فقالت: يا أبتاه، اذهب العب؟ قال: اذهبي، فقولى خيرا.

فهو لم يكتف بالإذن لها باللعب، واتبعها بنصيحة ذهبية، وهى حفظ اللسان اثناء اللعب، وقول الخير، فى ساعة الرضا والغضب اثناء اللعب، وفى لحظة الربح والخسارة.

ب-رسول ﷺ القدوة يستاذن الاطفال:

ان الحق حق، لا يعرف كبيرا ولا صغيرا، وأتباع السنة واجب على الجميع، مهما علت درجاتهم، وبلغت منازلهم، فهذا كلها، ويعرفها رسول الله ﷺ وهو قائد الأمة ومعلمها، يرشد الكبار والصغار فى الأمة كلها، ويعرفها حق الطفل: اخرج البخارى ومسلم عن سهل بن سعد- رضي الله عنه - ان رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: « اتاذن لى ان أعطى هؤلاء؟» فقال الغلام[1]: لا والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبى منك أحدا، فتله- أي: وضعه- رسول الله ﷺ فى يده .

7- الادب السابع: أدب الطعام:

اخرج البخارى ومسلم ومالك وابو داود والترمذى عن عمر بن ابى سامة رضي الله عنه قال: كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ فكانت يدى تطيش فى الصدفة، فقال لى رسول الله ﷺ: « يا غلام، سم الله تعالي، وكل بيمينك، وكل **مما يليك**[2]. **فما زالت**

(١) فى رواية اخرى ورد انه : ابن عباس، وكان عن يساره ابو بكر- رضى الله عنهم أجمعين.

(٢) الأكل مما يلى الانسان، هذا اذا كان الطعام مرقا، اما اذا كان عددا نحو الفاكهة وغيرها، فيجوز للإنسان اخذ ما ليس يليه، لأنه قد تكون امامه حبة كبيرة وهو يريد الصغيرة، او تكون امامه تفاحة وهو يريد برتقالة، فلا ضير فى الانتقاء اذا كان الطعام جافا وعدديا، وصدق الله العظيم:﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (سورة الواقعة: 56/ 20) فالتبخير يكون للفاكهة ولذوات العدد، والله اعلم .

طعنتى بعد».

وفى رواية ابن ابى شبيبة فى مصنفه(9/ 83): «يا عمر، . . . يابني.. سم الله... الحديث ».

وروى الإمام احمد عن انس ﷺ قال: بعثت معى ام سليم بمكتل، فيه رطب، الى رسول الله ﷺ، فلم أجده، وخرج قريبا الى مولى له، دعاه صنع له طعاما، قال: فأتيته فاذا هو يأكل، فدعانى لأكل معه، قال: وصنع له ثريدا بلحم وقرع، قال: واذا هو يعجبه القرع، فجعلت اجمعه وأدنيه منه، قال: فلما طعم، رجع الى منزله، قال: ووضعت المكتل بين يديه، قال: فجعل يأكل، ويقسم حتى فرغ من أخره.

وماذا تفعل اذا دخل عليك طفل وأنت تأكل؟

روى الطبرانى عن إسحاق بن يحيى بالله ؟قال: كنت مع عيسى بن طلحة فى المسجد، فدخل الصائب بن يزيد، فبعثنى اليه فقال: اذهب الى ذلك الشيخ، فقل له: يقول لك عمى ابن طلحة: هل رايت رسول الله ؟ فذهبت اليه، فقلت: هل رالله،ل الله ؟ فقال: نعم، رايت رسول الله ﷺ، ودخلت عليه انا وغمة معي، فوجدناه يأكل تمرا فى قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضة، ومسح على رؤوسنا.

وقد نبه الإمام الغزالى فى الأحياء فى الجزاء الثالث الى أدب الطعام، التى يحتاج اليها الطفل، استوحاها من جملة الآداب الاسلامية، نضعها بين يديك.

أول ما يغلب عليه– أى الطفل– من الصفات شدة الطعام، فينبغى ان يؤدب فيه مثل:

1. الا اخذ الطعام الا بيمينه، ويقول بسم الله.
2. ويأكل مما يليه.
3. ولا يبادر الى الطعام قبل غيره.

4. ولا يحدق الى الطعام والى من يأكل.

5. وليسرع فى الأكل.

6. ويمضغ الطعام مضغا جيدا.

7. ولا يوالى بين اللقم.

8. ولا يلطخ ثوبه ولأيديه.

9. ويعود الخيار والقفار فى بعض الاوقات، بحيث لا يرى الا دام حتما.

10. ويقبح عنده كثرة الأكل، بان يشبه من يكثر الأكل بالبهائم.

11. وان يذم بين يديه بكثرة الأكل، ويمدح الصبى المتأدب، القليل الأكل، ويحبب اليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به.

12. والقناعة بالطعام الخشن.

8- الادب الثامن: أدب مظهر الطفل:

هناك اهتمام من الرسول ﷺ بمظهر الطفل، سواء كان فى شعره وحلاقته، او فى لون لباسه، وخروجه به، فى الطريق.

أ- أدب الشعر والحلاقة:

عن ابن عمر رضي الله عنه ما- قال: رأى رسول الله ﷺ صبيا قد حلق بعض شعر رأسه، وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: «احلقوه كله، او اتركوه كله». رواه ابو داود بإسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم. وفى الصحيحين عن ابن عمر- رضي الله عنه ما- قال: نهى رسول الله ﷺ عن الفزع[1]. علق ابن القيم فى أحكام المولود على الحديث بقوله: ان يحلق بعض راس الصبى ويدع بعضه، والفزع أربعة أنواع:

(١) ورواه ابو حنيفة وأخرجه الستة الا التركي. قاله الزبيدى فى كتاب (عقود الجواهر المنيفة) (2/ 156).

احديهما: ان يحلق من رأسه مواضع، من ها هنا وها هنا، مأخوذ من تفزع السحاب، وهو تقطعه.

الثاني: ان يحلق وسطه، ويتلوك جوانبه، كما يفعله شمامسة النصارى.

الثالث: ان يحلق جوانبه، ويترك وسطه، كما يفعله كثير من الأوباش والسفا.

الرابع: ان يحلق مقدمه، ويترك مؤخره، وهذا كله من الفزع، والله اعلم.

وقد اشرف ﷺ على حلاقة بعض الاطفال شخصيا:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ما- ان النبى ﷺ أمهل أل جعفر ثلاثا[1]، ثم أتاهم، فقال: «لا تبكوا على اخى بعد اليوم»، ثم قال: «ادعوا لى بنى اخي» فجيء بنا، كأننا أفراخ، فقال: « ادعوا لى الحلاق» فأمره، فحلق رؤوسنا. رواه ابو داود بإسناد صحيح على شرط ألبحارى ومسلم.

اما شعر البنت فقد كان لها منه ﷺ نصيب فى التوجيه:

ففى الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها ان امراة سالت النبى ﷺ فقالت: يارسول الله، ان ابنتى إصابتها الحصبة، فتمزق شعرها، وانى زوجتها، أفاصل فيه؟ قال: (لعن الله الواصلة والموصولة)[2]. الواصلة: التى تصل شعرها، او شعر غيرها بشعر اخري، والموصولة: التى يوصل شعرها.

وهكذا تجد شعر الطفل المسلم متميزا، عن باقى الاطفال، فلا يلهث وراء الموضات المتغيرة، ولا وراء الممثلين الفارغين،مبتعدا عن أى توجيه يخالف حبيبه ورسوله ﷺ.

ب-أدب لون اللباس:

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: رأى النبى ﷺ على ثوبين

(١) أي: بعد استشهاد ابن عمه جعفر بن ابى طالب فى غزوة مؤتبة، فأراد ﷺ ان يفك حزن الاطفال على أبيهم، بعد مرور ثلاثة ايام، وان ينبههم للعودة الى الحياة الطبيعية بالحلاقة وغيرها. والله اعلم.

(٢) اما الوصل بشعر اصطناعي، أي: من غير كائن حي، فجائز، كما فى حاشية ابن عابدين الحنفي.

معصفرين، فقال:«أمك إمرتك بهذا؟» قلت: اغسلنهما، قال: (بل احرقنهما)، وفى رواية: « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها».

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن سعيد بن تميم قال: قال لى النبي: «أين بنوك؟» قلت: ها هم أولاد، قال: «فائتنى بهم» قال: فأتيت أهلي، فألبستهم قمصا بيضاء، ثم أتيته... الحديث.ومما قاله الإمام الغزالى فى الأحياء الجزاء .

الثالث، حول أدب لبس ثياب الصبي، توجيهات طيبة فقال:

« يجبب للصبيان الثياب البيض دون الملون والابريسم، ويقرر عنده(أي: عند الصبي) ان ذلك شان النساء والمخنثين، وان الرجال يستنكفون منه، ويكره عليهم ذلك، ومهما رأى على صبى ثوب من ابرى سم او ملون، فينبغى ان يستنكر، ويذم ذلك)).

ويحفظ الصبى عن الصبيان الذين عودوا التنعم، والترفع، ولبس الثياب الفاخرة.

وشاهد عمر بن الخطاب ﷺ غلاما من الأنصار، وقد رأى ذيله مسترخيا، فقال له: يا غلام، ارفع أزارك، فانه اتقي، وانقي، وابقي، ذكره ابن العربى فى أحكام القران (4/ 1887).

ويشرح للطفل الايام العصيبة الشديدة التى مرت على الوالدين، وماذا كان لباسهم فيها، ليتعرف الطفل الى طبيعة اخشى شان الحياة:

روى الترمذى وقال حديث صحيح عن ابى بردة بن ابى موسى عن أبيه، قال: يابني، لو رايتنا مع رسول الله، وإصابتنا السماء، لحسين ان ريحنا ريح الضان. قال الترمذي: ومعناه: انه كان ثيابهم الصوف، فاذا أصابهم المطر يجئ من ثيابهم ريح الضان. ورواه ابو داود وابن ماجه.

ج- تحريم لبس الحرير على الذكور:

وبناء على القاعدة التى وضعها رسول الله ﷺ فى عدم متابعة الكفار فى اللباس كما فى الحديث السابق « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»، منذ ان يفتح الطفل عينيه، فيعود سنة رسول الله ﷺ ويبعد عن الالبسة المحرمة، وهذا ما فعله الصحابى الجليل بكل جد وصرامة:

فقد روى الطبرانى عن عبد الله بن يزيد قال: كنا عند عبد الله يعنى ابن مسعود فجاء ابن له، عليه قميص من حرير، قال: من كسال؟ قال: أمي، قال: فشقه، قال:لامك تكسوك غير هذا [1].

قال الإمام الكاسانى فى بدائع الصنائع [2] وهو يتكلم عن تحريم لبس الحرير على الرجال، قال- رحمه الله:

«ولا فرق بين الكبير والصغير فى الحرمة، بعد ان كان ذكرا، لان النبى أراد هذا الحكم على الذكور ة، بقوله عليه الصلاة والسلام: «هذان جرامان على ذكور أمتي»، الا ان اللابس اذا كان صغيرا، فالإثم على من ألبسه، لأعليه، لأنه ليس من أهل التحريم عليه، كما اذا سقى خمرا، فشربها، كان الإثم على الساقي، لأعليه، كذا هنا».

وقال ابن القيم- رحمه الله: « يحرم على الوالى ان يلبسه الصبي»، لما ينشا عليه من صفات أهل التأنيث.

9- **الادب التاسع: أدب الإنصات اثناء تلاوة القران:**

روى ابن خبير وأسنده الى الزهرى كما ذكر ابن كثير فى تفسيره(2/ 280) قال: نزلت هذه الاية فى فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئا قراه، فنزلت :

(١) رواه الطبرانى باستادين ورجال احديهما رجال الصحيح. قاله الهيثم فى المجمع (5/ 144).
(٢) بدائع الصنائع (5/ 131).

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: 7/ 204).

الأساس الخلقى الثاني: غرس حاق الصدق فى الطفل:

خلق الصدق اصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية، والتى تحتاج الى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتم بتثبيت هذا الخلق فى الطفل، وهو يراقب تصرفات الوالدين مع الطفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين فى رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة: ان الطفل إنسان، له حقوقه فى التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه بأية وسيلة كانت، واللامبالاة فى التعامل معه.

اخرج ابو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أرادت ان تعطيه؟» قالت: أردت ان أعطيه تمرا، فقال لها: «اما انك لو لم تعطه شيئا، كتبت عليك كذبة».

واخرج الإمام احمد عن ابى هريرة- رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ انه قال: «من قال لصبى تعال، هال، أعطك، ولم يعطه، كتبت كذبة». واخرج الترمذى عن ابى الحواء السعدى ربيعة بن شينان، قال: قلت للحسين بن على - رضي الله عنه ما: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت منه : «أدع ما يريبك الى مالا يريبك، فان الصدق طمانية، والكذب ريبة».

ومن أثار تعليم الطفل الصدق انه منجاة للأب كذلك:

روى الإمام احمد ان أبا قيادة- رضي الله عنه - كان له على رجل دين، وكان يأتيه يتقاضاه: فيختبئ منه، فجاء ذات يوم، فخرج الصبي، فسأله عنه، فقال: نعم هو فى البيت يأكل جزيرة (حسا من دقيق ودسم) فناداه: يأفلان، اخرج، فقد أخبرت انك هاهنا، فخرج اليه، فقال: ما يغيبك عني؟ قال: إنى معسر، وليس عندي، قال: الله

انك معسر؟ قال: نعم، فبكى ابو قيادة، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نفس عن غريمه، او محا عنه، كان فى ظل العرش يوم القيامة». ورواه مسلم والدامي.

وقد اهتم السلف الصالح بتركيز هذا الخلق، الذى يتفرع عنه الصدق فى الموعد، سواء وعد الكبار للصغار، او وعد الاطفال لبعضهم البعض:

روى الإمام لسمعانى [1] عن ابى إسحاق، عن ابى الاحوص، عن عبد الله- ﷺ - انه قال: «إياكم والروايات، روايتا الكذب، فان الكذب لا يصلح بالجد والهزل، ولا يعد أحدكم صبيه، ثم لا ينجز له».

وروى كذلك عن يحيي: قال سليمان بن داود لابنه: يابني، اذا وعدت فلا تخلف فتستبدل بالمودة بغضا.

ومن القصص البديعة فى التزام الطفل الصدق، وتأثيره فى الكبار، بل والتوبة على يد ذلك الصغير الصادق ، من اكبر عتاولة قطاع الطريق فى عصره، مع عصابته، ما حصل للولى العارف، الداعية الذى خرج مئة ألف داعية، واسلم على يديه اليهود والنصارى، واعتمد نور الدين الزنكى على تلامذته فى جهاده مع الصليبيين الشيخ الإمام عبد القادر الجيلان قدس سره كما قاله ابن تيمية- رحمهما الله تعالي- انه عندما غادر جيلان مودعا أمه التى ربته على خلق الصدق، وأعطته أربعين دينارا، فلما سارت القافلة، اعترضتها جماعة، من اللصوص، من قطاع الطريق، وبدا اللص يسال للمسافر عما لدية من نقود فتنكرها عليه، ثم يستخرجها منه، حتى اذا وصل الى الغلام عبد القادر الجيلان، سأله وهو يعبر الى أخر، ظنا منه بجوابه بالنفي، فاذا بالغلام الصادق يخبره بان معه أربعين دينارا، فيعود اليه اللص، ويعيد عليه السؤال، ويعاود الغلام الصدق، فيطلبها منه، فسيخرجها الغلام من

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص40)

كمه تحت أبطيه، فيزداد اللص عجبا لصدقه وأمانته، وطريقة مخبئه للدنانير، فيسأله عن سبب صدقه؟ فيجاوب الغلام: ان أمى أمرتنى بالصدق وأعطيتها العهد على ذلك، فيأخذه الى رئيس اللصوص، ويعاود عليه الأسئلة، فيقول رئيس اللصوص: يأرب، ان هذا الغلام يصدق فى أحلك الظروف، فأشهدك إننى تبت أليك، فتاب وتاب اللصوص معه، وارجعوا للقافلة ما أخذوه منهم [1].

ان الصدق نور يضئ ظلم النفوس المريضة، ويهدى القلوب المضطربة، ويرشد العقول الشاردة عن الله، اللهم وفقنا الى الصدق فى الأمور كلها.

الأساس الخلقى الثالث: غرس خلق حفظ الأسرار فى الطفل:

عنى رسول الله ﷺ بتنشئة الاطفال على خلق كتم الأسرار، لأنه يمثل صلاح الطفل فى حاله ومستقبله، وسلامة الأسرة وانطلاقها، والمحافظة على المجتمع وبنائه.

ان الطفل الذى يتعود كتم الأسرار، ينشا قوى الإرادة، رابط الجأش، ضابط اللسان، فتنشا عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس، بحفظ أسرار بعضهم البعض.

فقد اخرج مسلم عن عبد الله بن جعفر- رلضى الله عنهما- قال: «ارفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فاسر الي، لااحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته: هدف، او حائض نخل».

وقد تقدم معنا حديث انس- رضي الله عنه - وخدمته للنبى ﷺ وتأخره على أمه فقالت: ما إبطاك؟ قلت: بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجة، قالت: ما هي؟ قلت: انها سر، فقالت المؤمنة الواعية، الذكية، البصيرة، لتعطى درسا للأمهات فى تعليم الطفل حفظ الأسرار، قالت له: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا.

(١) انظر (الشيخ عبد القادر الجيلان) سلسلة أعلام المسلمين، تأليف الدكتور عبد الرزاق الكيلان، طبع دار القلم.

الأساس الخلقى الرابع: غرس خلق الأمانة فى الطفل:

الأمانة خلق أصيل، اتصف به سيدنا محمدﷺ من عهد الطفولة الى عهد الرسالة، حتى وصفه المشركون: ب«الصادق الأمين» وفى ذلك عبرة للطفل المسلم، ان يقتدى برسول اللهﷺ لتساعده فيما بعد على الدعوة الى الله سبحانه وتعالي. وقد حدد ﷺ مسؤولية الولد فى مال أبيه، فيكون أمينا على القيام به، بلا إسراف ولا تبذير، كما فى الصحيح: «والولد راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته» (١).

ونلحظ اهتمام الرسول ﷺ بخلق الأمانة، وتأصيله فى الطفل، انه لم يرض من الطفل خطاه فى هذا الركن، وانما عاقبه، عندما اخل به، وشد أذن الطفل.

قال النووى فى الأذكار: روينا فى كتاب ابن السنى عن عبد الله بن بسر- الصحابي- رضي الله عنه - قال: بعثتنى أمى الى رسول الله بقطف من عنب، فأكلت منه، قبل ان ابلغه إياه، فلما جئت به، اخذ بإذني، وقال: «اغدرا!».

الأساس الخلقى الخامس: غرس خلق سلام الصدر من الاحقاء الأحقاد فى الطفل:

ان سلامة الصدر من الأحقاد تحقيق توازنا نفسيا لدى الانسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع، وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية، الى اعلى قممها.

وقد وجه النبى ﷺ نداء للطفل الناشئ، انس بن مالك، ان يغسل أدران نفسه، صباحا ومساء، فيسامح من أساء اليه، ويفرغ قلبه من أى بقايا من وساوس الشيطان ونفثه، فى الرؤوس والنفوس، فلنسمع سويا الى هذا النداء العجيب العظيم.

اخرج الترمذى وقال: حديث حسن غريب عن انس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال لي: «يابني، ان قدرت ان تصبح وتمسي، وليس فى قلبك غش لأحد، فافعل، ثم قال:

(١) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية- رحمه الله.

يابني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتى فقد أحياني، ومن أحيانى كان معى فى الجنة». فالجنة والصحبة مع رسول الله ﷺ ، لمن استطاع ان يكون قلبه سليما من الغش، والحقد، والحسد، واللؤم.

الأساس الخلقى السادس: غرس خلق حسن الوفاء بالعهد فى الطفل:

عن عبد الله بن ابى المساء ﷺ قال: بايعت النبى ﷺ ببيع قبل ان يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته ان أتيه بها فى مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فاذا هو فى مكان! فقال ﷺ:

«ياقتي، لقد شققت علي، انا هنا منذ ثلاث، انتظرك».

نلاحظ ان رسول ﷺ قد علم ذلك الفتى الوفاء بالعهد علميا، ودون إلقاء المحاضرات الطويلة، وانما بموقف عملي، وكلام قليل مؤثر، بحيث اثر فى نفس ذلك الفتي، فيرونه فى كبره، أي: ان تأثير السلوك العلمي، والقدرة الحسنة، هما أساس المنهج التربوى للصغير والكبير، وعدم الاستهانة بالسلوك امام الصغار لصغرهم، فان ذلك ليربى ولا يعلم شيئا.

ان الطفل يزداد احتراما لوالديه وللكبار لمن يلتزم فى سلوكه لمواعظه، وان يطابق أقواله أفعاله، بل ان الفعل والسوق اقوى تأثيرا، وأدوم فى النفس، وادعى لالتزام الطفل بذلك السلوك.

خاتمة: مثال علمى من خلق رسول الله ﷺ مع الاطفال:

فى ختام هذا المطاف نضع بين يدك نموذج رسول الله ﷺ القائد القدوة للأمة كلها، وكيف كان يتعامل مع الاطفال، يأمرهم، وينهاهم، يمازحهم، ويلحق بهم، يقف خلف الطفل ويبسم له، لا يغضب فى وجههم، ولا يعاتبهم، يرسخ عقيدة القضاء والقدرة عمليا فى نفوسهم، ونأتى على رواية الحديث بشنى طرقه، لما تمتع فى

كل منها من زيادة نافعة.

فقد اخرج الإمام احمد والبخارى ومسلم وابو داود عن انس بن مالـك ﷺ – قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال لى أف قط، ولا قال لجشئ لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا.

وفى رواية مسلم: «كان النبى ﷺ من أحسن الناس خلقا فأرسلنى يوما لحاجـة، فقلت: والله لا اذهب، وفى نفسى ان اذهب، لما امرنى به نبى اللهﷺ فخرجت حتى امر على الصبيان، وهم يلعبون فى السوق، فاذا برسـول الله ﷺ بقفـاى مـن ورائـي، فنظرت اليه وهو يضحك، فقال: «انس، والله، لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لجشئ صنعته: لم فعلت كذا وكذا، او شأ تركته: هلا فعلت كذا وكذا».

وفى رواية احمد قال انس : خدمت النبيﷺ عشر سنين، فما امرنى بأمر فتوانيت عنه، او ضيعته، فلامني، فان لامنى احد من أهل بيته الا قال: «دعوة، فلو قـدر، او قال: ليقضي، ان يكون كان».

وهذا ان دل فإنما يدك على اهتمامه ﷺ ببناء أخـلاق الاطفـال عمليـا، وبالقـدوة الحسنة لهم ، فينشئون ارسخ خلقا، واسيت عودا امام التحـديات الماديـة، التـى تنتظرهم فى واقع المجتمع، وفى حياة الناس، فلا يفرطون بأخلاقهم الإسلامية امـام عواصف التيارات المنحرفة، التى يمارسها المجتمع الجتهلى عـلى النفـوس المؤمنـة فى عصرنا الحاضر.

وهذا نموذج أخر من اخلاقه ﷺ مع البنات:

روى البخارى عن ام خالد بنت خالد قالت: أتى النبى ﷺ بثياب فيهـا خميصـة سوداء صغيرة، فقال: «من ترون ان نكسو هذه؟ ». فكست القوم، فقـال: «ائتـونى بأم خالد، فأتى بها تحمل، فاخذ الخميصة بيضة فألبسها، وقـال: «ابـلي، واخلقـي».

وكان فيها علم اخضر او اصفر، فقال: «يـا ام خالـد! هـذا سـناه فى الحبشـية. رواه البخارى فى كتاب اللباس- باب الخميصة السوداء».

وفى رواية له ايضا- فى كتاب الجهاد باب من تكلـم بالفارسـية- عـن ام خالـد بنـت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع ابي، وعلى قميص اصـفر، قـال رسـول الله: «سنه.. سنه»، قال عبد الله بن المبارك: وهى فى الحبشية: حسنة. . حسنة.

قالت: فذهبت العب بخاتم النبوة، فز برنى ابي، قال رسول الله ﷺ: «ودعهـا». ثم قال ﷺ: «ابلي، واخلقي، ثم ابلى واخلقي». قال عبد الله بن المبارك: هو مـن رواة سند الحديث: فبقيت حتى ذكر» اهـ.

قال ابن حجر: أى ذكر الراوى من بفائها أمدا طويلا، وذكر بعضـهم دكـن أى اتسخ، ثم قال ابن حجر: قال ابو عبد الله المصنف (البخاري): لم تعش امراة مثل ما عاشت هذه، يعني: ام خالد.

وفى رواية ابن ابى الدنيا فى كتـاب العيـال(1/ 404) تفصـيل وزيـادة، فـأورد بسنده الى سعيد بن عمرو قال: اقبل خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد، حتـى دخـلا على رسول الله ﷺ مصرفهم من الحبشة، فقال خالد: يارسـول الله، فـما بالنـا بـدر لم نشهدها؟ فقالﷺ: «يا خالد ، اما ترضى ان يكون للناس هجرة، ولكم هجرتان؟».

قال: بلي، يارسول الله، قال: « فذاك لكم». قال: ومع خالد ابنـة (وهـى كانـت تكنى بأم خالد) عليها قميص اصفر، فقال لها: اذهبى فسـلمى عـلى رسـول اللهﷺ، قال: فانكبت على النبيﷺ، فجعلت تريه قميصها، فقالاها النبـيﷺ: «سـنه ، سـنه» قال: حسن، بلغة الحبشة: « ابلى واخلقى ثم ابلى واخلقي».

ومن هذا الحديث البنتوى الواقعى والعملى نستنتج الملاحظات التربوية التالية:

1. اهتمام الرسول ﷺ بالمهـاجرين وأولادهـم، واسـتقبالهم بالفرحـة والبهجـة

والسرور عند عودتهم، ووعدهم بالأجر المضاعف عند الله تعالي.

2. إهداء الرسول ﷺ البنات الثياب الجميلة، وتخصيصه بالبنت المهاجرة زيادة رعاية.

3. اهتمامه ﷺ بالاطفال وحفظه لأسمائهم.

4. حرص الأب فى توجيه أطفاله للسلام على العلماء والصالحين.

5. جواز لعب الصغير بجسد الكبير ولحيته وشعره وخده وما الى ذلك، ما عدا أماكن العورة.

6. يسمح للصغير ما لا يسمح للكبير.

7. مشاركة الرسولﷺ فرحة الصغير بلباسه الجميل.

8. دعاء الرسولﷺ للصغير بما يفرح به ويحبه بالبركة وطول العمر.

9. خطاب الرسول ﷺ الصغيرة بما تفهم من لغتها الحبشية حيث ولدت فى دار الهجرة فى الحبشة، ونشأت فيها مع والديها المهاجرين.

10. قال ابن بطال: ان المازحة بالقول والفعل مع الصغيرة أنما يقصد به التانيس والتقبيل من جملة ذلك. الفتح (10/ 349).

11. تكرار الدعاء للصغير زيادة فى إدخال السرور على قلبه.

12. التواضع للصغير والاهتمام به عند حضوره.

13. دعوة الإباء لإحضار الأبناء الى المجالس الصالحة.

14. تنبيه الإباء للأبناء باحترام كبار المجلس، وعدم إزعاجهم الا اذا رغب الكبار بذلك.

15. مساعدة أطفال المهاجرين، والمسارعة لكسوتهم، وإصلاح شانهم.

16. دعوة ولى الامر لإهداء ابناء المهاجرين وغيرهم.

17. جواز لبس البنت للباس الملون.

18 .بكنية البنات منذ طفولتهن، ومناداتهن بتلك الكنية «ام خالد».

19 .حمل الصغير الى مجالس الكبار «فأتى بها تحمل».

20 .مناداة الصغير والصغيرة بالكنية تحببنا لقلوبهم «يا ام خالد!».

21 .الثناء على لباس الهدية اثناء إعطائها للصغير لتزداد بهجة وفرحة: « هذا سنه» « هذا سناه» أى : حسن.

22 .حصول البركة للصغير فى كبره، لمعاشرته الصالحين فى طفولته ودعائهم له، حيث عاشت البنت عمرا مديدا، وعاشت ثيابها معها حتى تغير لونها.

23 .التفاعل مع الصغير اثناء مداعبته، والاهتمام بما يعرضه من أشياء « فانكبت على النبيﷺ فجعلت تريه قميصها».

24 .إحضار البنات الصغار الى مجالس الرجال، والى المسجد، وتعرف الناس على تلك البنات.

25 .مشاركة ولى الامر للرعية فى شان توزيع الهدايا على الاطفال ومن أحق بها «من ترون ان نكسو هذه؟».

26 .أدب الحاضرين بالسكوت مع ولى الامر عندما تكون الهدايا الموزعة على الاطفال قليلة «فسكت القوم».

27 .الاهتمام بحفظ أسماء الاطفال: « ينونى بأم خالد».

28 .ألباس ولى الامر بيده للطفل العائد من هجرته، زيادة فى أفراحه، وإدخال السرور الى قلبه «فاخذ الخميصة بيده فألبسها».

29 .تصحيح الأب خطا ابنته اذا ساخطات فى حق الكبار (فبرنى ابي.....).

30 .مبادرة الكبير لتخفيف ردع الادب لأبيه المخطئة. «قال: ودعها» نلاحظ ان التربية البنيوية للطفل تربية عملية واقعية، تمتزج فيها التربية العاطفية النفسية بالتربية الاجتماعية، وتختلطان معا فى التربية البادية، وكذلك التربية البد نية، ويتفاعل الجمع فى تكوين التربية العلمية، كل ذلك يحصل فى كل مشهد وموقف

نبوى مع طفل من أطفال المسلمين سواء كان الطفل سبطا من أسباطه كالحسن والحسين، او طفلا من أقربائه كعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر، او من أولاد المهاجرين كأم خالد، او من ابناء الأنصار كابى عمير، لهذا كان المنهج التربوى النبوى للطفل منهجا عمليا وواقعيا، وليس نظريات وراء، وليس تجارب واختبارات، انه يشع بالحيوية، وبنير الطريق امام الإباء والمربين، كيف يعيشون مع الاطفال فيسعدوا ويسعدوا.

وفقنى الله وإياك الى الخلق الحسن، والصبر الجميل، والحلم الكبير، والنفس السمجاء، انه سميع مجيب.

المبحث الثاني

البناء الجسمى للطفل

- **تمهيد**
- **أسس البناء الجسمي:**
- **الأساس الأول:**حق الطفل فى تعلم السباحة، والرماية، وركون الخيل.
- **الأساس الثاني:** أجراء المسابقات الرياضية بين الاطفال.
- **الأساس الثالث:** لعب الكبار مع الاطفال.
- **الأساس الرابع:** لعب الاطفال مع الاطفال.
- **الأساس الخامس:** قبول شهادة الصبيان على بعضهم فى جناياتهم اثناء اللعب.
- **خاتمة:** فوائد الرياضة للأطفال.

«امرنا ان نعلم أولادنا الرمي، والقران»[1]

خالد بن الوليد

(١) كنز العمال (16/ 585) رواه الطبراني.

البناء الجسمى للطفل

تمهيد:

اللعب طبيعة فطرية فى الطفل، جعلها الله غريزة فى نفسه، وذلك لينمو جسمه نموا طبيعيا بشكل قوي، وحيث ان الطفولة البشرية هى أطول الطفلات بين الكائنات الحية، وحيث ان نمو العضلات، ونمو الجسم كله يكون فى هذه الفترة، إذ بعدها يصعب على الجسم ان ينمو أكثر، او يقوى بشكل أجود، او غير ذلك من إشكال النمو فى العضلات، والعظام، والصدر، والرئة، وغيرها.

واذا لا حظنا انه لا يمكن للإنسان ان يصبح رياضيا بعد هذه الفترة بشكل فعال، ويقول: أريد ان ابنى جسمى بعد مضى مرحلة الطفولة له بدون رياضة، فان نسبة نجاح مقولته هذه ضعفي، وبالتالى فان البناء الجسمى للطفل لابد ان يستوفى حقه فى الطفولة، على خلاف الأبواب السابقة، التى اذا فقد فيها الوالدان، او المربون، فانه يمكنهم تداركها فيما بعد.

وقد عرف علماء السلف اهمية لعب الطفل، وبناء جسمه، فقال الأمام الغزالي:

وينبغى ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب- الكتاب القراني- ان يلعب لعبا جميلا، ستفرغ اليه تعب الكتاب بحيث لا يتعب فى اللعب، فان منع الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائما يميت القلب، ويبطل ذكاءه، وينغص العيش عليه، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا [1].

لذلك، فان عدم قيام الطفل بالرياضة يؤدى احيانا الى مخاطر جمة، لا تلبث ان

(١) الأحياء، الجزء الثالث.

تنمو، وتكبر، حتى تظهر فى الحال، او المستقبل فى أى شكل من إشكال الهزال الجسمي، او الانهيار الداخلي، والنفسي.

واذا علمنا ان التكاليف الشرعية التى تنتظر الطفل عندما يدخل فى سن الاحتلام، ويودع مرحلة الطفولة، ويستقبل مرحلة جديدة فى حياته، يحاسب فيها على الكبيرة والصغيرة، ويبدأ القلم بالتسجيل عليه برصد اعماله، وأقوله.. اذا علمنا ان هذه التكاليف تحتاج الى البنية القوية، والجسم المتدرب الرياضي.. وما الصلاة، والصيت، والحج، والجهاد الا الدعائم الأساسية لهذا الدين، تحتاج الى المؤمن القوى الفعال، عند ذلك وجب علينا ان نفكر، ونسال أنفسنا: هاهى السبل والقواعد التى نستطيع بها تكوين جسم الطفل؟ وما هى أركان هذا البناء؟

ان نظرة الى الأحاديث النبوية، والسيرة الشريفة، وطريقة تعامله ﷺ مع الاطفال فى توجيههم، وبناء أجسامهم، ترينا أربعة أركان، باتباعها نحصل على بنية جسمية قوية للطفل، فما هى هذه الأركان؟

الأساس الجسمى الأول: حق الطفل فى تعلم السباحة، والرماية، وركون الخيل:

روى عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - قوله: علموا اولادكم السباحة، والرماية، وان يثبوا على الخيل وثبا.

من هذا يتبين حق الطفل فى تعليم رياضات معينة خصها النبى ﷺ بالذكر دون غيرها، وهذا يدل على ان لها دورا خاصا فى حياة الطفل الحالية والمستقبلية، وان لها دورا كبيرا فى إكساب الثقة فى نفسه بتعلم هذه الرياضات، لما تحمل فى طياتها من مخاوف نفسية عندما يكبر الطفل وهو لا يتقن هذه الرياضات، على خلاف باقى الرياضات التى يستطيع فى كبره ان يتعلمها، ويتقنها نوعا ما اذا مرت طفولته بدون تعلمها.

وهذا ان دل على شيء، فإنما يدل على حرص رسول الله ﷺ فى الرياضة الطفل، لأنه ﷺ سبح وهو صغير فى بستان أخواله بنى النجار، ولعب مع الصبيان [1].

روى ابن سعد عن ابن عباس- رضي الله عنه ما- وغيره، قالوا: كان رسول الله ﷺ مع أمه أمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به الى أخواله بنى النجار (أحوال أمه أمنة) تزورهم به، ومعه ام ايمن- رضي الله عنها- تحضنه، وهم على تعيرين، فنزلت به فى دار النابغة، فأقامت به عندهم شهرا، وكان رسول الله ﷺ يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك. ولما نظر اظم بنى عدى بن النجار عرفه، فقال النبى ﷺ- وهو يتذكر طفولته، وما حصل له:

كنت ألاعب إنسية جارية من الأنصار على هذا ألاطم، وكنت مع الغلمان من أخوالي، نطير طائرا كان يقع عليه، ونظر الى الدار فقال:

«ها هنا نزلت بى أمي، وفى هذه الدار قبر ابى عبد الله، وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار» [2].

ومن ذلك ايضا تشجيعه ﷺ للأطفال على الرمي:

روى ابن جرير فى كتابه « الاثار» [3] بسنده عن على رضي الله عنه قال: ما جمع النبى ﷺ أبويه الا لسعد قال: «ارم، فداك ابى وأمي! ايها الغلام الحرور».

وعن ابى العالية: ان رسول الله ﷺ مر بفتية يرمون، فقال رسول الله ﷺ: «ارموا يابنى إسماعيل، فان أباكم كان راميا». رواه سعيد بن منصور [4].

قال المحقق حبيب الرحمن: ورواه البخارى من حديث مسلمة بن الا كوع.

---

(١) رواه احمد عن انس، ثم ساق انس حادثة شق صدر النبى ﷺ فى طفولته.
(٢) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد لصالحى (2/ 120).
(٣) (1/ 92). وهو فى سنن الترمذى (5/ 314) ومنتخب كنز العمال (5/ 72).
(٤) (2/ 59). وهو صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (3520).

ويوجه الصحابة أبناءهم الى تعلم الرمى وانه خير اللعب واجلده وأفيده:

روى ابن ابى قشيبة فى مصنفه(9/ 21) (باب ما ينبغى للرجل ان يتعلمه ويعلمه ولده) عن سعد- ﷺ - قال: يابني، تعلموا الرمي، فانه خير لعبكم. ورواه البوار بلفظ «فانه من خير لهوكم» ورمز الأسيوطى لصحته فى الجامع الصغير 3/ 340.

وعن رافع بن سالم الوزارى قال: مر عمر بن الخطاب- ﷺ - فقال: ارموا! فان الرمى عدة وجلاد.

وروى عنه ﷺ انه قال: « علموا بنتكم الرمي، فانه نكاية العدو» [1]. فدل الحديث الشريف ان هدف البناء الجسمى للطفل أنما هو لتحقيق أهداف سامية، وليست هى من باب اللهو والعبث، وانما هى من باب البناء ولتكوين ليكون الطفل جنديا من جنود الاسلام فى المستقبل القريب، كما انه يفهم منذ صغره من هو عدوه، حتى ينشا البناء الجسمى مع البناء العقدي. وهذه ميزة من مميزات المنهج النبوى فى تربية الطفل.

الأساس الجسمى الثاني: أجراء المسابقات الرياضية بين الاطفال:

وهو أساس فعال فى تكوين جسم الطفل، ويساعده على الاهتمام بالرياضة واللعب، وزيادة اعتنائه بجسمه، فقد اجرى ﷺ مسابقة الجرى بين الاطفال من بنى عمه العباس، ويستقبل الفائز بصدره، ثم الاخر، وهكذا.

واخرج احمد عن عبد الله بن الحارث- ﷺ - قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله، وعبيد الله، وكثير من بنى العباس- ﷺ م- ثم يقول: « من سبق الى فله كذا وكذا» قال: فيسبقون اليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم، ويلتزم هم.

وأنت تلاحظ انه يوزع حبه عليهم جميعا، فيقبلهم جمعيا، ولا يقتصر على الفائز

(١) رواه الفربابى عن جابر ورمز الأسيوطى لضعفه فى الجامع الصغير4/ 328 وقال المناوب: أفتى ابن الصلاح بان الرمى بلنشات افضل من الضرب بالسيف لأنه ابلغ انكفاء فى الأعداء.

منهم فقط، وانما يرعاهم جميعا، خشية دخول الغيرة، والحسد بينهم، وان يكون البناء لهم جميعا دون استثناء.

وروى ابن ابى قشيبة فى مصنفه(12/ 101) عن ابى جعفر قال: اصطرع الحسن والحسين فقال رسول الله ﷺ: «هو حسين» فقالت فاطمة: كأنه أحب أليك؟! قال: «لا ولكن جبريل يقول: هو حسين».

ولا ننسى ان الحسن- ﷺ - اكبر من الحسين بعامين، لذا كان تشجيع الأصغر من الاطفال اثناء المسابقة والمصارعة مطلوب، فالفارق فى السن بين الاطفال يكون كبيرا بينهم من الناحية النفسية والعقلية، لذا فان فى تشجيع الأصغر متهما لفتة نبوية ملائكية رائعة، وذلك للتعويض عن فارق السن.

وفى رواية ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 796) ان الرسول ﷺ كان يشجع الحسن، وجبريل كان يشجع الحسين:

فعن ابى هريرة- ﷺ -قال: كان الحسن والحسين يصطرعان، ورسول الله ﷺ يقول: «هى حسن، هى حسن» فقالت فاطمة: لم تقول هى حسن؟ قال ﷺ: «ان جبريل يقول: هى حسين» [1].

وفى هذا الحديث فائدة توزيع التشجيع، والايقتصر على طفل واحد، وذلك لزيادة الحمية النفسية للعب الاطفال.

وفى الحديثين حضور الوالدين لمصارعة الأبناء، وانه ليس أمرا مشينا كما بظنه البعض، وليس خرقا للاحترام والوقار.

كما انه يجوز لعب الاطفال مع بعضهم البعض مع وجود فارق السن بينهم، وان ملاحظة الوالدين لا استمرار اللعب والمسابقة والمصارعة بين الاطفال ليس

(١) سنده ضعيف، انظر: دراسة السند فى حاشية كتاب العيال (2/ 796).

من اللهو فى شيء، وانما هو حق الأبوة والأمومة والبنوة.

الأساس الجسمى الثالث: لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

سنعيش ألان مع طائفة من الأحاديث ترينا لعب النبى ﷺ وهو الرسول القائد للأمة يلعب مع الاطفال.. وما هذا الا ليرنى الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم: روى الطبرانى عن ابى أيوب الأنصارى قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين ﷺ ما يلعبان بين يديه او فى حجره فقلت: يارسول الله، اتحبهما؟ فقال: « وكيف لا احبهما؟! وهما ريحانتاى من الدنيا اشمهما».

روى البوار عن سعد بن ابى وقاص قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يارسول الله ﷺ: «هذان ابنأي؟ وابنا بنتي، اللهم، إنى احبهما، فاح بهما، وأحب من يحباهما».

وروى الحاكم عن إسامة بن زيد ﷺ قال: رايت رسول الله ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل، فقال: نعم المركب ركبت يا غلام! فقال رسول الله ﷺ: «ونعم الراكب هو».

فحمل الطفل ومداعبته امام الناس من الأمور المشروعة، فعلها النبى ﷺ، وإشهار نسب الطفل وقرابته من الكبير، والدعاء للطفل اثناء اللعب، ومدح الطفل اثناء اللعب وأمام الكبار، والثناء عليه، كل ذلك يمزج البناء الجسمى مع النفسى والعاطفى للطفل.

وروى ابو يعلى عن عمر بن الخطاب- ﷺ - قال: رايت الحسن والحسين- ﷺ ما- على عاتقى النبى ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال ﷺ «ونعم الفارسان هما» كذا فى الكنز (7/ 106) والمجمع (9/ 182)، ورجاله رجال الصحيح، كما فى مجمع الزائد، قال: رواه الزار بإسناد ضعيف، وأخرجه ابن شاهين كما فى الكنز.

وروى الطبرانى عن الثراء بن عازي- ﷺ -قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين، او احديهما- ﷺ ما- فركب على ظهره، فكان اذا رفع رأسه قال بيده، فامسكه، او امسكنهما، قال: «نعم المطية مطيتكما». قال الهيثم فى مجمع الزائد (9/ 182): وإسناده حسن.

وعنده ايضا عن جابر- ﷺ - قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يمشى على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين- ﷺ ما- وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العديلان أنتما ».

وروى الشيخان عن عائشة- ﷺ ا- قالت: لقد رايت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه، وانا انظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد، حتى أكون انا التى أسامه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو.

وللنسائى فى اخرى عنها: قالت: وجاءت السودان يلعبون بين يدى رسول الله ﷺ فى يوم عيد، فدعانى رسول الله ﷺ فكنت اطلع عليهم من فوق عاتقه، حتى كنت انا التى انصرفت.

فانت شاهدت أنواعا مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين، وما ذلك الا ليدلك النبى ﷺ الى فكرة التنوع فى اللعب مع الاطفال، وأنت لاحظت ايضا ثناءه، ومدحه لهما فى اللعب، وذلك ليزيد من نشاطيهما النفسى فى اللعب، فيستمران بلا كلل، ولا تعب، ويتتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون غذاء جسميا ونفسيا فى ان واحد.

الأساس الجسمى الرابع: لعب الاطفال مع الاطفال:

كثيرا ما يكون الوالدان مشغولين بالإعمال المختلفة، عند ذلك يطيحان للطفل ان يلعب مع أخواته، او ابناء جيرانه، او أولاد حيه، او ابناء أقاربه. ويختار الوالدان

ان يلعب طفلها مع أولاد مهذبين، مؤدبين، خشية ان يتعلم طفلهم بذاءة اللسان، او نكر الأخلاق من غضب، وانفعالات فى اثناء اللعب.

وقد شاهد رسول الله ﷺ فى عدة مواطن لعب الاطفال، ولم يبكر عليهم.

روى الطبرانى عن جابر- رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا الى طعام، فاذا الحسين يلعب فى الطريق مع صبيان، فأسرع النبى ﷺ امام القوم، ثم بسط يده، فجعل يفرها هنا وها هنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه، فجعل احدى يديه فى ذقنه، وال اخرى بين رأسه وأدبيه، ثم اعتنقه، وقبله، ثم قال «حسين منى وانا منه، أحب الله من احبهما، الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

وقد تقدم حديث الصحيحين عن انس- رضي الله عنه - قال: بينما كنت العب مع الغلمان، فجاء رسول الله ﷺ وأرسلنى فى حاجة... الحديث.

وعن ابن عباس- رضي الله عنه - قال: مر بى رسول الله ﷺ وانا العب مع الغلمان، فاختبأت منه خلف باب، فدعاني، فحطابى خطاة، ثم بعثنى الى معاوية، فرجعت اليه فقلت: هو يأكل. رواه احمد فى مسنده (1/ 338).

وقد لعب النبى ﷺ فى طفولته مع الصبيان، واتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان، فأخذه وشق صدره. . . الحديث. رواه احمد فى مسنده (1/ 288).

ورويالبيهقى فى الدلائل (1/ 140) عن ابن عباس- رضي الله عنه - ما- ان النبى ﷺ لما ترعرع كان يخرج فينظر الى النصيبان يلعبون، فيجتنبهم، فقال لى (أي: أمه حليمة) يوما من الايام:

«ياماه، ما لى لا أرى أخوتى بالنهار؟ قلت: فدتك نفسي، يرعون غنما لنا، فيروحون من ليل الى ليل، فأسبل عينيه فبكي، فقال:

«ياماه، فما اصنع ها هنا وحدي؟ ابعثينى معهم» قلت: وتحب ذلك؟ قال:

«نعم»، قالت: فلما أصبح دهنته وكحلته، وقنصته، وعمدت الى خرزة جزع يمانية، فعلقت فى عنقه من العين، واخذ عصا، وخرج مع أخوته، فكان يخرج مسرورا، ويرجع مسرورا، فلما كان يوما من ذلك خرجوا يرعون بهما لنا حول بيوتنا، فلما انتصف النهار اذا انا بابنى مضمرة يعدو فزعا، وجبينه يرشح قد علاه النهر باكيا ينادي: ياابت، ياابه! ويااميه، الحقا اخى محمدا، فما تلحقانه الا ميتا.. وذكر حديث شق الصدر».

فلعب رسول الله ﷺ وهو صبى مع الصبيان فى بادية مكة، وعند أخوال أمه بنى النجار فى المدينة المنورة، يرشدنا لأهمية لعب الاطفال مع بعضهم البعض، وان ذلك حقا من حقوقهم، وانه سبيل تنشئة العضلات وبناء الجسم، وفتح شهية الطعام، وتعود الطفل على الحياة العملية' فتارة يربح، وتارة يخسر، وتارة يحب ، وتارة يكره، وتارة يفرح، وتارة يحزن، وتارة يشارك، وتارة يجرد وينغزا، وتارة يضحك وتارة يبكي، وتارة يأخذ حقه بيده، وتارة يستنصر بأحد والديه، وتارة يتعاون وتارة يصبح أنانيا، وتارة يسر وتارة يغضب.. كل ذلك يحصل للطفل وهو يلعب مع الاطفال، تنتابه تلك المشاعر، ويتصرف تلك التصرفات بلحظات بعيدة احيانا وقرنية احيانا اخري.

وانى وجدت ان الطفل يعيش ويتنفس باللعب كما السمكة بالحركة فى الماء، فاذا خرجت الى الهواء ماتت. وكذلك الطفل ان لم يلعب يمرض ويهزل جسمه ثم يموت.

وحتى قال يحيى الغساني: لا تحزنوا بني! فان الفرحة تشب الصبي. أى تنشطه وتنميه حتى يصير شابا. انظر: كتاب (العيال) (2/ 795) مع الهامش.

وان تنظيم لعب الاطفال مع بعضهم من قبل إبائهم وذوبهم يزيد فى استثمار اللعب بشكل افضل، وان انتقاء الاطفال الذين يلعبون مع طفلك، مشاركة فعالة،

تطمئن الوالدين على لعب طفلهم.

وقد شاهد ﷺ مصارعة الغلامين قبيل غزوة احد، عندما اعترض احديهما على الاخر لرسول الله ﷺ لقبوله بالاشتراك فى المعركة، وعدم قبول المعترض، وكان فيما قال: يارسول الله، كيف تقبله وانا ان صارعته صرعته؟! فتصارعا امامه، وغلبه كما قال، فقبلاهما رسول الله ﷺ فى دخول المعركة.

وسار السلف الصالح على سنة رسول الله ﷺ يسمحون لأطفالهم باللعب مع الاطفال، فاذا وجدوهم قد خالفوا أمرا قرآنيا او نبويا نهوهم عن ذلك، وبينوا لهم الحلال من الحرام فى اللعب وخارج اللعب.

ونتقل هنا بعض الاثار من كتاب (العيال) لابن ابى الدنيا (2/ 791) باب (اللعب للصبيان):

فعن الحسن انه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت، ومعه عبد الله ابنه فنهاهم، فقال الحسن: دعاهم فان اللعب ربيعهم. وعن زيد بن السلائب قال: رايت الصبيان يلعبون بالجور والعلامة (لعبة من لعب ذلك العصر) وخارجة بن زيد- ﷺ - ينظر ولا ينهاهم.

وعن سعيد بن عبد العزيز ان شرجبيل بن المسمط لما حضرته الوفاة قال لبنيه: قوموا فالعبوا، فان الله مؤثر قضاه.

ومر الحسن بغلمان يلعبون، فقال: ما قرت عينى منذ فارقتكم.

وأرى البخارى فى الادب المفرد: ان عبدالله بن عمر- ﷺ ما- مر مرة بالطريق على غلة من الحنش، فراهم يلعبون، فاخرج درهمين فأعطاهم.

اما لعب البنات فقد يختلف عن لعب الصبيان، حيث أجاز العلماء لعب البنت باللعب المجسمة، وذلك استنادا للحديث التالي:

روى ابو داود – وإسناده صحيح – عن عائشة– ﷺ ا– قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، او حنين، وفى سهرتها ستر، فهبت ري، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة –لعب– فقال: «ما هذا الذى أرى وسطهن؟» قالت: فرس، قال: «وما الذى عليه؟» قالت: جناحان، قال: «فرس له جناحان! » قالت: اما سمعت ان لسلمان خيلا لها أجنحة؟! قالت: فضحك حتى رايت نواجذه.

وروى السخان وابو داود عن عائشة– ﷺ ا– قالت: كنت العب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكانت تأتينى صواحبي، فينقعن من رسول الله ﷺ وكان يسربهن الى فيلعبن معي.

البنات: هى التماثيل التى تلعب بها البنات الصغيرات، الانقماع: الاستتار والتعب، ويسربهن: أى يردهن الي.

وعن عائشة– ﷺ ا– ان البنى ﷺ تزوجها وهى بنت سبع سنين، وزفت، وهى بنت تسع سنين و لعبها معها، ومات ﷺ وهى بنت ثمانى عشرة)). رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال(2/ 755) وقال محققه: حديث صحيح وقال: أخرجه مسلم فى كتاب النكاح.

وعن عائشة– ﷺ ا– قالت: لما ملكنى رسول الله ﷺ لقينى فى زفاف، فتناولنى فسابقنى فسبقته، فلما بنى بي، قال: « يا عائشة، هل لك فى السباق؟» فسابقنى فسبقني، فقال: «هذه بتلك». رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 754) وقال محققه: رجاله رجال الصحيح.

ومن الألعاب المنهى عنها:

1. اتخاذ الحيوان هدفا

فعن سعيد بن خبير قال: مرت مع ابن عمرو ابن عباس– ﷺ م– فى طريق من

طرق المدينة، فاذا فتية قد نصبوا دجاجة يرمونها بسهم كل خاطئة، قال: فغضب، وقال: من فعل هذا؟ قال: فتفرقوا، فقال ابن عمر: لعن رسول الله ﷺ من يمثل بالحيوان. رواه احمد فى مسنده والدامى بلفظ: «فاذا انا بغمة».

ورواه البخارى فى كتاب الذبائح، باب: ما يكره من المسلة، ورواه النسائي.

2. **النهى عن اللعب بالكلاب:**

عن إبراهيم ألنخعى قال: كانوا يرخصون للصبيان فى اللعب كله، الا فى الكلاب. رواه البخارى فى الادب المفرد، وابن ابى الدنيا فى العيال.

3. ا

لنهى عن إيذاء الحيوان فى الحرمين الشريفين(مكة والمدينة المنورة):

روى مالك فى الموطا عن ابى أيوب الأنصاري: انه وجد غلمانا قد الجئوا ثعلبا الى زاؤية، فطردهم عنه. قال مالك: لا اعلم الا انه قال: أفي.

الأساس الجسمى الخامس: قبول شهادة الصبيان على بعضهم فى جناياتهم اثناء اللعب:

فى اثناء لعب الاطفال قد تقع بينهم جنايات فيما بينهم، فيوقع طفل أخر غلى الأرض فينكسر سنه، او تنكسر احدى عظامه، او يخرج جرحا خطيرا، فكيف السبيل لمعرفة الحقيقة؟ وكيف السبيل لمعرفة الضارب من المضروب؟ ومت هى أسباب الضرب التى حصلت؟ وما هى دوافع الجناية التى ارتكبت؟.

روى الإمام مالك فى الموطا (القضاء فى شهادة الصبيان) (2/ 203):

ان عبد الله بن الزبير- رضي الله عنه - كان يقضى بشهادة الصبيان فيما بينهم من الجراح. ثم قال الإمام مالك: «الامر المجتمع عليه عندنا ان شهادة الصبيان تجوز فيما بتهم من الجراح، ولا تجوز فى غيرهم، وانما تجوز شهادتهم فيما بينهم من الجراح احدها،

لا تجوز فى غير ذلك، اذا كان ذلك قبل ان يتفرقوا، او يخيبوا، او يعلموا، فان افترقوا فلا شهادة لهم، الا ان يكونوا قد اشهدوا العدول على شهادتهم قبل ان يفترقوا».[1]

وقد ذكر ابن ابى الدنيا بعض الاثار نقتطف منها:

عن محمد بن سيرين- فى شهادة الصبيان- قال: تكتب شهادتهم، ويستشهدون. وعن هشام بن عروة عن أبيه فى شهادة الصبيان: تكتب شهادتهم، ويؤخذ بأول قولهم.

وعن زياد بن الربيع الى حمدى قال: شهدت عند نمامة بن عبد الله بن انس - وكان قاضى البصرة-: وانا صبي، فكتب شهادتي، واستثبتني.

وعن مسروق انه كان عند على بن ابى طالب ﷺ وجاءه خمسة غمة كانوا يتغاوطون فى الماء (أى يدخلون فيه) وإنهم غرقوا غلاما منهم، فقالوا: انا كنا ستة نتعاطى فى الماء، فغرق منا غلام: يشهد الثلاثة على الاثنين أنهما عرقاه، وشهد الثلاثة إنهم غرفوه، فجعل على الاثنين ثلاثة أخماس الدية، وعلى الثلاثة خمس الدية.....

1. **تحذيرين وتنبيه من لعب الصبيان فى الشارع بدءا من غروب الشمس:**

ولا بد ان نذكر وننبه لضرورة دخول الاطفال لبيوتهم قبيل المغرب إيذانا بانتهاء اللعب، وذلك لما ورد من الأحاديث النبوية التى تخبرنا بانتشار الشياطين فى الشوارع فى ذلك الوقت، ولا باس بتحفيظ الطفل هذه الأحاديث النبوية، ليعلم ان الامر من الرسول.

روى الحاكم عن جابر مرفوعا: «احسبوا صبياتكم حتى تذهب فزعة العشاء، فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين»[2].

(١) انظر: كتاب العيال (2/ 839) هذا ورد الشافعية شهادة الصبيان.
(٢) صحيح انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم(905) ورواه احمد.فوهة: أي: أول الليل، تخترق: أي: تمر بشكل عرضى فى الطريق.

وروى احمد والبخارى ومسلو وابو داود والنسائى عن جابر مرفوعا: «اذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم، فان الشياطين تنتشر حينئذ، فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم[1]».

وفى رواية البخاري: «فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم».

وفى رواية ثانية: «واكفوا صبيانكم عند العشاء». أي: أدخلوهم وضموهم أليكم فى البيت.

وفى رواية لأحمد: «والفتوا صبيانكم عند المساء، فان للجن انتشارا وخطفة» فدلت الرواية ان الجن يمكن ان يمسوا الطفل وهو فى الشارع يلعب فى هذا الوقت. اذا فليحرص الوالدان والمربون على عدم ألعاب أطفالهم بدءا من غروب الشمس.

وفى رواية لأحمد ايضا «ولا ترسلوا فراشيكم[2] وصبيانكم اذا غابت الشمس حتى تذهب فخمة العشاء، فان الشياطين تبعت اذا غابت الشمس، حتى تذهب فخمة العشاء».

خاتمة: فوائد الرياضة للطفل:

على الرغم من ان اللعب هو بالنسبة للراشد لملء وقت الفراغ، الا انه بالنسبة للطفل عبارة عن عمل هام جدا، ومن خلال انغماسه فى اللعب يطور الطفل كلا من عقله وجسده، وبحقيق التكامل ما بين وظائفه الاجتماعية، والانفعالية، والعقلية التى تتضمن التفكير، والمحاكمات العقلية، وحل المشكلات، وسرعة التخيل، كما وتلعب البيئة الطبيعية، وتوجيه الإباء أدوارا حاسمة فى تطوير الطفل من خلال اللعب.

ان فترة ما قبل المدرسة فترة مهمة جدا للنمو العقلى للطفل من خلال اللعب،

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم(40).
(٢) الواشي: كل ما ينتشر من الدواب كالإبل والغنم (برنامج الحديث، صخر)

حيث يصل الطفل الى أقصى طاقات النضوج باللعب.

ومن خلال اللعب ايضا يكرر الطفل خبراته السابقة حتى يستطيع ان يستوعبها، وتصبح جزاء من شخصيته، كما ان اللعب يهيئ الطفل للتكيف فى المستقبل من خلال الاستجابات الجديدة التى يقوم بها اثناء لعبه، ولذا لا ينظر الى اللعب ألان على أساس انه مضيعة للوقت، ولكن على أساس انه ضرورى لنمو الطفل، والإباء الذين يحرمون أطفالهم من اللعب فى البيت، او مع أولاد الجيران، أنما يحرمون الطفل من حاجاته الأساسية للنمو!!

وللعب عدد من الفوائد، والقيم:

1- **القيمة الجسدية**: ان اللعب النشيط ضرورى لنمو العضلات للطفل، فمن خلال اللعب يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء.

2-**القيمة التربوية**: ان اللعب يفسح المجال امام الطفل كى يتعلم الشئ الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة، كمعرفة الطفل للإشكال المختلفة، والألوان، والإحجام، والملابس... وفى كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب، لا يستطيع الحصول عليها منت مصادر اخري.

3- **القيمة الاجتماعية**: يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبنى علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح، كما انه يتعلم من خلال ابلع التعاوني، واللعب مع الكبار الأخذ والعطاء.

4- **القيمة الخلقية**: يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب، كما يتعلم بشكل مبدئى بعض المعايير الخلقية كالعدل، والصدق، والأمانة، وضبط النفس، والروح الرياضية.

5-**القيمة الإبداعية**: يستطيع الطفل عن طريق اللعب ان يعبر عن طاقاته

الإبداعية[1]، وان يجرب الأفكار التى يحملها.

6- **القمية الذاتية**: يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير من نفسه كمعرفة قدراته، ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه، ومقارنة نفسه بهم، كما انه يتعلم من مشاكله، وكيف يمكنه مواجهتها.

7- **القيمة العلاجية**: يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذى يتولد نتيجة القيود المختلفة التى تفرض عليه، ولذا نجد ان الاطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود، والأوامر، والنواهى يلعبون أكثر من غيرهم من الاطفال، كما ان اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت[2].

(١) أخا الكاتب فقال: الخلاقة، وهذا اصطلاح لا نوافق عليه، لذلك استبدلناها ب(الإبداعية).
(٢)مجلة العربي، عدد (234) من مقالة الدكتور محيى الدين توق.